Nov 1999

الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Wael al-Islami

العدد ٤٠١ ـ السنة السادسة والثلاثون ـ محرم ١٤٢٠ هـ ـ أبريل / مايو ١٩٩٩ م

حضارتنا الإسلامية في مواجهة الانهزام النفسي

ذكرى الهجرة ومأساة كوسوفا!

الحركة الإسلامية ابتكار وثقافة

الظلم الاجتماعي مصطلح بحاجة إلى مراجعة

هديتك مع العدد براعم الإيمان

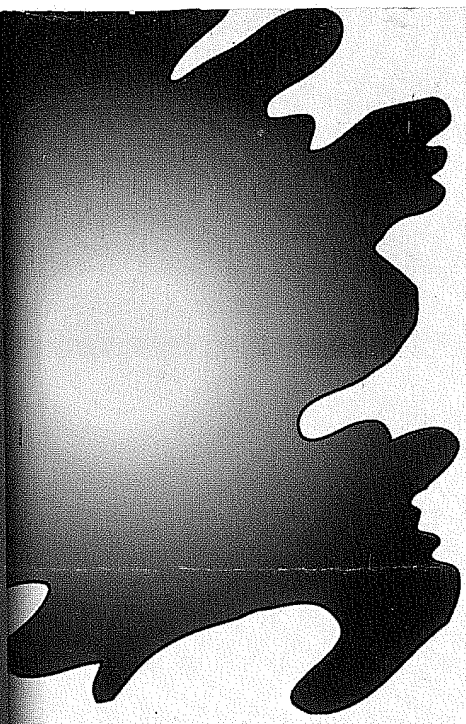

تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
ومجلة الوعي الإسلامي
من

صاحب السمو أمير البلاد
وسمو ولي عهده رئيس مجلس الوزراء

والشعب الكويتي الكريم
والأمة العربية والإسلامية
بأجمل التهاني القلبية وأطيب الأمنيات لمناسبة حلول

العام الهجري الجديد ١٤٢٠هـ

سائلين المولى سبحانه وتعالى
أن يرحم الشهداء الأبرار
ويفك قيد الأسرى ويعيدهم سالمين

الوعي الإسلامي

al-Waei al-Islami

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
د. صالح أحمد الراشد
Dr. SALEH A. AL-RASHED

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 401 . السنة الخامسة والثلاثون - محرم 1420 هـ . أبريل / مايو 1999 م

كلمة العدد

قضيتان في مطلع العام الهجري الجديد

أعزاءنا القراء:

مع بداية العام الهجري الجديد حاولنا قدر استطاعتنا وإمكاناتنا المتوافرة أن نصدر المجلة في ثوب جديد يتناسب والتطورات المستمرة في الساحة الإعلامية آملين أن نكون قد استجبنا لبعض آراء ومقترحات الإخوة القراء والأخوات القارئات التي تنهال علينا طوال العام، حيث نقوم بدراستها وتنفيذ ما يمكن تنفيذه منها وليعذرنا الإخوة القراء في حال عدم تلبية كل آرائهم وملاحظاتهم ورغباتهم.

لقد حاولنا التركيز في ثنايا هذا العدد على قضيتين رئيسيتين هما:

أحداث إخواننا في إقليم كوسوفا والنتائج المأساوية التي أفرزتها هذه الكارثة في وقت تستعد فيه الإنسانية جمعاء لدخول الألفية الميلادية الثالثة بمبادئ ومفاهيم جديدة تقوم على الاحترام المتبادل بين جميع أمم الأرض وشعوبها بغض النظر عن ألوانها وأشكالها وعروقها ودياناتها.

أما القضية الثانية فهي قضية الوقف الإسلامي وحاجة أمتنا لإحيائه في صورة عمل مؤسسي منظّم، وإعادة صوره المشرقة في حضارتنا الإسلامية ليسهم من جديد في حركة التنمية المجتمعية المعاصرة في جميع مجالاتها الدعوية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية بعد قرون من التخلف أصابت أمتنا في الصميم، وأبعدتها عن ركب الحضارة الإنسانية المعاصرة والله من وراء القصد.

وكل عام وأنتم بخير ،،،

الوعي الإسلامي

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا. السعودية: ٤ ريالات. البحرين: ٣٠٠ فلس. قطر: ٤ ريالات. الإمارات: ٤ دراهم. سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة. الأردن: ٥٠٠ فلس. مصر: جنيه واحد. السودان: ٥ جنيهات. موريتانيا: ١٢٠ أوقية. تونس: دينار واحد. الجزائر: ٥ دنانير. اليمن: ٥ ريالات. لبنان: ١٠٠٠ ليرة. سوريا: ٢٠ ليرة. المغرب: ٦ دراهم. ليبيا: ٥٠٠ مليم. اوروبا: جنيه استرليني واحد او مايعادله. امريكا وبقية دول العالم الاخرى: دولاران او مايعادلهما.

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
هاتف ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- داخل الكويت:
للأفراد ٥ دنانير - للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية.
- الدول العربية:
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم:
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات:
٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة - الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت - برقيا نيوزيبر

في العدد

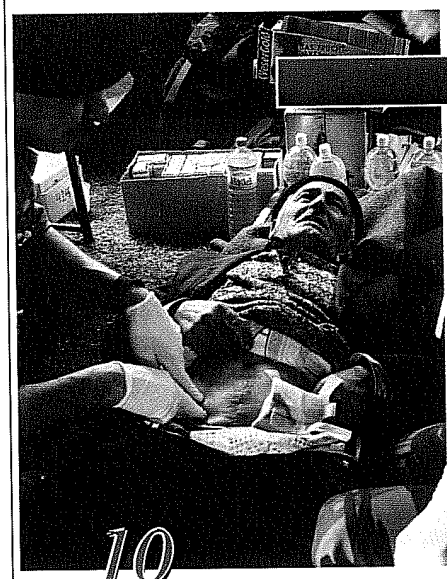

قضايا إسلامية

تجاوب إسلامي مع محنة كوسوفا

10

على الرغم من حالة الوهن والتفكك التي تمر بها الأمة الإسلامية، إلا أن التعاطف الكبير الذي أبداه المسلمون تجاه إخوانهم المسلمين في كوسوفا يؤكد أن أمتنا مازالت بخير وأنها قادرة على تجاوز المحنة وهي أشد قوة وعزما.

حوار

18

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

الدكتور عبدالله بن صالح العبيد في حواره مع الوعي الإسلامي يتحدث عن جملة من القضايا الإسلامية التي تدخل في صلب اهتمامات الرابطة وتوجهاتها.

فكر

36

الحركة الإسلامية واحتكار الحقيقة

هل المعركة الدائرة اليوم في فضاءات الأمة حول مشروعية حركة الإسلام العامة تعد بدعة عصرنا هذا؟! أم أن هذه الحركة خاضت معاركها من أجل الوجود وتحقيق الذات منذ وجدت وحتى يومنا هذا؟

في الأعداد المقبلة

- رد الشبهات عن الإرث في الإسلام — د. محمد الزحيلي
- وظائف الأخبار في الإعلام الإسلامي — عبدالله بدران
- اكتشاف معجزة جديدة في القرآن الكريم — د. أحمد شوقي الفنجري
- تعاليق على طفل الأنابيب — عبدالوكيل أحمد صافي
- أضواء حول رعاية الإسلام للعقل — د. أحمد عبدالرحيم السايح
- الذاتية الإسلامية في مواجهة العولمة — د. رضا عبدالحكيم رضوان
- الفكر ضرورة أم ترف؟ — د. نعمان السامرائي
- الرحمة خلق إسلامي رفيع وعاطفة إنسانية — محمد رجاء عبدالمتجلي

الفهرس

٣	كلمة العدد/ قضيتان في مطلع العام الهجري الجديد	التحرير
٥	الافتتاحية/ ذكرى الهجرة ومأساة كوسوفا	رئيس التحرير
٦	بريد القراء	التحرير
٩	أنشطة الوزارة	التحرير
١٠	قضايا إسلامية/ تجاوب إسلامي مع مسلمي كوسوفا	تمام أحمد
١٣	أخلاق/ رحمة الإسلام ووحشية الصرب	د. أحمد مرسي
١٦	شعر/ كوسوفا الذبيح الثاني	محمد عبدالله القولي
١٨	حوار/ مع الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي	أحمد الشنواني
٢٣	قضايا اجتماعية/ الظلم الاجتماعي بحاجة إلى مراجعة	مصطفى فوضيل
٢٦	قضايا تربوية/ الانهزام النفسي عند الشباب	محمود إسماعيل
٢٨	حضارة/ حضارتنا في مواجهة الانهزام النفسي	حسام قاسم
٣٤	فكر / التيار التوفيقي - دوره في النهضة ومصيره	غازي التوبة
٣٦	الحركة الإسلامية واحتكار الحقيقة	محمد السيد
٣٨	العدل في الإسلام - قراءة مفهومية	د. سعيد حداد
٤٢	فقه/ الفقه المنشود من أجل فهم إسلامي راشد	محمود السباعي
٤٦	أحكام/ السحر بين تحريم الشريعة وتفريط التشريعات الوضعية	محمود عبدالرحمن
٥٠	الضوابط الشرعية لبيع التقسيط	عبدالملك كاموي
٥٣	رؤية مستقبلية لنظام الوقف الإسلامي	د. محمد الجندي
٥٦	دعوة/ دور الوقف في تنمية العمل في مجال الدعوة الإسلامية ٢/١	د. محمد الدسوقي
٦٢	تاريخ/ في صدر الإسلام رسائل غيَّرت وجه التاريخ ٤/٤ (رسالة من سطرين قتلت عثمان بن عفان)	د. جابر قميحة
٦٦	شعر/ أيها التاريخ	د. محمد خفاجي
٦٨	الأسرة المسلمة / وجعل بينكم مودة ورحمة	معتز ياسين الموقت
٧٠	هل الثواب والعقاب وسيلتا إصلاح تربوي؟	محمود غزي حسن
٧٣	لو كانت زوجتي ضدي	محمد رشيد العويد
٧٤	اللجلجة عند الأطفال	أشرف سعد
٧٥	الآباء والأبناء	عبدالستار خليف
٧٦	حصاد الغياب	ناهد إمام
٧٨	صديقة قديمة	منى السعيد الشريف
٧٩	النمط الاستهلاكي للأسرة	د. زيد محمد الرماني
٨٠	لم أعد أستطيع السيطرة على ولدي!	عابدة المؤيد العظم
٨٢	من استطاع منكم الباءة فليتزوج	محمد سلامة جبر
٨٣	قصة العدد/ حنين الغرباء	محمد الجاهوش
٨٦	ثمرات الفكر	محمد هاني
٨٩	نافذة على العالم	التحرير
٩٢	حديقة الوعي	أحمد عبدالجبار
٩٤	ترجمات/ التجمعات الإسلامية في فرنسا	عبدالمنعم أحمد
٩٦	الفتاوى الشرعية	إدارة الإفتاء
٩٨	المرسى/ خواطر في ذكرى الهجرة	عبدالوكيل صافي

ذكرى الهجرة ومأساة كوسوفا

تحلُّ علينا ذكرى هجرة النبي . صلى الله عليه وسلم . ونحن نعيش أحداثاً مريرة في عالمنا الإسلامي، إنها الكارثة، بل المأساة الحزينة التي تحدث في إقليم كوسوفا العزيز، حيث نجد أنهاراً من الدماء وأنهاراً من الدموع تسيل هنا وهناك... نعم إن كوسوفا اليوم تعيش أحداثاً دامية، فهناك المجازر وهناك التشريد والتنكيل والتعذيب والاغتصاب في كل مكان. صور وألوان شتى يمكن للإنسان أن يسرح فيها بخياله ما شاء الله له أن يسرح، ماثلة أمامه صوراً من جحيم الحياة!!

نعم إنها بداية عام هجري جديد تقترب مع حلول الألفية الثالثة بعد أشهر ليست ببعيدة، يجب أن تكون لنا محطة تأمل وقاعدة انطلاق ومرصداً لرؤى مستقبل حياة أمة المسلمين، تلك الأمة التي انبثقت من الهجرة العطرة فكانت هجرة المصطفى . صلى الله عليه وسلم . تمثيلاً لميلاد أمة وتحقيق رسالة الإنسان في هذا الوجود.

ما الذي يمكن أن نفيد منه في عامنا الهجري الجديد ونحن نرى تكالب الأمم علينا كما تتكالب الأكلة على قصعتها، نرى الملمات تحيق بنا من كل حدب وصوب، ونرى الشتات بالذات لبلد أخرج أهله منه بغير حق إلا أنهم يطلبون حقاً هو حقهم ويريدون حرية هي شرعة لهم، فقد بلغت الإحصاءات الأخيرة من لاجئي كوسوفا ما يزيد عن المليون ينتشرون في أصقاع أرض الله باحثين عن مأوى في خلاء أو قطعة من لباس أو الأهم لقمة غذاء في كسرة خبز ولو تسرب إليها العفن أو جرعة من ماء خالطها الآسن، ناهيك عن ما يحتاجه هؤلاء من رعاية ودواء.

إن مؤسسات ومنظمات حقوق الإنسان ودول وشعوب العالم الإسلامي كل أولئك تلزمهم مسؤولية العون والمساعدة والمساندة لمسلمي كوسوفا، وأن يكون الصد والحزم لأعداء الدين والقيم والإنسانية من الصرب قوياً وعملياً لتخليص وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الحطام الكبير والدمار الشامل الحادث لشعب ألبان كوسوفا، وإنه لكلمة حق تقال أن نشيد بجهود بلدنا الكويت أميراً وحكومة وشعباً للدعم الكبير الذي قدموه لإخوانهم من شعب إقليم كوسوفا المغلوب على أمره والشكر لكل من قدم خيراً لإخوانه في الدين والإنسانية، والدعوة لكل صاحب ضمير حي بمد يد العون لهؤلاء المعذبين رجاء الفرج من الله لإخواننا في الدين عما قريب، فالله جل وعلا العلي القدير قادر على نصر من ينصره: (إن الله لقوي عزيز) والله الموفق.

رئيس التحرير

الافتتاحية

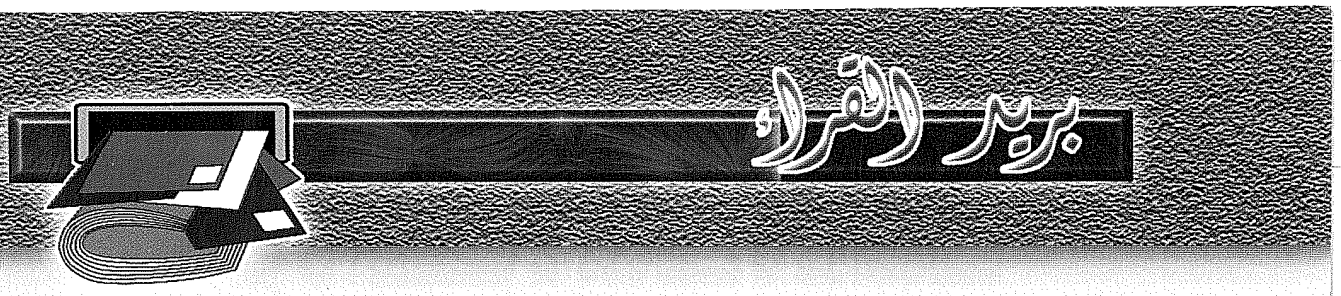

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

ملامح من عظمة الرسول ﷺ

يقول الفيلسوف الإنكليزي «برناردشو»: «لو أن محمداً - ﷺ - واجه مشكلات هذا العصر لأمكنه أن يضع لها أصلح الحلول بأقصر الأوقات».

وهذه العبارة التي تصدر عن هذا الفيلسوف الذي يعلم علم اليقين طريقة الرسول - ﷺ - في علاج النفس البشرية التي سجلت أعظم النجاحات في عصره «عصر الجيل الأول الإسلامي» حيث أخرجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام إذ وحد شمل النفوس الضائعة وقادهم إلى أن تكون هذه النفوس الضائعة خير أمة أخرجت للناس. والنجاح الذي صاغه الرسول - ﷺ - لهو برهان قاطع على أن في شريعته الإلهية «شريعة الإسلام» العلاج الناجع لكل أدواء البشرية المعاصرة وهذا ما أراد برناردشو أن يبينه في مقولته عن الرسول.

ولا غرو أن محمداً رسول الله قد اصطفاه الله لحمل رسالته الخاتمة إلى العالمين جميعاً. حيث علّمه الله ما لم يعلم وزوده بكل المواهب والمعجزات التي تؤهله لإنقاذ الإنسان من وحل الشرور والرذائل إلى بر الإحسان والخيرات وليكون هذا الرسول بأخلاقه ودعوته وقيادته الحكيمة الأسرة المثلى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

قال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر).

محمد موسى الصفيان الرياض

إسرائيل والاستنساخ السياسي

عبر عملية جراحية ناجحة تمكنت إسرائيل من استنساخ مثيلتها والتي يبدو أنها اشترطت فيها أن يكون لها من النفوذ والسلطان ما يساعد أختها الأولى في تحقيق أطماعها وأغراضها.

وقد وُفّقت إسرائيل كل التوفيق حينما استنسخت من أميركا إسرائيل أخرى وللإنصاف فإنه استنساخ سياسي وليس شعبي، فالشعوب لا تستنسخ وتم استنساخ القادة وأصحاب مواقع التحكم، فالكونغرس الأميركي يهودي والخارجية الأميركية يهودية حتى الدفاع الأميركي لم يبعد عن متناول الذراع الطويلة، وكل هذا يعضد من شأن إسرائيل كي تزداد وقاحتها وصلافتها تجاه العرب والمسلمين وساعدها على ذلك أيضاً ضعف العرب وهوان المسلمين.

إذاً فالحل يكمن في أحد خيارين، إما قطع الرابط بين أميركا وإسرائيل، وإما أن نكون نحن العرب والمسلمين على قدر المواجهة أمام إسرائيل بوضعها الحالي، ووقوع الحل الأول أقرب ما يكون للاستحالة في أن هذه السياسة التي بها يتم قطع هذا الرابط المعضد بمصالح سياسية واقتصادية معقدة؟

وبالتالي فليس هناك حل سوى أن تزداد قوتنا بإيماننا وبخطونا خطوات جادة صحيحة نحو الرقي والتقدم متشابكة أيدينا مترابطة قلوبنا متخلصين من تبعيتنا بشتى صورها كي تكون على قدر مسؤولية المواجهة أمام أقوى حلف في تاريخنا الحديث ويجب ألا ننسى أن معنا من هو عليهم إنه الله تبارك وتعالى.

مجدي السعني مصر

ردود خاصة

● الأخ القارئ عبدالكريم إبراهيم العبدالله - السعودية -
عنوان المعهد الإسلامي في واشنطن: هو :
1320 18 th Street, N.W. Second Floor washington, D.C. 20036
Phone: (202) 955 - 7174 - Fax . (202) 785 - 0261

● الأخ محمد صديق - ماليزيا :
المجلة ليست جهة خيرية تقدم المساعدات المادية للطلبة، أعانك الله ويسر لك أمورك.

● الإخوة والأخوات : أمل زيد المجيش - السعودية، عبدالأمير الواسطي - إيران، الشيخ الفضيل الورتلاني - المغرب :
الاشتراك في المجلة لا يشكل عبئاً مالياً كبيراً، يمكنكم إرسال قيمة الاشتراك ليصار إلى إرسال المجلة إليكم، وشكراً لعواطفكم تجاه المجلة والقائمين عليها.

● السيد منصور سيد أحمد أحمد - مصر:
الأفضل أن ترسل رسالة مفصلة بموضوعك إلى الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية على عنوانها: الكويت - ص.ب: ٣٤٣٤ - الصفاة - الرمز البريدي 13035.

● القارئ محمد السباعي - المغرب:
صفحات المجلة مفتوحة للجميع ماداموا ملتزمين بنهج المجلة وقواعد النشر فيها، شكراً لكم وجزاكم الله كل خير.

دعوة لقيام مشروع فكري لدراسة السيرة النبوية

لا يخفى على أي عاقل من الناظرين بعين العقل إلى الكيان الإسلامي الذي أنزله الله وأجراه على يد رسوله - ﷺ - أن في السيرة النبوية - هذا العلم الفياض - كثير وكثير من ينابيع المعرفة التي تهيئ لنا سبلاً للدعوة إلى الله عز وجل.

ونحو مشروع إسلامي لليقظة الإسلامية وعودة الأمجاد كان لابد من أن تتجلى حقائق الإسلام أمام معتنقيه وأمام المشككين فيه أيضاً كي يتضح للجميع أن الإسلام دين عصري يجاري كل عصر وفيه من المرونة ما يكفيه لملاءمة كل زمان ومكان والسيرة النبوية كجزء مهم جداً من الكيان الإسلامي لابد من أن نتطرق إليه بشيء من الشغف والاهتمام وإني أعد هذا العلم - علم السيرة النبوية - كفيلاً بإيضاح منهج الإسلام الحقيقي السليم فكيف لا يتجلى فيه الإسلام وهو سيرة صاحب الرسالة، إذاً ففي السيرة إيضاح لحقائق الإسلام وفيها رد وإفحام لكل من حاول النيل من الدين الإسلامي متهماً إياه بأي من هذه التهم المغرضة الدنيئة التي تنال من أسماعنا ليل نهار من هنا كانت دعوتي لقيام مشروع فكري لدراسة السيرة النبوية بشكل أوسع ليكون أكثر جدوى.

مجدي السعيني - مصر

الزراعة في ميزان الشريعة

لقد منَّ الله على الإنسان بنعمتين عظيمتين هما: نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، وعن هاتين النعمتين الجليلتين تتفرع كل النعم الأخرى التي لا تحصى، ولا جرم أن الله عز وجل أوجد الإنسان وخلقه في أحسن تقويم، ثم أمده بعد ذلك بكل وسائل الإدراك في ذاته من سمع وبصر وفؤاد حتى يستطيع بذلك أن يسير وينظر في الآفاق وفي الأنفس، ومنحه أيضاً وسائل خارجية تتجلى في تسخير كل ما يوجد على الأرض بل ما في الكون كله لصالحه حتى يتمكن من أن يحيا حياة سعيدة كريمة ويحافظ على بقائه واستمرار حياته ووجوده على هذه الأرض ومن بين النعم: نعمة القوت والغذاء الذي تجود بهما الأرض على الإنسان والكائنات الحية: (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض) الحج:٦٥، (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) الملك:١٥، ولذلك ألهم الله تعالى الإنسان الزراعة وغرس الأشجار وفلاحة الأرض: (فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صباً. ثم شققنا الأرض شقاً. فأنبتنا فيها حباً. وعنباً وقضباً. وزيتوناً ونخلاً. وحدائق غلباً) عبس: ٢٤ - ٣٠.

ولعل الزراعة تأتي في مقدم كل الأوليات التي تخطر بالبال، وقد علمتنا التجارب أن من لا ينتج غذاءه لا يملك قراره في يده وهذا ما يؤكده الأثر المعروف، «ويل لأمة تأكل مما لا تزرع وتلبس مما لا تصنع»، كما أن الله تعالى يسّر للإنسان الزرع والنبات على الأسس الأربعة الضرورية لحياة الإنسان، بل الكائن الحي وهي: التراب والماء والهواء والحرارة إذ لا حياة من دون أي منها.

والإنسان بطبعه لا يقر له قرار ولا يشعر بالاطمئنان والأمان إلا إذا وجد في منطقة ذات زرع وماء، وعلى هذا الأساس شيّدت معظم المدن والتجمعات السكنية الكبرى على ضفاف الأنهار والآبار والعيون، ولذلك نجد سيدنا إبراهيم عندما حل بأم القرى مع زوجه، وهي منطقة قاحلة قفراء لا زرع فيها ولا ماء، استوحشت نفسه ولم يشعر بالأمان فما كان منه عليه السلام إلا أن يدعو ربه عز وجل أن يرحمه ويوفر له سبل العيش فيقول: (ربنا إنني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم) إبراهيم:٣٧، وهكذا الإنسان لا تقر نفسه إلا إذا توافرت له سبل الحياة ولقمة العيش التي أساسها الماء والزرع.

وإذا كان الإنسان ملزماً بغرس النبات والزرع، فإنه ملزم أيضاً بعدم التبذير في الاستهلاك: (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) الأعراف: ٦١، ولا أدل على ذلك من سيدنا يوسف الذي جعله ملك مصر أميناً على خزائنه مدبراً لشؤون الناس في أمور الاقتصاد إذ كان حكيماً في إخراج أمته من أزمة المجاعة ومواجهة سبع سنين من القحط والجدب حيث نهج سياسة تقشفية ناجحة تجاه الموقف: (فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون) يوسف:٤٧، وإن ما نراه اليوم من إسراف في الغذاء وتبذير في استهلاكه الذي بلغ حد السفه لدى بعض المسرفين من الأغنياء الذين لا يعرفون قيمة نعمة الله عليهم، حيث يقذفون بالأطعمة في قماماتهم، فلا شك أنهم سيحاسبون عليها حساباً عسيراً وعلى تبذيرها: (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) التكاثر:٨، وما سلوكهم هنا إلا نتيجة العقلية الاستهلاكية المتغربة التي تجعل الإنسان وحشاً يستهلك دون أن يلتفت إلى ذلك التوازن والاعتدال الذي يجب أن يكون عليه الإنسان المسلم، في حين أننا قد تلقينا تربية إسلامية من أسلافنا مفادها أن المرء إذا مرَّ بقطعة خبز يابسة ملقاة في الطريق ينحني ليلتقطها ويقبلها ويضعها في مكان طاهر بعيداً عن المارة، وهذا السلوك نابع من نظرة المسلم إلى الأشياء التي حوله فكلها مسخرة من الله له، والإنسان لا يعرف قيمة الشيء إلا بعد فقده، وإننا نرى اليوم هذه العلاقة الوجدانية بين الإنسان والزرع خاصة، والبيئة عامة أصبحت منعدمة نتيجة للغزو الفكري الغربي النفعي الاستهلاكي الذي لا يعرف إلا استنزاف الطبيعة وتخريب البيئة.

عبدالعزيز أبوشيار - المغرب

حدث في مثل هذا الشهر

بقلم : وائل أحمد الهنيدي

إن أول شهور السنة الهجرية هو شهر الله المحرم، لكن ترى ما سبب اختياره ليكون أول أشهر السنة الهجرية، مع أن الهجرة تمت كما هو معلوم في ربيع الأول؟

يذكر الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه «فتح الباري» سبباً وجيهاً حيث يقول: «قيل الحكمة في جعل المحرم أول السنة: أن يحصل الابتداء بشهر حرام، ويختم بشهر حرام، وتتوسط السنة بشهر حرام وهو رجب، وإنما توالى شهران - محرمان - في الآخر لإرادة تفضيل الختام والأعمال بالخواتيم»(١).

ولم يكن رسول الله - ﷺ - ليهتك حرمة هذا الشهر، فلم يحفظ عن النبي - ﷺ - أنه غزا في شهر حرام ولا أغار فيه ولا بعث فيه سرية(٢).

ولم يكن رسول الله ﷺ - أيضاً - ليترك الشهر دون أن يفيد منه، ففي شهر المحرم سنة سبع للهجرة، وبعد صلح الحديبية الذي تم في ذي القعدة من العام السادس للهجرة، بدأ رسول الله ﷺ - بإرسال الرسل إلى ملوك الأرض يدعوهم فيها إلى الإسلام، فاستغل الشهر الحرام تأميناً لأصحابه طريق سفرهم، وحفظاً لهم من إغارة مباغتة عليهم من قبل المشركين، وبخاصة بعد الصلح الذي عدُّوه تنازلاً، ورجعوا إلى مكة وهم موهومون بنصر مزعوم، ولّما يدركوا أنهم لا يتعاملون مع حلف جاهلي، لا ينظر أبعد من وضع السلاح والمكوث في انتظار انقضاء العهد، إنهم يعاملون نبياً رسولاً، جاء بشرعة الله لينشرها في الناس كافة، لا أن يحارب ويبعث السرايا فحسب، أو أن يعلّم في إطار المدينة التي يسكنها والقبائل المحيطة بها تعاليم الدين، لقد جاء مبعوثاً بالحق إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً لا تحده أرض ولا يحصر دعوته في جنس من البشر.

قد خرج في يوم واحد ستة من الصحابة كل منهم إلى ملك من ملوك الأرض آنذاك يحمل كتاب رسول الله - ﷺ - إليه مكتوباً بأمر رسول الله وممهوراً بخاتمه الشريف، وكان نقشه: محمد رسول الله على ثلاثة أسطر(٥)، واختار الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - لهذه المهمة من يصلح لها من الصحابة من ذوي الكفاءات الخاصة، فكل منهم - بالإضافة إلى تمام خَلقه وخُلقه - كان يتكلم بلسان القوم الذين أرسل إليهم(٦)، ليكون أقدر على نقل ردودهم إلى الرسول - ﷺ - من قبول أو رفض، وصورة القبول، وصورة الرفض، والأسباب التي أدت إلى كلتا الحالين.

ومن تلك الصور المشرقة في قبول الرسل وإكرام الرسائل التي أرسلت معهم، ما كان من أمر نجاشي الحبشة عندما حمل إليه الصاحبي الجليل: عمرو بن أمية الضمري كتاب رسول الله - ﷺ - فما أن دخل عليه الرسول ودفع إليه الكتاب حتى وضعه على عينيه «ونزل من على سريره فجلس على الأرض تواضعاً، ثم أسلم وشهد شهادة الحق، وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته»(٧).

ومن ملوك الممالك آنذاك من رفض الكتاب واستكبر عليه ومزّقه مثل كسرى الفرس، ومنهم من كان خوفه على زوال ملكه أعظم من خوفه من الله مثل هرقل حين صارح قومه بقبول الكتاب فثاروا عليه فارتد، وبرر ارتداده أنه أراد معرفة التزام قومه وتمسكهم بدينهم! وكل منهم - سواء من قبل أو رفض أو نافق - لم يكن ليطفئ نور الله ولا أن يزيد فيه، فالله سبحانه وتعالى يقول: (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) الإسراء:٧. والله سبحانه وتعالى غنيٌّ عن إيمان المؤمن وكفر الكافر كما هو معلوم ومقرر في علوم العقيدة، ومعلوم ومقرر في علم العقيدة أيضاً، أن الإنسان خلق مخيراً، في ما يكون داخلاً تحت محض إرادته من أفعال وأقوال، إلا أن الإنسان متى تقرّب إلى الله زاده الله قرباً منه إكراماً له، ومتى عصى وتكبّر وصد زاده الله عصياناً وتكبّراً وجحوداً إهانة له، وعلى هذه الحقيقة تقوم الدعوة في الإسلام، لأن العبادات - كلها - في الدين تهدف في الأساس إلى ربط الإنسان بربه مشرعاً وهادياً ومعطياً ومانعاً، وتطوع النفس البشرية للاستسلام لشرع الله وهديه الذي يكفل له حياة رغدة مليئة بالإنجاز والبناء والعطاء، ويجعل له - إن ضبط نفسه وترقى بها في العبادات - نوراً يمشي به في الناس، ولذلك كان إرسال الرسل إلى ملوك الأرض بعد مضي ستة أعوام، يتعلم المسلمون فيها أصول دينهم ويزكون فيها نفوسهم ويطهرونها مما علق بها من أدران الجاهلية ورعوناتها، ليدلنا الرسول الكريم - ﷺ - إلى حقيقة يغفل عنها بعض العاملين في حقل الدعوة، ألا وهي أن يبدأوا بأنفسهم، يأخذونها من جميع أطرافها بالتطهير والتزكية والترقي في العبادة ليكونوا مؤهلين - بحق - لنشر دعوة الله في الأرض، وليكونوا منارا هادياً وأنموذجاً راقياً، يهمه الإنسان وكيف يتألفه ويتفانى في انتشاله من ظلمة الجهل إلى نور الهداية، بوسائل مشروعة، وضمن الأمكانات المتاحة.

وكما أرسل الرسول - ﷺ - الرسل إلى ملوك الأرض في مثل هذا الشهر من العام السابع للهجرة، فقد جهز جيشاً - في نهاية الشهر ذاته في السنة ذاتها - لغزو خيبر.

تُرى ما يميز هذه الغزوة عن غيرها، وما أهم الأحداث التي تمت في شهر صفر، هذا ما سنعرفه إن شاء الله في العدد القابل. ■

الهوامش :

١ - فتح الباري - ابن حجر العسقلاني - باب: حجة الوداع - ج٩ - ص ٨٨ - الطبعة الثانية - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢ - زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن قيم الجوزية - المجلد الأول الجزء الثاني - فصل ما كان في غزوة خيبر من الأحكام الفقهية.

٣، ٤، ٥ - طبقات ابن سعد باختصار ٣٢/٢.

الكليب : نجني ثمار غرس سموكم الطيب لرعاية أبنائكم

الأمير كرّم الفائزين في مسابقة حفظ القرآن الكريم

استقبل أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح يوم ١٩٩٩/٣/١٦م وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب يرافقه رئيس وأعضاء اللجنة الدائمة لمسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده حيث قدموا لسموه الفائزين في المسابقة للعام ١٤١٩هجرية ١٩٩٨م

وقد وجه وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية كلمة بهذه المناسبة، أعرب فيها عن تقديره وشكره لما خصّ به سموه كتاب الله عز وجل من المنزلة الأسمى، حيث إن اهتمام سموه بكتاب الله وحرصه على تطبيق شرائع المولى عزّ وجل المنزلة فيه وتكريمه لحفظته والقائمين على أمر رعايته ونشره والعمل بإرشاده وهديه لشاهد حق على حمل سموه للأمانة والسير في درب السلف الصالح في طريق النور والهداية.

وقال وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في كلمته «ها نحن نقف بين يدي سموكم اليوم وقد جنينا ثمار غرسكم الطيب لرعايتكم الكريمة لأبنائنا وبناتنا الذين تلهج ألسنتهم بكلمات الله.

● وزير العدل وزير الأوقاف

وأضاف: لقد وضعتم سموكم القرآن الكريم في المنزلة الأسمى لتتوج به كل الأعمال ونحن نشكر الله تعالى الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله».

وأشار إلى أن المسابقة التي تنظمها الأمانة العامة للأوقاف على مستوى دولة الكويت تؤازرها في ذلك ٢٣ جهة من المؤسسات المعنية برعاية القرآن الكريم وتنظيم أنشطة شبابية.

وأضاف إن تفضل سمو أمير البلاد برعاية مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده له الأثر الأكبر في نفوس المواطنين والمؤسسات العاملة على خدمة كتاب الله الكريم.

وذكر أن عدد الجهات المساهمة في هذا العمل بلغ ٢٣ جهة بين حكومية وأهلية قدمت ما يقرب من ثلاثة آلاف مشارك ومشاركة لخوض المسابقة الثالثة.

وأفاد بأنه تم اختيار المشاركين من قاعدة عريضة من أبناء وبنات الكويت الذين أقبلوا راغبين في نيل حظهم من مائدة القرآن الكريم، مشيراً إلى أن عدد المشاركين لخوض التصفيات النهائية بلغ ١٢٠٨ منهم ٥٦٠ من الذكور و٦٤٨ من الإناث.

ووجه أحد الفائزين كلمة عبّر فيها عن عميق الشكر والتقدير للدعم والتكريم الأميري السامي في رعاية كل ما يتعلق بخدمة ديننا الحنيف.

وقد كرّمهم سموه بالهدايا التذكارية تشجيعاً لجهودهم في حفظ القرآن وتدارس علومه حاثاً إياهم على التمسك به فهو خير للهدى وأشرف للحق وأقوم للسلوك متمنياً لهم التوفيق والنجاح.

وحضر المقابلة وزير شؤون الديوان الأميري الشيخ ناصر المحمد الأحمد الصباح. ■

وزير الأوقاف افتتح المركز الكويتي السنغالي للتنمية

افتتح وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد الكليب في دكار مشروع المركز الكويتي السنغالي للتنمية الاجتماعية، الذي يعتبر من أكبر المشاريع الذي ينفذها بيت الزكاة في قارة أفريقيا، وقد أسهم في تمويل المشروع المرحوم محمد عبدالمحسن الخرافي وعدد من المحسنين في الكويت فضلاً عن تبني بيت الزكاة باقي أقسام المشروع.

وقد تم افتتاح المشروع تحت رعاية رئيس جمهورية السنغال عبده ضيوف الذي استقبل الوزير الكليب في مكتبه. وتقدر تكلفة المركز الإجمالي بنحو ٣٨٠ ألف دينار ويشتمل المركز على مستوصف مكون من ثلاثة أدوار ومسجد تبلغ مساحته ٢٨٥ متراً مربعاً ومدرسة ومعهد تدريب مهني مكون من ثلاثة أدوار ومبنى خاص بإدارة المركز وصالة متعددة الأغراض ومكتب لبيت الزكاة وناد اجتماعي مكون من دورين ومكتبة للأطفال الأيتام وقاعة خاصة لأيتام النادي، وسيستخدم المركز الأطفال الأيتام الذين يكفلهم بيت الزكاة في السنغال وعددهم نحو ٣٥٠ طفلاً. ■

كتب : تمام أحمد

تجاوب إسلامي مع محنة كوسوفا

أدت حملات التطهير العرقي التي يقوم بها الجيش الصربي ضد الألبان من أصل ألباني في إقليم كوسوفا منذ بداية الضربات الجوية لحلف الأطلسي على يوغسلافيا في ٢٤ مارس الماضي إلى لجوء مئات الآلاف من الألبان إلى البلدان المجاورة هرباً من الموت، وقد أعلنت المفوضية العليا التابعة للأمم المتحدة أن الوضع الذي يعيشه لاجئو كوسوفا بلغ حد الكارثة وأن جميع المنظمات الإنسانية لم تعد قادرة على تلبية حاجات اللاجئين، وانطلاقاً من هذا الوضع المأساوي تنادت دولة الكويت أميراً وحكومة وشعباً لنصرة مسلمي كوسوفا، فقد أمر حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح يوم ١٩٩٩/٤/٤م بإرسال معونات ومواد إغاثة بصورة عاجلة للمساعدة في رفع المعاناة عن شعب كوسوفا المسلم إزاء ما يتعرض له من قتل وتشريد على أيدي القوات الصربية.

● معونات كويتية عاجلة لشعب كوسوفا

مليون دولار من أمير البلاد

ومن جهة أخرى، صرح نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء عبدالعزيز الدخيل بأنه وفي إطار متابعة سمو الأمير واهتمامه البالغ بما يتعرض له شعب كوسوفا المسلم من مظاهر القتل والتشريد والتهجير القسري على أيدي القوات الصربية. فقد قرر سموه التبرع باسم أسرة الصباح الكريمة بقيمة مليون دولار أميركي، وذلك تجسيداً لحرص سموه على الإسهام في رفع المعاناة عن شعب كوسوفا المسلم إزاء المآسي الإنسانية التي يتعرض لها أبناؤه الأبرياء داعياً المجتمع الدولي إلى تكثيف جهوده لإنهاء هذا الوضع المأساوي الخطير.

كما وجه مجلس الوزراء النداء العاجل لجميع الجمعيات والمؤسسات الإنسانية والخيرية في الكويت وخارجها للمبادرة في تفعيل دورها الإيجابي وتقديم كل عون ممكن لمواجهة هذا الواقع المأساوي الأليم.

وفي هذا الصدد عبّر المجلس عن بالغ الاستياء والقلق إزاء ما يجري في إقليم كوسوفا من مآس إنسانية تتمثل بالقتل والتشريد والتهجير القسري التي يتعرض له الأبرياء في كوسوفا، ومجلس الوزراء إذ يدين هذه الأعمال الإجرامية التي ترتكبها القوات الصربية، وما تمثله من انتهاكات للمواثيق الدولية، ليؤكد وقوف دولة الكويت إلى جانب شعب كوسوفا المسلم ويطالب المجتمع الدولي بتكثيف الجهود الجادة الوقف عمليات الإبادة والتطهير العرقي التي يتعرض لها الضحايا الأبرياء في كوسوفا، واتخاذ الإجراءات العملية الكفيلة بإنهاء هذا الوضع الإنساني المأساوي واستعادة السلام والاستقرار إلى منطقة البلقان، وفق ما تم التوصل إليه في مؤتمر السلام الذي عقد في رامبوييه.

مجلس الأمة يدعو لوقف العدوان

ناشد مجلس الأمة الدول المحبة للسلام وضع حد عاجل للاعتداءات الصربية على شعب كوسوفا ووقف كل أشكال التعاون مع الحكومة اليوغسلافية حتى توقف ما ترتكبه من مجازر في حق المسلمين.

كما ناشد الحكومة تقديم العون لمسلمي كوسوفا ودعم جهودهم.

وجاء في البيان ما يلي:

بيان صادر عن مجلس الأمة في دولة الكويت بالجلسة التي انعقدت في ١٩٩٩/٤/٦.

حول الممارسات التعسفية ضد المسلمين في إقليم كوسوفا

إن مجلس الأمة الكويتي وهو يتابع بقلق بالغ يمتزج بشعور يتفجر بالحزن وينبض بالأسى ما تقوم به السلطات اليوغسلافية ضد المسلمين في البلقان وإقليم كوسوفا، من عربدة بقوة السلاح وقتل وتشريد لمئات الآلاف من المدنيين العزل من السلاح بوحشية مجردة من الرحمة والإنسانية، وما تقوم به من الإفساد والحرق والتدمير للقرى الآمنة دون أن تجد لها رادعاً أو مانعاً مما يدعو المجلس إلى تأكيد أن هذه الاعتداءات والممارسات الإرهابية ضد المدنيين تنفر منه الأعراف الدولية ومواثيق الأمم المتحدة وتمثل تحدياً صارخاً لقواعد القانون الدولي ومبادئ الشرعية فضلاً عما تنطوي عليه من تحديات سافرة لحقوق الإنسان والقيم والأخلاق والأعراف.

إن مجلس الأمة وهو المعبر عن ضمير الشعب الكويتي يتابع عن كثب هذه المأساة الدامية ويدرك آثارها المدمرة على شعوب البلقان وما يتعرض له المسلمون من قتل وتشريد ويستذكر الأمس باليوم لتوحد المواقف بين الأعمال البربرية للقوات الصربية في كوسوفا وتصرفات النظام العراقي وجنوده إبان غزوه لدولة الكويت والتي أغار عليها بجحافله وأسلحته ليهلك بها الحرث والنسل ويشيع الرعب في القلوب وينشر في الأرض الفساد والنهب والسلب والحرق والتدمير وانتهاك أقدس الحرمات واستباحة الأعراض والأرواح، وهو الأمر الذي يدعو مجلس الأمة إلى مناشدة دول العالم المحبة للسلام ويستنهض ضمائرها لوضع حد عاجل لهذه الاعتداءات، ووقف هذا العدوان الهمجي على السكان الآمنين واتخاذ موقف حازم تتضافر فيه جهود قوى العالم المتحضر لوقفها، ووقف جميع أشكال التعاون مع الحكومة اليوغسلافية حتى توقف ما ترتكبه من مجازر ومذابح في حق المسلمين.

● حضور كويتي في مخيمات اللاجئين

● رعاية طبية عاجلة

كما يهيب بحكومة الكويت وشعبها المبادرة إلى تقديم يد العون والوقوف بكل إمكاناتهم المادية والأدبية إلى جانب الإخوة المسلمين في كوسوفا في محنتهم تخفيفاً لمعاناتهم ودعماً لصمودهم في مواجهة قوى البغي والعدوان.

موقف موحد لجمعيات النفع العام

وفي الوقت نفسه، أصدرت جمعيات النفع العام الكويتية بياناً أعلنت فيه تضامنها مع شعب كوسوفا المضطهد، وناشدت كل الحكومات الإسلامية والجمعيات والمنظمات والهيئات الخيرية في العالم الإسلامي وكل مسلم حر أن يهبّ لمساعدة إخوانه الذين يتعرضون للعدوان الوحشي العنصري الصربي، وفي هذا الإطار أقامت جمعية الإصلاح الاجتماعي بالاشتراك مع جمعيات النفع العام الكويتية مهرجاناً تضامنياً مع الشعب الكوسوفي المضطهد تحت رعاية رئيس مجلس الأمة الأستاذ أحمد عبدالعزيز السعدون.

اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة توجه نداء

في غضون ذلك وفي إطار الجهود المبذولة لنصرة شعب كوسوفا على كل صعيد،

اجتمعت اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة والتي تضم جميع اللجان الخيرية الكويتية وتدارست الأوضاع في كوسوفا، وحدوث نوعية مواد الإغاثة العاجلة لإرسالها إلى كوسوفا على جناح السرعة، ووجهت نداء لجميع المواطنين والمقيمين للتبرع لمساندة مسلمي كوسوفا كما أرسلت وفداً إغاثياً!! ألبانياً لدراسة الموقف عن كثب وتحديد الاحتياجات على ضوء التقارير الميدانية.

تجاوب إسلامي مع محنة مسلمي كوسوفا

هذا، وقد عكست محنة المسلمين في كوسوفا المواقف الإيجابية الطبية لجميع مسلمي العالم على مستوى الحكومات والشعوب تجاه إخوانهم في العقيدة الذين يتعرضون لأبشع مؤامرة عنصرية، وانهالت التبرعات العينية والمادية من كل حدب وصوب ما يؤكد أن أمتنا لا تزال بخير على الرغم مما أصابها من وهن وضعف بفعل مؤامرات الأعداء والخصوم وفي هذا السياق أدانت رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وبشدة ما يتعرض له مسلمو ألبان كوسوفا من قتل وتشريد، وأعربت عن الحزن والألم لما يجري خلف الحدود المقفلة للإقليم المسلم بسبب الجرائم الصربية التي أحرقت ودمرت كل شيء.

وقال الدكتور عبدالله بن صالح العبيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ورئيس مجلس إدارة هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية إن الصرب ما زالوا ينفذون سياسة الأرض المحروقة لتفريغ الإقليم من سكانه المسلمين، وشرح الدكتور العبيد ما قدمته لجنة الإغاثة العاجلة في هيئة الإغاثة الإسلامية التابعة للرابطة منذ تفجر الأزمة العام الماضي، مشيراً إلى أن الهيئة خصصت معونة عاجلة قدرها ١٥ مليون ريال، إضافة إلى مساعدات غذائية ودوائية وخيام وكساء تقدر تكلفتها بأكثر من ٣٠ مليون ريال، وكذلك مساعدات نقدية عاجلة سلمت لمشيخة كوسوفا قبل تفاقم الأزمة من كل من الرابطة والهيئة.

وأشار إلى أن الرابطة عممت على جميع مكاتبها الإسلامية التابعة لها لجمع التبرعات، وكذلك على تقديم العون الغذائي لشعب كوسوفا وتخفيف معاناة الأطفال والنساء، كما بعثت بتعاميم أخرى باللغة الإنكليزية إلى تسع منظمات دوائية تحضها على اتخاذ الوسائل الممكنة للضغط على حكومة بلغراد من أجل السماح بوصول المواد الإغاثية إلى شعب كوسوفا.

وأضاف الأمين العام للرابطة أن مخزون مستودعات الهيئة بلغ حتى الآن ٥٤ حاوية كما تم تجهيز ٢٠ حاوية أخرى تحتوي على ملابس وأحذية وبطانيات وأدوية وتمور ومواد غذائية متنوعة.

كوسوفا... حقائق وأرقام

- الموقع: شبه جزيرة البلقان وهو موقع حساس يربط شبه جزيرة البلقان كله وكذلك البحر الأدرياتيكي يحدها من الشرق والشمال الغربي الجبل الأسود من الجنوب الغربي ألبانيا ومن الجنوب والجنوب الغربي مقدونيا.
- المساحة: ١٠٨٧٧ كم٢.
- عدد السكان: ٢,٢ مليون نسمة.
- عناصر السكان: ٩٠٪ ألبان - ٤٪ صرب، ٢٪ أتراك، ٢/ بوسنيون، ٢/ قوميات أخرى.
- العاصمة والمدن المهمة: العاصمة: برستينا، وأهم المدن: متروفيشا، بيا، جاكوفا، برزرن.
- دخول الإسلام: دخلت المنطقة الإسلام بعد الانتصار العثماني الساحق على الصرب في معركة كوسوفا الأولى العام ١٣٨٩، والذي قاده السلطان مراد الأول، وأتمه ابنه بايزيد ثم شهدت أرض كوسوفا انتصاراً عثمانياً ثانياً العام ١٤٤٨م قاده السلطان مراد الثاني ضد تحالف القوات المجرية - ال..... (الرومانية).
- بدأ الانحسار السياسي للعثمانيين العام ١٥٧١م بعد هزيمتهم في معركة ليبانتو البحرية وفشل حصارهم لمدينة فيينا عاصمة الإمبراطورية النمساوية.
- بعد الانسحاب العثماني من منطقة البلقان العام ١٨٧٨ اتجهت أعين صربيا لابتلاع البوسنة وكوسوفا.
- أعلن الألبان استقلالهم في أثناء الحرب البلقانية - العثمانية العام ١٩١٢م بعد أن تحول أغلبيتهم إلى الإسلام.
- وزعت الدول الغربية المنتصرة في حرب البلقان في لندن العام ١٩١٤م أجزاء من الأراضي الألبانية على المنتصرين، فتناقصت مساحة ألبانيا من ٧٠ ألف كم٢ إلى ٢٩ ألف كم٢.

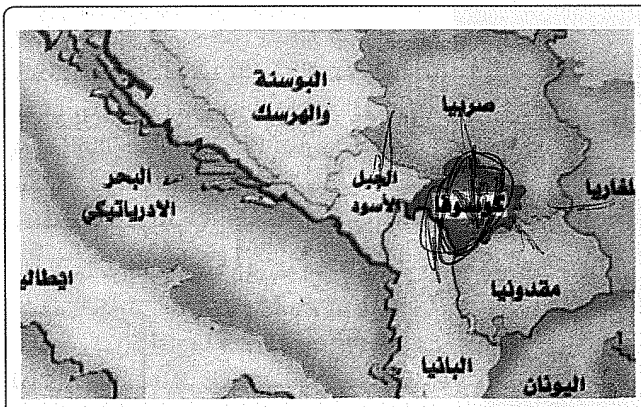

- كانت كوسوفا هي الجائزة التي فازت بها المملكة الصربية.
- ارتكب الصرب مذابح رهيبة بعد انسحاب العثمانيين من كوسوفا فقتلوا وهجروا الألوف في عملية تصفية الحسابات والثأر من هزيمتهم أمام العثمانيين في القرن الرابع عشر الميلادي.
- ألحق إقليم كوسوفا بصربيا العام ١٩٤٥م، بعد وصول الشيوعيين للحكم في نهاية الحرب العالمية الثانية.
- أصبحت كوسوفا إقليماً ذا حكم ذاتي بموجب الدستور اليوغسلافي الذي صدر العام ١٩٤٦م.
- ألغي الحكم الذاتي في كوسوفا العام ١٩٦٣م.
- استعاد الألبان حقهم في الحكم الذاتي العام ١٩٦٩م بعد مقاومة شديدة.
- في الدستور اليوغسلافي الذي صدر سنة ١٩٧٤م تم تثبيت الحكم الذاتي للإقليم.
- في ٢٣ مارس ١٩٨٩م ألغي الحكم الذاتي لكوسوفا وعادت الهيمنة الصربية عليه ومازال الأمر كذلك حتى انفجار الأحداث الحالية في كوسوفا.

بقلم : د. أحمد عبدالوارث مرسي

رحمة الإسلام ووحشية الصرب

الرحمة، شعور داخلي جارف في نفس الإنسان يجعله يحسُّ بآلام الآخرين، ويرق لهم ويحنو عليهم، ويسعى لإزالة مشاكلهم ويشاركهم في كل ما يَعِنُّ لهم من أمور الحياة، فهي - بهذا - نقيض التبلُّد في المشاعر والأحساسيس وعدم التأثر بالآخرين وحياة الإنسان لنفسه فقط.

وهي من صفات الله - عزَّ وجلَّ - التي يتجلى بها على الخلائق في الدنيا والآخرة، ومن ثمَّ كان مُفْتتح كتاب ربنا - جلت قدرته - بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»، فهو رحمن في الدنيا ورحيم في الآخرة أو هما معاً في الدنيا والآخرة، وهاتان الصفتان هما اللتان تبعثان في الكون الطمأنينة والأمن والسلام ومن هنا فقد كان تسبيح الملائكة: (... ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابو واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم. ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم. وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم)(١) صدق الله العظيم. ولولا رحمة الله العظيم لهلكت الخلائق كلها، فهو سبحانه أرحم على الإنسان من نفسه على نفسه ومن الوالدة على ولدها وفي الحديث الذي رواه البخاري عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه - أنه قدم على رسول الله بسبي فإذا امرأة من السبي تسعى قد تحلَّب ثديها. إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا والله وهي تقدر على ألا تطرحه: قال: فالله تعالى أرحم

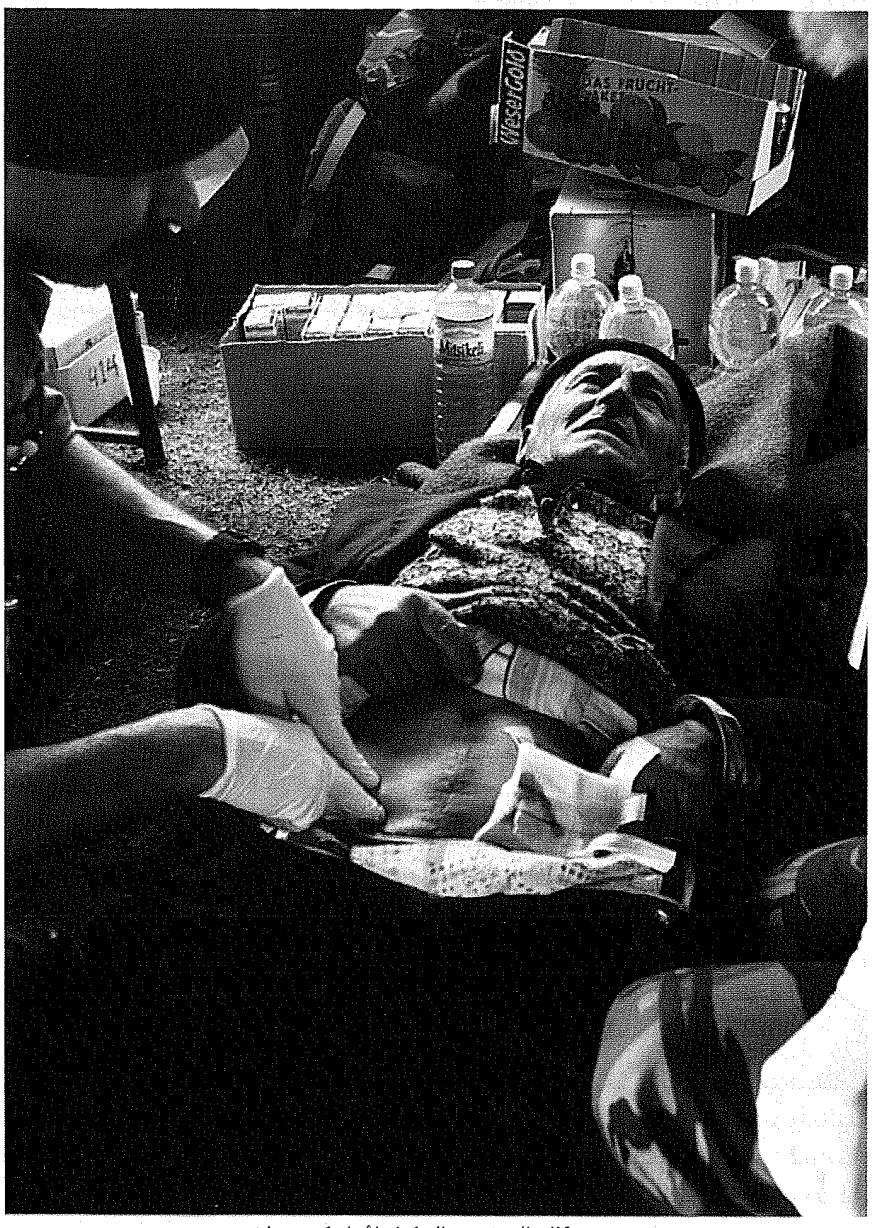

● آثار التعذيب والتنكيل لأبناء كوسوفا

بعباده من هذه بولدها»(٢)، ذلك لأن رحمة المولى جلت قدرته ليس لها حدٌّ ولا عدٌّ.

فما نراه من تراحم بين سكان الكوكب الأرضي من إنسان أو حيوان وخلافه ومن لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ما هي إلا جزء من مئة جزء من رحمته جلّت قدرته، ومن ثمَّ فإن الرحمة كانت هي الطابع المميز لدين الإسلام، فلقد اختار الله له محمداً صلى الله عليه وسلم، وقد سكب في قلبه من العلم والحلم والرحمة الشيء الكثير ليكون بالناس رحيماً رؤوفاً فينتشر دين الله بالمرحمة واللين قال تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله...)(٣) ومن هنا كانت دعوة الرسول لأمته أن يكونوا رحماء متعاطفين حتى يسود السلام والوئام بين الناس، بل إنه ليعلق صفة الإيمان على التراحم فيقول: (لن تؤمنوا حتى ترحموا، قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم، قال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة...»(٤).

وحيثما رأينا الفظاظة والغلظة وقسوة القلوب في أي مكان من العالم علمنا أنهم محرومون من الرحمة وقد غابت عنهم تماماً ولا نستطيع أن نحكم على هؤلاء بأنهم حيوانات لأننا بذلك نكون قد ظلمنا تلك المخلوقات التي يسود بينها التراحم والتعاطف والتآلف.

إن ما يجري في البلقان اليوم من تشريد للأبرياء وقتل للضعفاء وتعذيب وتنكيل للآمنين من شعب «كوسوفا المسلم على يد مجرم الحرب وديكتاتور هذا القرن رئيس الصرب وأتباعه (قاتلهم الله أنى يؤفكون)(٥) لأكبر دليل على أنه لا يوجد في قلوب هؤلاء رحمة ولا إنسانية وليس بعد الكفر ذنب، إنهم دعاة الحضارة وسدنة المدنية - كما يدّعون كذباً وزوراً وبهتاناً - وها هو قناعهم الزائف قد سقط وظهروا على حقيقتهم وظهرت المدنية الغربية الزائفة في أجلى صورها، هذه هي المدنية التي يحلم بها من ينتسبون إلى الإسلام ويتمنون لو يعيشون على طريقة الغرب وفي أحضان ما يسمونه بالتحضر، فهل من الحضارة أن يمحى شعب بأسره لمجرد أنهم ينتمون إلى أصول

● حرق بيوت المسلمين في كوسوفا

ألبانية مسلمة، وهل من رقة الأحاسيس أن نرى على شاشات التلفاز دموع الأطفال تنهمر لفقد ذويهم على يد حضارتهم، وهل من رقة المشاعر أن نرى الشيخ الفاني يتيه في الفلوات بلا مأوى؟ وأي مدنية تلك التي تحرق البيوت على أصحابها الآمنين، وتقتل المسلمين بالآلاف وتعذب وتطرد وتشرد.

هل الحضارة والرقي - في نظركم - عمارات شاهقة وسيارات فارهة وكراهية لكل مسلم وخلاعة وعري وترف ومجون؟ إذا كانت هذه حضارتكم فبئس القوم أنتم وبئست المدنية مدنيتكم، وبئس علماً ما وصلتم إليه.

إن الحضارة الحقيقية في تعاليم الإسلام الحنيف، في الاستمساك بكتاب الله تعالى والعمل بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولتشهد على الإسلام حضارة الأندلس الزاهية طيلة ثمانية قرون فأنقذتهم من مهاوي الضلال والتخلف وارتفعت بهم إلى قمم العلا وذرا المجد والرفعة.

إن ما يجري في البلقان اليوم ليجعل العالم يقف بأسره إجلالاً واحتراماً وتعظيماً للإسلام بمبادئه السمحة وتعاليمه العظيمة، ولنقلب صفحات الإسلام الخالدة ولنعد إلى غزوة أحد وقد حاول المشركون اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم وألجأوه إلى حفرة ليكب فيها ونظر إلى زهرة أصحابه فوجدهم مضرجين بدمائهم على الثرى ونظر إليه بقية أصحابه فإذا خده قد شُقَّ وسنه قد سقطت، فقيل له ادع على المشركين فغلبه رفقه حتى كان دعاؤه: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» وجاءت أحاديثه حاضة على الرحمة داعية إليها فهو القائل: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»(٦)

ولا تقتصر الرحمة في الإسلام على التراحم بين الجنس البشري فحسب، ولكن تعداه إلى الرحمة حتى بالحيوان، فلقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفَّه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله تعالى له، فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجراً؟: قال: «في كل كبد رطبة أجر».

وفي رواية: «أن امرأة بغياً رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر، قد أدلع(٧) لسانه من العطش، فنزعت له موقها(٨) فغفر لها به».

هذا هو الإسلام وهذه حضارة الغرب، إن حضارة الإسلام حضارة روحية تسمو بالإنسان وترتقي به إلى القمم السامقة تحقيقاً لقول الله تعالى: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين...)(٩)، فإذا شعر الإنسان بآدميته استطاع أن يحقق نهضة في مجتمعه وحضارة لأمته فتكون حضارة مادية مرتبطة على حضارة روحية أولاً وهو ما ذكرناه عن الحضارة الإسلامية في بلادهم تلك الحضارة التي كانت هي الأساس في كل ما وصلوا إليه من علم ومعرفة.

أما حضارتهم فهي الحضارة المادية الزائفة التي تقوم على حساب كرامة الفرد الذي هو مسمار في آلة حضارتهم.

إن الذين يروّجون لحضارة الغرب ويعتبرونها أم الحضارات ويرتمون في أحضانها عليهم الآن أن يقفوا مع أنفسهم وقفة متأنية ويعملوا عقولهم ويروا ما يحدث لهذا الشعب الآمن شعب كوسوفا ومن قبله شعب البوسنة والهرسك من قتل وتشريد وطرد وخرق، عليهم أن يسألوا أنفسم، هل هذه هي الحضارة، وهل هذا هو الرقي والتطور والمدنية؟ وليستمعوا إلى الإجابة من ضميرهم ووجدانهم وإنسانيتهم ثم بعد ذلك يكوّنون لأنفسهم موقفاً واضحاً من هذه الحضارة الممزقة البالية. إلا إذا كان الحقد على الإسلام قد أعماهم لأن علمانيتهم تضع حاجزاً بينهم وبين ضمائرهم.

إن الحال لن يدوم، فدوام الحال من المحال، ولسوف يعود هؤلاء المشردون إن عاجلاً أو آجلاً إلى دورهم وأوطانهم وستدور الدائرة على الطغاة العاتين: (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)(١٠) صدق الله العظيم.

فلن يكون مجرمو الصرب وأحجار الجبل الأسود أعتى من فرعون وهامان ولن يكونوا أقوى من الفراعين على امتداد التاريخ الذين أذلهم الله وسامهم سوء العذاب ثم ألقى بهم في قمامة القرون ولن يخلف الله وعده الذي وعد به المؤمنين في محكم كتابه (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)(١١)، وقوله ـ جلت قدرته ـ: (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)(١٢) صدق الله العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ■

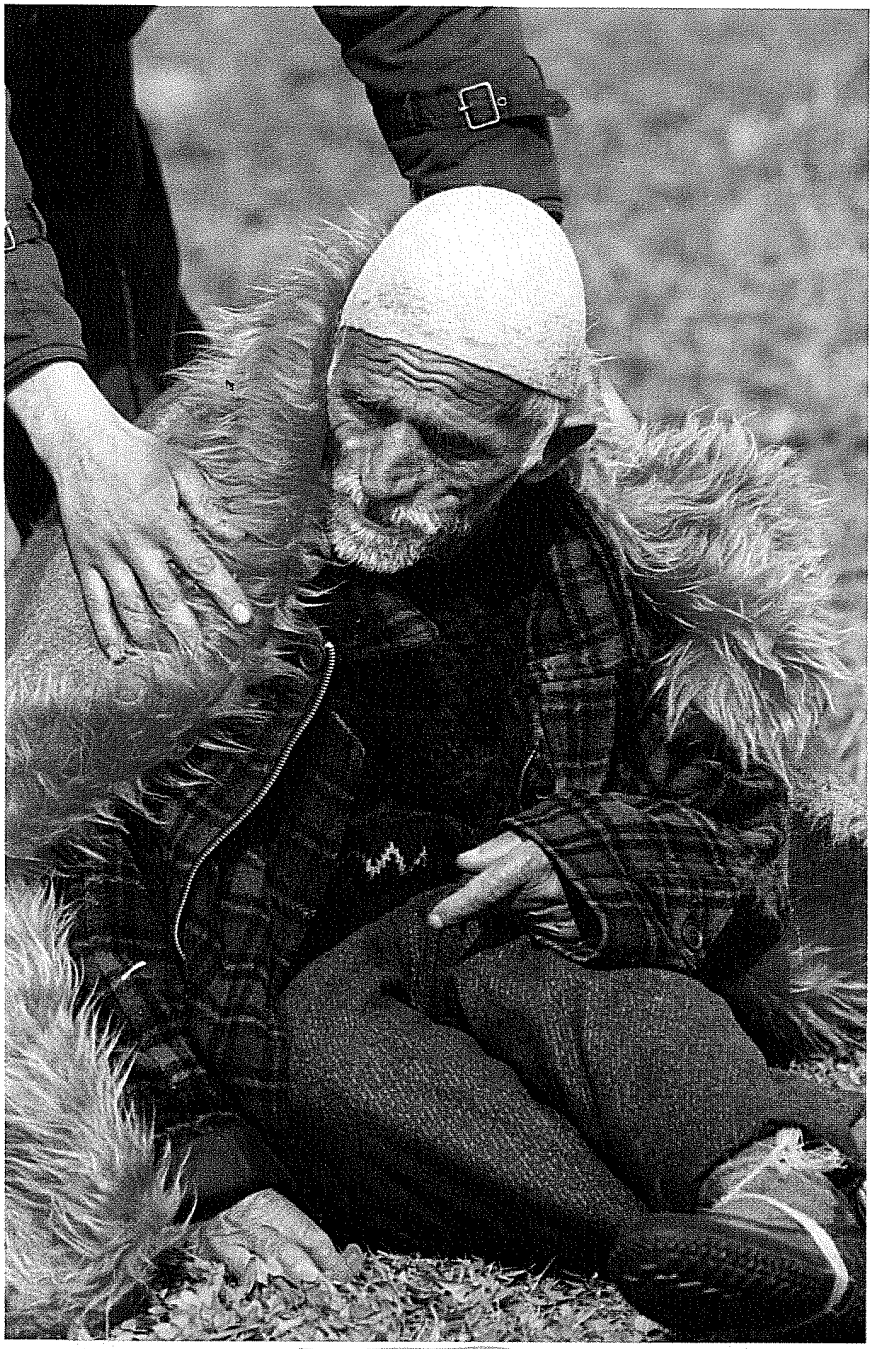

● لم يرحم الصرب شيخوخته

الهوامش:

١ ـ غافر: ٧ـ٩.
٢ ـ رواه البخاري.
٣ ـ آل عمران: ١٥٩.
٤ ـ رواه الطبراني.
٥ ـ التوبة: ٣٠.
٦ ـ رواه البخاري ورواية مسلم، لا يرحمه الله عزَّ وجلَّ ٧٧/١٥.
٧ ـ أدلع: أخرج.
٨ ـ موقها: خفها.
٩ ـ المنافقون: ١٨.
١٠ ـ الشعراء: ٢٢٧.
١١ ـ الروم: ٤٧.
١٢ ـ غافر:٥١.

كوسوفو الذبيح الثاني

أيُّ وحشٍ في حَشَا الإنسانِ
أيُّ غُولٍ شَطَّ في الطُّغيانِ؟
أيُّ حقدٍ ينفثُ النارَ ثَوَى
في صدورِ الصِّرْبِ من أزمانِ؟
أيُّ كيدٍ يُفْتَنُ القومُ بهِ؟
أيُّ مكرٍ غابَ عن شَيطانِ؟
أيُّ عنفٍ أبدعَ الصربُ لهُ
آلةَ الحربِ لظى النيرانِ؟
أيُّ بطشٍ يَبلُغُ الصربُ المدى
قسوةَ التنكيلِ والعُدوانِ؟
أينَ من هذا الضواري كلُّها؟
بطشُها قد هانَ في الميزانِ
قسوةٌ كم تُذهلُ التاريخَ إذْ
طافَ بالآثامِ من إنسانِ
جَبروتٌ يمتطي الغدرَ فَهَلْ
نبتغي في الصربِ من إحسانِ؟
تعرفُ الدنيا عن الصربِ الأذى
أشعلوا النيرانَ في الأكوانِ(١)
كلُّ صِقْعٍ ناشَهُ مِنْ شَرِّهم
شهُبٌ والبَدْءُ في البلقانِ
«بوسنةٌ» جرحُ الضحايا نازفٌ
راعها واليومَ في الألبانِ
ذنبُهم في أنَّهم قد أسلموا
فطغى أعداءُ للأديانِ

شعر : محمد عبدالله القولي

غيظُهم يسعىٰ على أقدامهمْ
يحرقُ البيداءَ في إمعانِ
هجمةٌ كي ما يُبيدوا أمةً
كم لهم في البغي مِنْ أعوانِ
هجمةٌ ساقتْ ضحايا رُوِّعَتْ
كم يتيمٍ تاهَ في البلدانِ
هَدَّهُم سيرٌ على أهوالهِ
طالَ للمجهولِ والأحزانِ
تَعَبٌ لا يَنتهي في راحةٍ
عَصْفُ ريحٍ حط في الأبدانِ
عطش قد ألهب الجوف وكم
دك خوف مهجة الحيران
أينَ يمضي خَطْوُهُ لا ينتهي
ومصيرٌ ضاعَ في الأوطانِ
كم مآسٍ فتقَ الصربِ لهم
كم ضحايا العِرْضِ والطُغْيانِ
بنتَ «كُوسوفا» امسَحِي عن أعيُنٍ
دمعةَ الإذلالِ والحِرْمانِ
بنتَ «كوسوفا» اطلبي مِنْ خالقٍ
رحمةً من قادرٍ رحمانِ
كِسْرَةُ الخبزِ أيا ويلَ الوَرَىٰ
حُلُمُ الأطفالِ مِنْ ألبانِ
كم صغيرٍ يَعصرُ الجُوعُ الحَشَا
كِسْرَةٌ عَزَّتْ على الوِجدانِ
أدمعُ الطفلِ شَكَتْ عَنْ حالهِ
أيُّ حِسٍّ رَقَّ في الإنسانِ؟
أيُّ قلبٍ لم يَلِنْ مِنْ دمعهِ
حَجراً قد كانَ في الحُسبانِ
كمْ عَجوزٍ رَوَّعَ الصربُ الخُطىٰ
هاربٍ قد تاهَ في البُلدانِ
كم صَبايا نِيلَ مِنْ إحصانِها
دَنَّسُوا ما كانَ مِنْ إحصانِ

كم رضيعٍ أَخرَسُوا أنفاسَه
أينَ منهم هجمةُ الثيرانِ؟
حاملٍ قد جاءها الوَضعُ وما
تَأْمَنُ العُدوانَ مِنْ «صِربانِ»
كمْ جِياعٍ في عَراءٍ شُرِّدوا
خَلَلَ الأجبالِ والوديانِ
أيُّ بردٍ في شعابٍ قارسٍ
خُبِّأَ الأحياءَ في الجُحْرانِ
هل لسانٌ للبوادي ناطقٌ
لَبَكَىٰ الأيتامَ مِنْ حِرمانِ؟
لم يُبالوا أحرقوا أو دمَّروا
أي شيء كان للألبانِ
شَوَّهوا الحقَ وأَضحىٰ حقدُهُمْ
يُتْبِعُ العُدوانَ وبالعُدوانِ
وَصْمَةُ العارِ على صربٍ غَدَتْ
سُبَّةً في عصرِنا ذا الجاني
قَتلُهُمْ قد كان لهواً إنَّما
بطشُهُمْ قد صارَ كالإدمانِ
أمَّةَ الإسلامِ غَوثاً للأولىٰ
ذُبِحُوا يا إخوةَ الإيمانِ
أمَّةَ القرآنِ هيا قدِّمُوا
نُصْرَةً بالفعلِ والوجدانِ
«بوسنةٌ» كانتْ ذَبيحاً أولاً
وهُنا أَضْحَىٰ الذبيحَ الثاني

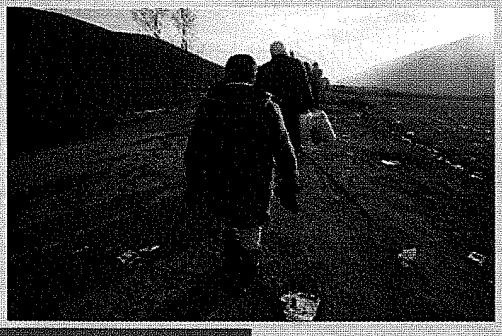

أجرى الحوار: أحمد محمد الشنواني

الدكتور عبدالله بن صالح العبيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة شخصية معروفة على ساحة العمل الإسلامي الإغاثي والدعوي نظراً لما تمثله الرابطة من ثقل إسلامي في العالم الإسلامي... مجلة الوعي الإسلامي التقت الدكتور العبيد وحاورته حول مجمل القضايا الإسلامية التي تدخل في صلب توجهات واهتمامات الرابطة.

د. عبدالله العبيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة

قضايا الأقليات الإسلامية في صلب اهتماماتنا

● رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة من أكبر المنظمات الإسلامية في العالم، كيف ولدت فكرة قيام هذا الصرح الإسلامي، وكيف نشأ كمؤسسة إسلامية شعبية عالمية ؟

- يسعدني في بداية اللقاء أن أوجه شكري لمجلة الوعي الإسلامي على جهودها الطيبة المباركة في توعية المجتمعات الإسلامية.

وأقول رداً على السؤال كانت الأمة الإسلامية بحاجة ماسّة إلى عقد يجمع فرائدها بعد انفراطه بسبب ما أصابها من تفريط وإفراط في أمر دينها فقد عاشت فترة من هذا العصر تحت حكم المستعمر الأجنبي الذي استغل مواردها وقدراتها ودق بين شعوبها إسفين الفرقة والشتات، وزرع بين صفوفها عوامل النزاع والهوى والاختلاف، وعمل على ترويج ثقافته الغربية بين شعوبها محاولاً الوصول إلى ذلك الهدف بكثير من الوسائل لتغريب المجتمعات الإسلامية، وفك التصاقها بمبادئ الإسلام السامية.

وفي ظل هذه الظروف العصيبة للأمة الإسلامية التي كانت تعاني من تشتت وضعف أمام أعدائها من الصهاينة والصليبيين والوثنيين وأمثالهم من الكفرة الملحدين، وكان لابد من تعزيز الجهود الإسلامية المخلصة لتعويض ما فات وإنقاذ الأمة مما نصبه لها الأعداء من شراك المؤامرات العسكرية والمواجهات الفكرية الإلحادية حتى يتسنى للمسلمين استعادة وحدتهم وتضامنهم وعزتهم وريادتهم وإنقاذ البشرية الضالة من متاهات الضلال، ومن هذه الضرورة تعالت في بعض أنحاء العالم الإسلامي صيحات الإنقاذ ونادى عدد من زعماء المسلمين وعلمائهم ومفكريهم بضرورة التضامن الإسلامي والتعاون بين الدول والشعوب الإسلامية ودعوا إلى إنشاء هيئة أو جامعة إسلامية تسعى إلى جمع شمل المسلمين والدفاع عن كيانهم ومستقبلهم والارتقاء بمكانتهم بين الأمم، وقد عقدوا لبحث الفكرة عدداً من المؤتمرات والندوات

● د. عبدالله العبيد يتحدث للوعي الإسلامي

ومن أبرزها مؤتمر مكة المكرمة الذي دُعي إليه الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله العام ١٣٤٥هـ واجتماع كراتشي في العام ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م وندوة المؤتمر الإسلامي في القدس العام ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م، وتتابعت الجهود الإسلامية الواعية الخيّرة التي كانت تسعى إلى تحقيق التضامن الإسلامي ووجدت هذه الجهود رعاية واهتماماً من القيادة السياسية في المملكة العربية السعودية مما شجع على فكرة إيجاد كيان إسلامي شعبي عالمي يجمع المسلمين حول أهداف سامية موحدة ويعمل على تحقيق فكرة التضامن الإسلامي ووحدة المسلمين ويسعى إلى بحث معاناتهم وحل مشكلاتهم داخل حدود العالم الإسلامي وخارجه، فكانت الدعوة لعقد مؤتمر إسلامي كبير بمكة المكرمة، وكانت الاستجابة سريعة إذ تم عقد المؤتمر الإسلامي الأول تحت رعاية المملكة العربية السعودية في الرابع عشر من ذي الحجة العام ١٣٨١هـ الموافق الثامن عشر من شهر مايو العام ١٩٦٢م، حيث قرر علماء المسلمين وبدعم من حكومة المملكة العربية السعودية في ختام أعمال المؤتمر تأسيس هيئة إسلامية شعبية عالمية تتخذ من مكة المكرمة مقراً دائماً لها وتسمى «رابطة العالم الإسلامي» يكون لها مجلس من كبار العلماء ورجال الفكر من المسلمين لترعى بذرة التضامن الإسلامي وتبلغ رسالة الإسلام وتنشرها في أنحاء المعمورة ليعم السلام والخير والفلاح والسعادة للبشرية جمعاء كما تم في هذا الاختيار تمثيل مختلف الشعوب الإسلامية بالعلماء الذين يرأسون أعلى القطاعات الإسلامية في بلادهم والذي تم إقراره رسمياً في المؤتمر الإسلامي العام الثاني الذي عقد بمكة المكرمة في الخامس عشر من شهر ذي الحجة ١٣٨٤هـ الموافق السابع عشر من أبريل العام ١٩٦٥م.

● هل لكم أن تذكروا لقرائنا خلاصة لأبرز أهداف رابطة العالم الإسلامي؟

- تتركز أهداف الرابطة في تبليغ دعوة الإسلام وشرح مبادئه وتعاليمه ودحض الشبهات والتصدي للتيارات والأفكار الهدامة والدفاع عن القضايا الإسلامية بما يتفق مع مصالح المسلمين وآمالهم وحل

الندوات الدولية التي تسهم فيها الرابطة تعتبر منابر إعلامية تسهم في إعلان رأيها بالقضايا المطروحة أمام الرأي العام العالمي

مشكلاتهم وتقديم الخدمات لهم في مختلف المجالات التربوية والتعليمية والثقافية والاجتماعية والصحية وغيرها.

● ما أهم الوسائل التي تعمل من خلالها الرابطة لتحقيق أهدافها المذكورة؟

- لقد اتخذت الرابطة الكثير من الوسائل والسبل لتحقيق الأهداف العليا ومصلحة المسلمين في كل مكان ومن أبرزها:

١ - نشر القرآن الكريم وبيان إعجازه وترجمة معانيه وكذلك خدمة السنة المطهرة ونشرها.

٢ - العمل على تحكيم الشريعة الإسلامية في جوانب حياة المسلمين المختلفة.

٣ - تأصيل مبدأ الشورى الإسلامية في حياة الشعوب والأقليات المسلمة.

٤ - تنسيق الجهود المبذولة في مجال نشر الدعوة الإسلامية وتشجيع الدعاة ودعمهم بالإمكانات المعنوية والمادية.

٥ - نشر التعليم الإسلامي عن طريق الإسهام في إنشاء ودعم المؤسسات الإسلامية والاهتمام بمجالات التدريس.

٦ - الاستفادة من مواسم الحج في مجال التوعية الإسلامية عن طريق الندوات والمحاضرات وتنظيم اللقاءات والتعارف بين وفود الحجيج.

٧ - دعم العاملين في مجال العمل الإسلامي وترسيخ التعاون والتنسيق مع المنظمات الإسلامية في العالم.

٨ - توزيع الكتب الدينية والمجلات الإسلامية وتشجيع المؤلفات والصحف والبرامج الإعلامية التي تخدم الدعوة والعمل على تنقية وسائل الإعلام الإسلامي.

٩ - الاستفادة من معطيات التكنولوجيا الحديثة في مجالات الاتصال واستغلال الأجهزة الإعلامية المتعددة لتحقيق مهام الدعوة والتبليغ.

١٠ - دراسة مشكلات الأقليات المسلمة ودعم مطالبها ومد يد المساعدة لها.

١١ - دعم المنظمات والمؤسسات الإسلامية التي لها صلة بالرابطة وتنسيق الجهود والعمل الإسلامي معها.

١٢ - إغاثة المسلمين المتضررين من الكوارث والحوادث والحروب وتقديم العون المادي والمعنوي لهم.

● متى أنشئت هيئة الإعجاز العلمي وما أهدافها؟

- أنشئت هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية المطهرة بناء على قرار المجلس الأعلى العالمي للمساجد في دورته التاسعة التي عقدت في مكة المكرمة العام ١٤٠٤هـ وتعمل الهيئة على تحقيق الأهداف التالية:

١ - جمع وتنظيم جهود الباحثين العاملين في مجال الإعجاز العلمي.

٢ - وضع القواعد والمناهج وطرق البحث التي تضبط الاجتهادات في بيان الإعجاز العلمي للقرآن والسنة.

٣ - تشجيع البحث الفردي والجماعي في هذه المجالات والتنسيق مع الجامعات والمؤسسات العلمية لإقامة دراسات عليا متخصصة وتمحيص الأبحاث في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ووضع الضوابط اللازمة لذلك.

٤ - مناقشة بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والتدقيق فيها من النواحي الشرعية والكونية وإجازتها ولها أن تستعين بمن تراه أهلاً في ذلك من العلماء والمتخصصين.

٥ - العمل على إدخال مضامين هذه الأبحاث المعتمدة في مناهج التعليم في شتى مؤسساته.

٦ - إمداد الدعاة والإعلاميين في العالم أفراد ومؤسسات بالأبحاث المعتمدة للانتفاع بها كل في مجاله.

٧ - العمل على نشر هذه الأبحاث بين الناس بصورة متناسبة مع مستوياتهم

العلمية والثقافية وترجمة ذلك إلى لغات المسلمين المشهورة واللغات الحية في العالم قدر الإمكان.

٨ ـ إعداد جيل من العلماء والباحثين لدراسة المسائل العلمية والحقائق الكونية في ضوء ما جاء في القرآن والسنة.

٩ ـ دراسة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بموضوع الإعجاز العلمي.

١٠ ـ تتبع ما يتوصل إليه علماء الكون وما يكتبون وما ينشرون من حقائق علمية مما له صلة بالقرآن والسنة ودراستها وتمحيصها على المستوى العالمي.

١١ ـ العمل على صبغ العلوم الكونية بالصبغة الإيمانية وابتعاث المختصين من المسلمين للمشاركة في المؤتمرات العلمية والدولية ونشر أبحاثهم في المجلات العلمية العالمية.

١٢ ـ توثيق الصلات العلمية مع الهيئات وقادة العلوم الشرعية والكونية في العالم.

● هل لكم أن تذكروا لقرائنا أبرز القضايا التي تناولتها الرابطة وعالجتها تحقيقاً لأهدافها الإسلامية؟

ـ القضايا التي تناولتها الرابطة وتابعتها ولا تزال تتابعها كثيرة ومتشعبة فمنها ما يتعلق بالدعوة الإسلامية مثل:

ـ تطبيق الشريعة وتحكيمها في حياة الشعوب الإسلامية.

ـ الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

ـ الثقافة الإسلامية.

ـ تعليم اللغة العربية ونشرها.

ـ رسالة المسجد والدفاع عن المساجد في العالم.

ـ الحج وقدسيته.

ـ التضامن الإسلامي.

ـ ظاهرة الغلو في الساحة الإسلامية.

ـ الدفاع عن الإسلام والتعريف به وتصحيح صورته المغلوطة.

ـ الأسرة والمرأة والطفل.

وهنا جانب آخر يشتمل على قضايا الشعوب الإسلامية مثل:

«رابطة العالم الإسلامي» يكون لها مجلس من كبار العلماء ورجال الفكر من المسلمين لترعى بذرة التضامن الإسلامي

ـ قضية فلسطين والقدس الشريف.

ـ قضية البوسنة والهرسك.

ـ قضية أفغانستان.

ـ قضية الصومال.

ـ قضية جامو وكشمير.

ـ قضية الأقليات الإسلامية.

ـ قضية المسلمين في جنوب الفلبين.

ـ قضية المسلمين في تركستان الشرقية.

ـ قضية جمهورية بورما وأركان.

ـ قضية المسلمين في رابطة الدول المستقلة.

ـ قضية المسلمين في الشيشان.

ـ قضية المسلمين في دول أوروبا الشرقية.

وكذلك توجد هناك قضايا إسلامية في الساحة الدولية تابعتها الرابطة مثل:

ـ السوق الإسلامية المشتركة.

ـ الإرهاب في الساحتين الإسلامية والدولية.

ـ حقوق الإنسان بين الإسلام والقوانين الوضعية.

ـ الحرب على المخدرات.

ـ الحركات والتيارات الهدامة.

ـ مواجهة التنصير.

ـ الحوار بين الحضارات.

ـ النظام العالمي الجديد.

● أصبح الإعلام أحد أهم أدوات النجاح لأي عمل في الوقت الراهن فإلى أي مدى استطاعت الرابطة استخدام الإعلام لتحقيق أهدافها؟

ـ لاشك أن للإعلام دوراً مهماً في حياة المجتمعات البشرية، ومنها المجتمعات الإسلامية حيث صار الإعلام في هذا العصر الذي يعيش فيه الناس يسمى «بالقرية الكونية» بسبب تطور وسائل الاتصال من وسائل الدعوة الإسلامية الضرورية، ولذلك فإن الرابطة تعمل على الاستفادة من وسائل الإعلام المختلفة لتحقيق أهدافها الدعوية والسياسية والثقافية والفكرية، كما تستفيد منها في شرح وجهة نظرها المتعلقة بالقضايا الإسلامية ومشكلات الشعوب والأقليات المسلمة معلنة رأيها للرأي العام العالمي لكسبه إلى جانب الحق في هذه القضايا جميعاً، وكثيراً ما تلمس الرابطة نتائج إيجابية على المستويين الإسلامي والدولي لجهودها الإعلامية ولا تقتصر الرابطة في هذه الجهود على الاستعانة بالدوريات الصحفية فحسب، وإنما تعمل على نشر رأيها وإعلانه عبر وكالات الأنباء والمحطات الفضائية التلفازية والإذاعات وأشرطة الفيديو والكاسيت والكتاب الإسلامي، وأود أن أشير هنا إلى أن المؤتمرات والندوات الدولية التي تسهم فيها الرابطة تعتبر منابر إعلامية كبرى تسهم في إعلان رأي الرابطة بالقضايا المطروحة فيها أمام الرأي العام العالمي، هذا وتحرص مطبوعات الرابطة الصحفية وكتاب دعوة الحق على متابعة الأحداث في الساحة الإسلامية وما يهم المسلمين في الساحة الدولية، وهي تعلن رأي الرابطة للمسلمين إسهاماً منها في إيجاد التصورات الإسلامية الموحدة، وإعلاماً للمجتمعات الأخرى بالموقف الإسلامي الذي تتبناه الرابطة، ويسعى الأخوة المكلفون بالإشراف على مطبوعات الرابطة إلى تطويرها لمواكبة المستجدات.

● قضية القدس الشريف والمقدسات الإسلامية في فلسطين المحتلة، من أهم القضايا التي تقلق الرأي العام الإسلامي كيف تعاملت الرابطة مع هذه القضية؟

ـ تعاملت مجالس الرابطة مع قضية القدس والمقدسات الإسلامية في فلسطين وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك من منظار

إسلامي شرعي يراعي الأصل العربي للمدينة المقدسة، والارتباط الديني للمسلمين بمقدساتها مع الإعلان للرأي العام العالمي أن هذه المدينة عربية إسلامية مهما حاول اليهود المغتصبون تغيير معالمها وتزوير التاريخ لاغتصابها، وقد تابعت الأمانة العامة للرابطة جميع قرارات مجالس الرابطة وتوصياتها بشأن فلسطين والقدس والأقصى المبارك متخذة الإجراءات اللازمة ومعلنة رأيها بما يجري فيها من أحداث عبر كل من:

١ ـ المنظمات الدولية وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ومنظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية وغيرها.

٢ ـ المؤتمرات والندوات التي تقيمها الرابطة والتي تشارك فيها.

٣ ـ الدوريات الإعلامية التي تصدرها الرابطة.

٤ ـ مجالس الرابطة التي تعقد سنوياً في مقر الأمانة العامة.

٥ ـ الكتب التي تصدرها الرابطة في سلسلة دعوة الحق الشهرية.

٦ ـ البيانات الصحفية التي يصدرها الأمين العام وتنشرها الصحف وتتناولها وكالات الأنباء وتبثها القنوات التلفازية والإذاعية والمحطات الفضائية للرأي العام العالمي.

وقد أكدت الأمانة العامة للرابطة من خلال جميع وسائلها المذكورة على ما يلي:

١ ـ عروبة مدينة القدس وعراقتها التاريخية ومكانتها المهمة التي تبوأتها عبر التاريخ، حيث كان أول سكانها الكنعانيون والبيبوسيون العرب قبل نحو خمسة آلاف سنة.

٢ ـ التاريخ الديني للمدينة منذ نبي الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ ومن جاء بعده من الأنبياء الذين يؤمن المسلمون برسالاتهم وكتبهم ومنهم موسى وعيسى عليهما السلام.

٣ ـ ارتباط مشاعر المسلمين وحقوقهم بمدينة القدس والمسجد الأقصى ارتباطاً وثيقاً وهي محضن المسجد الأقصى المبارك الذي أُسري بنبي الإسلام محمد ـ ﷺ ـ إليه

قضايا الأقليات الإسلامية من الموضوعات الرئيسية التي تهتم بها الرابطة وتقوم بإجراء دراسات وأبحاث عن أوضاعهم ومشكلاتهم

من مكة المكرمة حيث ورد ذلك في كتاب الله العظيم في قوله تعالى في سورة الإسراء: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير).

٤ ـ الرفض القاطع لمحاولات إسرائيل ضم القدس إليها واعتبارها مدينة عبرانية ورفض تزوير التاريخ والادعاء بأن القدس عاصمة الدولة العبرية منذ ثلاثة آلاف عام.

٥ ـ التصدي لمحاولات الحكومة الإسرائيلية نقل سفارات الدول الأجنبية إلى القدس لإضفاء مسحة دولية على القدس باعتبارها عاصمة لدولة إسرائيل.

٦ ـ متابعة محاولات السلطات الإسرائيلية تغيير معالم مدينة القدس وهدم الآثار والشواهد التاريخية فيها بنية طمس الأثر الإسلامي بهدف تهويدها.

٧ ـ التصدي لعمليات تهجير المواطنين الفلسطينيين من مدينة القدس وإحلال المستوطنين اليهود في ديارهم بعد الاستيلاء على بيوتهم واغتصاب أراضيهم.

٨ ـ التصدي للاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على المسجد الأقصى المبارك وقتل المصلين فيه وإيذائهم ومحاولاتهم المتكررة لتقسيمه بين المسلمين واليهود على غرار ما فعلوه بالمسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل.

٩ ـ فضح محاولات اليهود التي ترمي إلى تنفيذ خطة لإزالة الأقصى وبناء هيكل سليمان المزعوم مكانة.

١٠ ـ مواجهة التجاوزات الإسرائيلية المخالفة لقرارات هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ومنها القرار رقم (٢٤٢) الذي لا يسمح لإسرائيل بإحداث أي تغييرات في الأراضي العربية التي احتلتها العام ١٩٦٧م، ومنها مدينة القدس والمقدسات الموجودة فيها.

١١ ـ تعريف الشعوب الإسلامية بما يحاك للقدس وتوحيد موقفها من هذه القضية.

١٢ ـ توحيد الجهود الإسلامية المسيحية في التصدي للأهداف الإسرائيلية باغتصاب المدينة المقدسة.

١٣ ـ استعادة القدس الشريف والأقصى المبارك إلى الحوزة العربية الإسلامية، كما كانا عبر التاريخ.

هذا، وتتعاون الرابطة من أجل هذه القضية مع المنظمات الإسلامية التي تشاركها في هذه الأهداف، كما تتعاون مع المنظمات والهيئات الإسلامية والمسيحية في كل من أوروبا وأميركا بشكل خاص، وتوثيقاً لموقف المسلمين من قضية القدس والمقدسات الإسلامية، وكذلك الموقف الذي تتبناه الرابطة والمنظمات الإسلامية المتعاونة معها فقد أصدرت الأمانة العامة للرابطة ضمن سلسلة كتب دعوة الحق الشهرية كتابين عن هذه المدينة المقدسة هما:

١ ـ القدس في ضمير العالم الإسلامي لمجموعة من الباحثين.

٢ ـ المركز القانوني الدولي لمدينة القدس للدكتور جعفر عبدالسلام.

ومن أجل أن تظل قضية ا لقدس شاخصة أمام الرأي العام العالمي للأجيال المسلمة على أنها قضية إسلامية وليست عبرانية أقامت الرابطة كما ساعدت على إقامة عدد من المؤتمرات والندوات الخاصة بالقدس الشريف، ومن بينها الندوة العالمية لشؤون القدس التي أقيمت في المركز الثقافي الإسلامي في روما الذي تشرف عليه الرابطة والتي شاركت فيها إلى جانب الفعاليات الإسلامية فعاليات مسيحية تبنت القرارات التي أصدرتها الندوة حيث شاركت في هذه الندوة شخصيات من دول مختلفة أجمعت كلها على استنكار ما تتعرض له القدس من جراء الاحتلال الإسرائيلي.

● نود أن نتعرف على جهود الرابطة في دعم الأقليات المسلمة في العالم

فهل لكم أن تعطونا فكرة عن ذلك وماذا قدمت لمسلمي كوسوفا؟

- تعتبر قضايا الأقليات الإسلامية من الموضوعات الرئيسية التي تهتم بها الرابطة، وتحقيقاً لمزيد من الاهتمام بقضايا الأقليات تقوم الرابطة بإجراء دراسات وأبحاث عن أوضاع الأقليات المسلمة ومشكلاتها ويولي المجلس التأسيسي للرابطة في كل من اجتماعاته أهمية خاصة لشؤون الأقليات الإسلامية وتشمل برامج الرابطة للأقليات الإسلامية من بين أمور عدة ما يلي:

- إرسال المدرسين والدعاة إلى الدول التي توجد فيها الأقليات الإسلامية.

- إنشاء المساجد والمدارس وتهيئة وسائل الإغاثة لهذه الأقليات.

- تقديم المساعدات المادية والأدبية للمدارس ومعاهد المراكز الإسلامية والمطبوعات الإعلامية للأقليات.

- إرسال الوفود إلى الأقطار التي فيها أقليات إسلامية لدراسة حاجاتها وبخاصة في مجال الثقافة والإعلام.

- تسوية ما قد ينشأ من خلافات بين الجماعات المختلفة للأقليات الإسلامية.

- التصدي للهجمات الثقافية والفكرية والسياسية على الأقليات المسلمة إلى جانب الدفاع عن حقوقها في الحرية والحياة الكريمة وبخاصة في المحافل الدولية والمنابر الإعلامية. ولتحقيق أهدافها حرصت الرابطة على إقامة مؤتمرات وندوات إسلامية في الدول التي توجد فيها أقليات إسلامية من أجل التعريف بمشاكلها والتحديات التي تواجهها وتقديم الحلول الناجعة لها.

وأود أن أشير إلى أن هناك زيارات ميدانية يقوم بها المسؤولون في الرابطة للدول التي توجد فيها أقليات مسلمة حيث يتصلون بالمسؤولين في حكوماتها لحضهم على الاهتمام بمصالح المسلمين والمحافظة على حقوقهم المشروعة كما تحرص الرابطة على دعوة الشخصيات المؤثرة في بلدان الأقليات لأداء فريضة الحج كل عام وذلك بغية الاستمرار في التواصل مع الأقليات والتعرف على مشكلاتها المستجدة.

وقد عقدت لقاءات مكثفة في الأعوام الثلاثة

القدس مدينة عربية إسلامية مهما حاول اليهود المغتصبون تغيير معالمها وتزوير التاريخ لاغتصابها واحتلالها

الأخيرة مع ممثلي كثير من مجتمعات الأقليات الذين قاموا بزيارة الرابطة. أما ما يتعلق بمسلمي كوسوفا فقد تابعت الرابطة قضيتهم وهي تنسق في سبيل دعم هؤلاء الأخوة مع المشيخة الإسلامية في كوسوفا كما أنها تمد للمهجرين منهم يد العون والمساعدة وقد أصدرت الرابطة عدداً من البيانات الصحفية شرحت خلالها للرأي العام العالمي حقيقة المحنة القاسية التي سببها العدوان الصربي ورفعت عدداً من المطالب إلى الهيئات الدولية وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن لإنصاف مسلمي كوسوفا والعمل على منع استمرار العدوان عليهم ومنحهم الحق في تقرير المصير.

● انتقل الهجوم على الإسلام عبر الإنترنت وهو ما يستلزم بذل الجهود لمواجهة ذلك ... فهل دخلت الرابطة عالم الإنترنت ؟

- الرابطة حريصة كل الحرص على الاستفادة من وسائل العصر الحديثة في تحقيق أهدافها الدعوية وهي تتابع ما يبث عن الإسلام في الوسائل المذكورة.

كما تتابع من خلال مكاتبها والمراكز الإسلامية التي تشرف عليها تحركات الفئات الضالة وافتراءاتها على الإسلام والمسلمين.

وتعمل الرابطة على توعية الشعوب الإسلامية من تلك الافتراءات كما ترد عليها من خلال دورياتها الصحفية ومجالسها وبياناتها التي تصدرها تحقيقاً لأهدافها الدعوية وتسعى الرابطة للاستفادة من القنوات الفضائية ويمكن الوصول إلى موقع الرابطة على الإنترنت باستعمال :

HTTP WWW. ARAB. NET/ MWL - COM

أو باستعمال :

WWW. MWL. COM

ولدى الرابطة خطة مستقبلية لتحقيق الإفادة المطلوبة إن شاء الله.

● تتهم الأمة الإسلامية وأبناؤها بالإرهاب ماذا تقولون عن حقيقة هذا الاتهام ألا تعتقدون أن هناك إرهاباً يمارس ضد المسلمين وما مظاهر هذا الإرهاب الأخير في نظركم ؟

- هذا الاتهام ترده وتركز عليه وسائل الإعلام الغربية وهو اتهام لا أساس له من الصحة ولا مبرر له. بل إن بعض تلك الوسائل تتجنى على دين الإسلام نفسه بالافتراء عليه وتزوير حقائقه والادعاء بأنه دين العنف والإرهاب متجاهلة حقيقة الإسلام الذي يرفض كل أشكال العنف والغلو حتى في المخاطبة (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)، وإنني لا أعتقد أن هذه التهم الباطلة ستسقط سريعاً من أذهان أصحابها أمام تحرك الدعاة والإعلاميين لعرض الإسلام بوسطيته ومنهجيته العادلة على الشعوب الأخرى وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي راجت عن الإسلام والمسلمين.

أما عن الإرهاب الذي يمارس ضد المسلمين فقد اتخذ الأعداء أشكالاً مختلفة لشن هجمة شرسة على الإسلام والمسلمين في عدد من أنحاء العالم.

وما يحدث في كوسوفا وكشمير وبورما وغيرها ضد المسلمين ما هو إلا شكل من أشد ألوان الإرهاب عنفاً. أضف إلى ذلك أن ما يحدث في فلسطين المحتلة من اعتداءات المستوطنين الصهاينة على المصلين في المساجد وبيوت الله في الأرض المحتلة وللأسف الشديد، فإن وسائل الإعلام المعادية تتجاهل هذا الإرهاب المنظّم والمعلن على الإسلام والمسلمين ووسائل الإعلام الإسلامية عاجزة عن التأثير لضعف إمكاناتها وسيظل هذا الافتراء وتزوير الحقائق على الإسلام وتشويه صورته المشرقة إلى أن يقيض الله للمسلمين وسائل إعلامية تنهض بدورها بفعالية. ■

بقلم : د. مصطفى فوضيل

الظلم الاجتماعي

مصطلح في حاجة إلى مراجعة

«الظلم الاجتماعي» من المصطلحات الرائجة في كثير من الكتابات العربية والإسلامية، وظاهره سليم، لكن عندما نخضعه للدرس والتحليل، وبعدما نسلط عليه الضوء القرآني، فإنه ينكشف عن حيز دلالي ضيق، لا يستوعب مختلف أشكال الظلم الاجتماعي، كما هي في الواقع وكما يعالجها القرآن.

وإن أول ما يلاحظ على هذا المصطلح أنه من المصطلحات الوافدة من الغرب، وهو مترجم عن Injustice sociale ويقابله مصطلح العدل الاجتماعي Justice Sociale، فمن الطبيعي إذاً أن يكون متأثراً بالبيئة التي ولد ونشأ فيها وترعرع في أحضانها حتى أصبح محمّلاً بشحنات دلالية مرتبطة بالتاريخ والخلفية المذهبية الكامنة وراءه.

جاء في معجم العلوم الاجتماعية: «يقصد من هذا التعبير - أي العدالة الاجتماعية - تعاون الجهود في المجتمع لإيجاد تضامن اجتماعي قوي وسليم بين الأفراد، وتكوين مجتمع مبني على تكافؤ الفرص الحقيقي سواء من حيث نمو الأفراد أو من حيث تنشئتهم الاجتماعية أو تربيتهم أو وضعهم في المكان الذي يلائم مواهبهم وقدراتهم وكفايتهم.

والفلاسفة المنادون بالعدالة الاجتماعية يرسمون صورة مثالية لمجتمع العدالة الاجتماعية الذي هو مجتمع الديموقراطية أيضاً، والنقاط التالية يكاد ينعقد الإجماع عليها من حيث هي أسس مجتمع العدالة:

أ - أن من حق كل طفل أن يولد بشكل طبيعي، وأن يكون محاطاً بوسط صحي، وأن تكون لديه الفرصة للحياة الصحية السليمة والتعليم الحر.

ب - يجب أن يوفر المجتمع لكل شاب عملاً يطمئن إليه ويتفق

مع مواهبه.

ج - وأن يكفل لكل شخص دخلاً يكفيه هو وأسرته، بحيث يصبح عضواً نافعاً في المجتمع يخدم الهيئة الاجتماعية بجدارة تتفق مع مواهبه وقدراته.

د - لكل شخص أن يعبر عن آرائه ومعتقداته في الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية بصراحة، ولابد من أن تهتم السلطات الحاكمة بآراء المواطنين وأن تعطي لها أذناً صاغية وتبحثها.

ويضاف إلى هذه المبادئ أحياناً مبدأ أن الملكية الفردية يجب إقرارها مادام صاحبها يؤدي ما عليها من تكاليف اجتماعية.(١)

فعلى هذا يتحقق الظلم الاجتماعي بالاعتداء على هذه الحقوق، وأنت إذا تأملت فيها فإنك ستلاحظ أن حظ الروح والقيم والدين هزيل جداً، إن لم نقل هو منعدم.

وقد لا نكون - في هذا المقام - في حاجة إلى إثبات الرؤية المادية القابعة في صلب التصور الغربي، «فالعدالة الاجتماعية ليست إلا حصيلة المبادئ التي تكلّم عنها كارل ماركس، وتود، وكارل مانهايم، وكيس، وغيرهم من ذوي النزعات الاشتراكية».(٢)

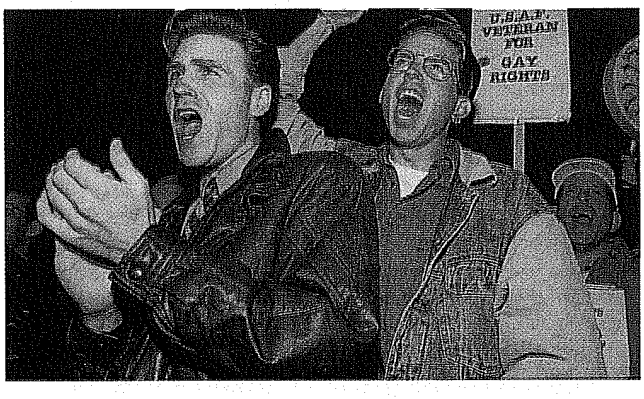

فإذا كان ذلك كذلك، فلا شك أن هذه المادية تنعكس على مجمل مجالات النمط الأوروبي في طريقة «التفكير» و «التعبير» و«التدبير»، أي في منهج حياته بصفة عامة.

ومن بين أخطر هذه المجالات تصوره المادي للمجتمع نفسه التي يتكون منها، وبخاصة مؤسسة الأسرة، وقد وصلت ماديته في هذا المجال إلى درجة تغير بها مفهوم الأسرة ذاته، فصار قابلاً لأن يطلق على الرجلين الشاذين يجمعهما عقد واحد، وعلى المرأتين الشاذتين تعيشان تحت سقف الزوجية بعقد قانوني «صحيح» وملزم!!

ثم إن التصور الغربي للظلم الناتج عن اختلال في توازن العلاقات الاجتماعية لا يتعدى حد الاعتداء على الحقوق المادية «والنفسية» للأفراد، دون اعتبار كبير للأخلاق بمفهومها الحقيقي.

فالظلم الاجتماعي - وفق ذلك التصور - لا يتصور مثلاً في علاقة غير شرعية بين الرجل بالمرأة إلا في حال الإكراه والاغتصاب، فإذا كانت هذه العلاقة برضاء الطرفين فلا حرج ولا إشكال، لأن هذا يدخل في إطار الحرية الشخصية.

والواقع أن هذا ينسجم مع تصور الغرب للمجتمع والأسرة والحرية والعدالة وغيرها، فالسلوك - فردياً كان أم جماعياً - هو انعكاس طبيعي للتصور، وهذه قاعدة.

لكن الذي يدعو إلى الاستغراب هو تلقي الفكر العربي والإسلامي لمثل هذه المصطلحات من دون إخضاعها للتفتيش العلمي والحضاري - إن صح التعبير - ومن دون «إيقافها في حدود الأمة الحضارية للسؤال والتثبت من الهوية، وحسن النية، ودرجة النفع»، ونحن في أشد الحاجة «إلى تعقبها في مختلف المجالات والتخصصات التي قد يكون عشش فيها، أو باض وفرّخ بغير حق، فإن سويّت وضعيته - كما يقولون - فذاك، وإلا طهّر فكر الأمة منه فإن رجس»(٣).

والحمد لله أن هذه الأمة تملك الميزان الذي جاء به القرآن لتزن به الأفكار وسائر الأشياء.

وبالنسبة لمصطلح الظلم الاجتماعي - بحسب ما دل عليه من مفاهيم في التصور الغربي - فإنه لا يدل على حقيقة الظلم، ولا يستوعب مختلف مجالاته، وهذا يتبين بتسليط ضوء القرآن عليه من جهة حقيقته عموماً، ثم من جهة مجالاته على الخصوص، مع التركيز على المجال الاجتماعي بصفة أخص.

يقول الراغب: «الظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء هو وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو زيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه... قال: والظلم مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويُقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز»(٤).

وقد أكد القرآن الكريم أن الظلم يمكن أن يتحقق في كثير من المجالات سواء أكانت عقدية أم اجتماعية أم اقتصادية أم سياسية، وليس هذا موضع تفصيلها.(٥)

ونقتصر هنا على التمثيل للمجال الاجتماعي، وما يمكن أن يحدث فيه من الظلم، مما لم يستوعبه مصطلح الظلم الاجتماعي في دلالاته الغربية، وهذا يعني أننا لا نعترض على دلالاته الإيجابية التي يمكن أن تلتقي مع المفاهيم الإسلامية، وبخاصة منها ما يتعلق بإقامة العلاقات الاجتماعية على الوجه الذي يحفظ لجميع الأفراد حقوقهم وكرامتهم من الناحية المادية والمعيشية، وهذا موضوع آخر مجاله النُظم الإسلامية، وقد أشبعها العلماء بحثاً - نظرياً وتطبيقاً - وخلصوا إلى أن الإسلام بلغ الغاية في تنظيم المجتمع من مختلف جوانبه.

ثم إن تقسيم مجالات الحياة إلى عقدية وسياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها إنما هو من باب التفصيل المنهجي لمعرفتها مجزأة، وإلا فإن الحياة الإنسانية مركّب متكامل من تلك المجالات يتأثر بعضها ببعض بحيث يمكن أن نجد نوعاً من العلاقات تشترك فيها تلك المجالات كلها، فقد نجد ظلماً في

المجال الاجتماعي له علاقة بظلم سياسي أو ظلم اقتصادي، أو نجد ظلماً اقتصادياً ناتجاً عن ظلم سياسي.

ولكن الأساس في كل ذلك هو تجاوز حدود الله تعالى التي وضعها لتلك المجالات، ولذلك قال عز وجل: (ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون) البقرة:٢٢٩.

ونحن عندما نسمع عبارة: «الظلم الاجتماعي» ينصرف ذهننا مباشرة إلى المجال الاقتصادي، وانعدام العدالة في توزيع الحقوق المادية بين الأفراد، وهذا ناتج عن الظلم السياسي والإداري الذي يفقد الدولة التوازن والعدل في توجيه المجال الاقتصادي لصالح المجتمع عموماً، غير أن حصر مفهوم الظلم الاجتماعي في هذا المجال يصرفنا عن معانٍ أخرى للظلم يمكن ملاحظتها في العلاقات بين أفراد المجتمع، ومن ثم فإن الظلم الاجتماعي - انطلاقاً من القرآن - يمكن أن يظهر في نواحٍ متعددة. وهكذا نجد الظلم في العلاقات بين الناس عموماً، ونجده في العلاقة بين الرجل والمرأة ونجد التظالم بين أفراد المجتمع مرة بالقتل، ومرة بالسرقة، ومرة بأكل أموال اليتامى، ومرة بحرمان المساكين من حقوقهم، والقرآن الكريم في كل ذلك يستقبح الظلم ويشن عليه حملة لا هوادة فيها سواء بالنسبة لما وقع فيهدد أصحابه ويتوعدهم بالعقاب إن لم يتوبوا، أو لما لم يقع فيحذر منه ويرشد إلى الوقاية من خبثه وشره.

وقد سبقت الإشارة - على سبيل التمثيل - إلى أن الفكر الغربي لا يجد حرجاً في العلاقة غير الشرعية التي يمكن أن تقوم بين الرجل والمرأة مادامت قائمة على الرضا المتبادل، وهذا مبني على تصورهم لمفهوم الحق، وهو تصور علماني، لا يهتم بحق الله تعالى، وقد أدى هذا إلى اضطراب شديد في مفاهيم عدة أخرى متفرعة عن ذلك المفهوم، مثل مفهوم الحرية، فصار الإنسان تحت شعار «الحرية الشخصية»، يستبيح ما تمليه عليه أهواؤه وغرائزه.

والأمر مختلف تماماً في التصور الإسلامي، فالحق حقان: حق الله تعالى، وحق العبد، وكلاهما معتبر، إلا أن حق الله مقدّم في الاعتبار عند التعارض، لأن في حفظ حق الله عز وجل حفظاً لحق المجتمع كله، والله تعالى غني عن العالمين، فإن من بين ما قيل في معنى حق الله تعالى ما قال الفاضل الجلبي: «المراد بحق الله في قولهم ما يتعلق به النفع العام للعباد ولا يختص به أحد كحرمة الزنى، فإنه يتعلق به عموم النفع من سلامة الأنساب عن الاشتباه وصيانة الأولاد عن الضياع، وإنما نسب إلى الله تعالى تعظيماً لأنه يتعالى عن الضرر والانتفاع».(٦)وقد حكى القرآن الكريم عن يوسف - عليه السلام - أنه قال لامرأة العزيز لما راودته عن نفسه: (معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون) يوسف:٢٣.

قال الرازي: «أراد الزناة، لأنهم ظالمون أنفسهم، أو لأن عملهم يقتضي وضع الشيء في غير موضعه»(٧).

ويدل وصف الزناة هنا بالظلم على خطورة هذه الجريمة التي تفتك بالأمم والمجتمعات والأسر والأفراد، فليس الزنى حرية شخصية كما يقول الذين لا يعلمون، لأن لكل فرد حرمة وحدوداً، ومن ثم فالحرية ينبغي أن تقيد بالضوابط الفطرية التي في كل إنسان، وبالحدود الشرعية التي تصون الأعراض من الفوضى والانهيار والاختلاط.

قلت: وفي الزنى أيضاً معنى مجاوزة الحد، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: (والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) المؤمنون: ٥ - ٧.

وقوله تعالى على لسان لوط - عليه السلام - يخاطب قومه: (أتأتون الذكران من العالمين. وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) الشعرا: ١٦٥- ١٦٦.

ومما يستخلص من هذه النصوص أن الشريعة جاءت لتضع الأشياء في مواضعها، ولترسم الحدود بين أفراد المجتمع، وهي حدود منسجمة مع الفطرة البشرية، وذلك لأنها جاءت ضمن نظام شامل يهتم بالإنسان في جميع أحواله، ويجمع في ذلك بين الحرية الحقيقية للأفراد وبين تماسك المجتمع بمنهج بلغ الغاية في المحافظة على الحقوق وتقدير القيم.

وفي غياب هذا المنهج تتداخل الحريات وتصطدم الرغبات، وتعم الفوضى، وعندما يصل المجتمع إلى هذه الحال، فإن نُظمه التشريعية تصبح ملزمة بالانسياق مع التيار ولا يكون أمامها في كثير من الأحيان إلا مسايرته والاستجابة لغرائزه الجامحة، ولا أدل على ذلك من تلك البنود الحديثة في القوانين الوضعية التي أباحت الزواج من الجنس نفسه، ومن يدري؟! فلعلها يوماً تبيح الزواج بالمحارم أو الزواج بالكلاب والخنازير!! فهل هناك أفظع من ذلك الظلم الذي يهدد البشرية في أخطر مؤسساتها، ويعود بالدمار الشامل على كل المجتمع.

وختاماً نقول: إننا في حاجة إلى حسّ مصطلحي يرتكز على قاعدة صلبة من الشرع لمراجعة ما يفد علينا من المصطلحات قبل أن تصبح جزءاً من نسيجنا المعرفي والثقافي، فتفعل فيه ما تفعل الجراثيم في الجسم السليم. ■

١ - معجم العلوم الاجتماعية ٣٨٥/١، نخبة من المتخصصين، مراجعة د. إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.

٢ - المصدر السابق.

٣ - نظرات في المصطلح والمنهج، د. الشاهد البوشيخي، نشرة أخبار المصطلح، عدد ٢ شعبان ١٤١٦هـ - يناير ١٩٩٦م ص١.
(نشرة يصدرها معهد الدراسات المصلطحية بكلية الآداب ظهر المهواز - فاس - المغرب).

٤ - مفردات ألفاظ القرآن - ظلم.

٥ - انظر «مفهوم الظلم في القرآن الكريم» لصاحب المقال، ضمن ندوة «الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية» مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٦م.

٦ - كشاف اصطلاحات الفنون ٦٨٥/١ (الحق).

٧ - مفاتيح الغيب ١١٧/١٨.

الانهزام النفسي عند الشباب مظاهره وعلاجه في المنهج الإسلامي

بقلم : محمود حسن إسماعيل

لا شك أن التربية العقيمة التي خضع لها الشرق الإسلامي في العصور الأخيرة جعلت أبناءه لا يعرفون تكاليف الرجولة الحقة، وإذا عرفوها لا يطيقونها ولا يصبرون على ولائها ولا يقومون كما ينبغي بأعبائها، مع أن في البيئات الغربية جماهير من الناس تعرف كيف تؤهل الأمل البعيد وكيف تسير إلى تحقيقه بعزم من حديد، وكيف لا تنثني وإن وقفت دونها الصعاب.(١)

وظاهره الانهزام النفسي عند الشباب من أهم المشكلات التي تواجهها مجتمعاتنا. أدى إليها قصور المناهج التربوية في إعداد الشباب إعداداً عقلياً يساعد على تفتح أذهانهم وتنمية قدراتهم العقلية وصقل مواهبهم ورعاية لميولهم ليكونوا في مستوى التحدي العلمي والحضاري في عصرهم.

والواقع المرير الذي يمر به مجتمعنا في جملته وخصوصاً طاقاته الحية من الشباب ينبئ عن مغبة التفريط في التعامل السليم مع الشخصية الإنسانية، فقد أسلب الشباب وعمت حيرته فذابت القيم الإنسانية وأنطق الرفض : « من رفض الإله إلى رفض الأسرة وفي النهاية إلى رفض الذات وكان العراء الكامل للذات من الذات ». (٢)

كما أن نكص الشباب الحاضر يرجع إلى أن التراث الموروث من العقائد والشرائح والأخلاق ليس له في حياة الشباب التأثير الذي كان لشخصية النبي - صلى الله عليه وسلم - وروحانية جبريل وقدسية القرآن ما أدى إلى صعوبة تفعيل دور الشباب واستثمار طاقاته المختلفة في البناء والتعمير.

ومن مظاهر الانهزام النفسي عند الشباب أن الأغلبية الساحقة من شباب العالم الإسلامي تعيش وضعية يرثى لها فهم يتأرجحون بين التقاليد السائدة والتيارات المستوردة المائعة ونتج عن هذا مجموعات تعيش ازدواجية الشخصية وأصبح معظم الشباب مقلداً للغرب من إطلاق للشعور وسماع للموسيقى الصاخبة وارتداء الأزياء المتطرفة والثورة على النظام السائد داخل المؤسسات والجامعات وقوانين المرور والجري وراء الشهوات الجامحة والمخدرات والكحول وما إلى ذلك من مفاسد تؤثر بشكل مباشر على الفرد والمجتمع.(٣)

وترتب على إغفال الشباب والقصور في علاج مشكلاته فقد الثقة فيما هو كائن ما أدى إلى حال من الانفصام العملي بين الشباب وبين الوجود الاجتماعي والسياسي والثقافي صاحبها اليأس من إمكان حلول مستقبلية مشروعة ما أدى إلى تمكن طابع عدم الاكتراث أو ما يسمى في الأسلوب الدارج بالاستهتار وعدم المبالاة مع الجنوح المندفع إلى طرفي النقيض، وهو ما يسمى التطرف ويتمثل في التطرف الديني والتطرف الإلحادي أو الإنكاري ويضاف إلى هذا عوامل الفراغ الديني والسياسي الذي يسيطر على كثير من هؤلاء الشباب، فثقافتهم الدينية محدودة، فهي تكاد تنحصر في دائرة تضم أغلب المظاهر عدوانية وانحرافاً.(٤)

ويستمد شباب اليوم - إلا من رحم الله - مثلهم العليا من السينما والمسرح والتمثيل فهم يرون الأبطال وهم يتحركون على الشاشة أو على خشبة المسرح وحياتهم كلها ملذات ونزوات وما يسمونه خطأ بالحب ويرون هؤلاء الشباب كيف أن هؤلاء الأبطال يرتدون أفخر الثياب ويتحلون بأحلى الجواهر ويحققون ما يريدون، فيظن شبابنا بلون من الانسياق أن الحياة على هذه الوتيرة من السهولة واليسر والإباحية وإشباع الرغبات، فيدخل في روعهم أن تلك الصورة هي الواقع وأن ما يرونه حولهم خداع وظلم، ومن ثمَّ يتمردون ويسخطون ويبحثون عن أيسر السبل كي يحققوا تلك الأحلام

الوردية التي ساقها إليهم ذلك الفن الخادع الذي يمالئ عواطف الشباب وينافقها ويسترضيها على حساب أعظم القيم وأنبلها.(٥)

إن الوضعية التي يوجد عليها الشباب المعاصر تزج به في أزمة ضمير وتدفعه إلى التهالك على المادة والجري وراء اللذة، وفي هذا الخضم يسيطر عليه الفراغ فيصبح عنصراً للاستهلاك هامشياً من حيث المردود والإنتاج بل غائباً عن مجتمعه رغم وجوده.

ومن هنا كان على الموجهين للشباب أن يركزوا في توجيههم على التحليل النفسي للشباب والأزمات التي تعترض مسيرة نموه والمزالق التي تعتري تفكيره لانتشاله من حال التخذيل والضياع وضعف الثقة بالنفس والشعور بالإحباط والانطواء والركن الأساسي هو تعهد الشباب من بواكير صباه بالتربية الدينية وإحاطته بجو من الثقافة الروحية التي تغذي عاطفة التدين فيه وتنمي فيه ركائز التقوى ورياضة النفس.(٦)

إن الأمة الإسلامية اليوم أحوج ما تكون إلى تفعيل دور الشباب تفعيلاً صحيحاً وحقيقياً وجدياً بما يوافق طبيعة الدور الذي يجب أن يقوم به، فدور الشباب في أمة أو دولة متخلفة غيره في أمة رائدة، ودوره في أمة تحت النفوذ الأجنبي، غيره في أمة حرة مؤثرة، ودور الشباب في أمة فقيرة الموارد أو المواهب غيره في أمة ثرية بالموارد والمواهب، ودوره في أمة تكنولوجية غيره في أمة أمية من دول العالم الثالث ودوره في أمة استشرى فيها الطغيان الداخلي ولو كان باسم الحرية أو الشعارات المختلفة أو ازدادت فيها وسائل الظلم باسم العدل وباسم الشعب غيره في الأمة الدستورية أو دولة المؤسسات، كما أن دور الشباب في القرن الـ٢١ يختلف عن دوره في القرن الـ٢٠، وكل ذلك لايفهم فهماً صحيحاً ولايدرك إدراكاً فاعلاً إلا بنظر وبصيره متخصصة ومخلصة ودؤوبة تعلّم بجد وتعمل بعزم وتقود بكفاءة.(٧)

إن التربية الإيمانية الأخلاقية هي الأساس الأول لتربية الشباب المسلم تحفيزاً لهم وتهذيباً حتى يسهل لهم فهم الحياة والتعامل معها على أساس متين وصحيح من العقائد والأخلاق، وإذا كان الإنسان مطالباً بمعرفة الله والتفكير في ملكوته عن طريق العقل فإن الدين هو الذي يوجه العقل ويحدد مساره الصحيح، وعلم الدين علم غيبي عن طريق الوحي من الله وليس غير ذلك.(٨)

وأن من الخير أن تنبعث النهضة من أحوالنا وجذورنا بتشجيع الفضيلة ومحاربة الرذيلة وأن يتولى مقاليد الأمور الملتزمون بالفضيلة والدين حتى يكونوا أسوة لغيرهم لأن فاقد الشيء لا يعطيه، مع التركيز على التربية العملية والتي من مظاهرها التقوى والعمل الصالح واحترام الحقوق والواجبات والتضحية الغالية النبيلة والقيام بواجب الدعوة إلى الله مع القدرة على تحمّل المسؤولية وضبط النفس والتغلب على عقبات التخلف.

ولو رجعنا إلى الطريقة النبوية فإننا نجد أنها قد اتخذت طريقاً عملياً فجعلت من الممارسة العملية منهجاً لبناء الرجال وصناعة الأبطال وذلك حتى تمتزج الأحكام والشعائر باللحم والدم، وتخالط ينابيع الإيمان من قلوب الناس فتتحول إلى سلوك حميد وعمل مجيد لا مجرد تعاليم نظرية أو شعارات براقة لا تؤثر في المجتمع ولا يكفي أن يكون الإنسان منطوياً على نفسه مقتصراً على عبادته، بل عليه أن يستنفد طاقاته في أوجه نشاطه كلها علمية وعملية سعياً في سبيل الإسلام. إن ضياع الشباب المسلم أخلاقياً وهزيمته نفسياً يخدم قضية إسرائيل وأعداء الإسلام جميعاً، فلماذا نخرّب بويتاً بأيدينا!!

وأن الهدف الأساسي الذي يجب أن نحرص على أن يتربى عليه أبناؤنا هو التيقن بأنهم هم أصحاب الحضارة الإلهية الحقة والتاريخ والسيرة الطاهرة والحق المضيء الذي ينبغي أن يسود الأرض، وأن تبذل في سبيل ذلك الأنفس والأموال وتسود حياة الجد والاجتهاد والإعداد والاستعداد لنشر النور الإلهي في كل الأصقاع.

إن عقول شبابنا يجب أن تطهّر من الأفكار غير الإسلامية وأن تقصى عن النظام التعليمي روح العلمانية والتمرد على الدين.

كما يجب أن نخرج من خندق «الاستغراب» ونتحرر من التبعية للنظم الغربية وأن نبحث عن حلول مشاكل حياتنا في تاريخنا ونستلهم تصحيح مسارنا من توجيهات سلفنا الصالح ومن حق شبابنا أن يجدّ في دراسته للتاريخ الإسلامي علاجاً لمعنوياته المنهارة وتعزيزاً لثقته بنفسه وربطاً بجذوره الثقافية والحضارية وتحصيناً من محاولات الانحراف الفكري والعقدي . (١٠) ■

الهوامش :

١ - تأملات في الدين والحياة، محمد الغزالي - ط٤، دار الكتب الإسلامية ص١٥٣.

٢ - اقرأ «الشباب وحرية الاختيار» د. رشدي فكار - دار المعارف - الدار البيضاء - ط ١٩٧٥م.

٣ - مشكلات الشباب الحلول المطروحة والحل الإسلامي - كتاب الأمة ص ٨.

٤ - آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، د. جابر قميحة، سلسلة دعوة الحق عدد ١١٦ سنة ١٤١٢هـ - ص٨٦ - ٨٨.

٥ - نحن والإسلام - نجيب الكيلاني - مؤسسة الرسالة ص ١٠١٠، ١٠٤.

٦ - التضامن الإسلامي - السنة الرابعة والأربعون - ربيع الثاني سنة ١٤١٢هـ - ص٩٨.

٧ - المجتمع - عدد ١٢٥٨ ربيع الأول سنة ١٤١٨هـ - ص٤٥.

٨ - التفكير فريضة إسلامية، عباس محمود العقاد - نهضة مصر للطباعة والتوزيع ص١٧.

١٠ - منار الإسلام، العدد الخامس - جمادى الأولى سنة ١٤١٣هـ - ص١٠٦.

بقلم : محمد حسام محمودقاسم

الانهزام النفسي سبب كل تخلف وفشل، وأمتنا التي نسيت أن لها هدفاً وهوية واضحي المعالم، تتنكب طريقها إلى الأمام، وتتعثر في درك المنحدرات بسبب الهزيمة النفسية التي تعيشها من جراء تسلط دول كبرى عليها، مما قتل عند الكثيرين روح الإقدام، وملأ نفوسهم سلبية واستسلاماً للواقع المرير، ساعد على ذلك الحال المريرة للدول العربية والإسلامية نتيجة عدم ثقة أبناء الأمة في منهجها الإسلامي، وحضارتها الزاهرة، فيما يرجع إلى الجهل تارة، والتشويه المتعمد في الخطاب الإعلامي، والتربوي، والثقافي، والتعمية المقصودة على مآثر التاريخ الإسلامي، ومحاولات طمس الهوية الإسلامية في المناهج الدراسية تارة أخرى.

ولجميع المنهزمين نفسياً نقول . والتاريخ خير شاهد .: إن المسلمين أضاءوا الدنيا نوراً، وملأوها عدلاً وقوة عندما سادوا وحكموا، ولم يقتلوا أو يعذبوا أو يظلموا . والحق ما اعترفت به الأعداء . بل حكموا فعدلوا، وجاهدوا فتقدموا، وعملوا وسبقوا غيرهم في جميع المجالات في الوقت الذي كانت أوروبا فيه تحيا في ظلام دامس في شتى نواحي الحياة.

حضارتنا الإسلامية .. في مواجهة الانهزام النفسي

ولقد حققت أمتنا العظيمة إنجازات خالدة في الكثير من المجالات بفضل الإسلام، نذكر منها:

١ - الفلسفة والعلوم

يؤكد كثير من الباحثين أن «مارتن لوثر» في حركته الإصلاحية في أوروبا كان متأثراً بما قرأه للفلاسفه العرب والعلماء المسلمين في الدين والعقيدة والوحي.

ولم لا وقد كنا نحن المسلمين أساتذة لأوروبا مدة لا تقل عن ٦٠٠ سنة في العصور الوسطى. وقال العلامة غوستاف لوبون: «ظلت ترجمات كتب العرب ولا سيما الكتب العلمية، المصدر الوحيد تقريباً للتدريس في جامعات أوروبا خمسة أو ستة قرون». ويقول المستشرق سيديو: «كان العرب وحدهم حاملين لواء الحضارة في القرون الوسطى».

٢ - الأدب واللغة

تأثر أدباء الغرب بالأدب العربي بقوة، حتى أنهم كتبوا باللغة العربية شعراً وأدباً يفوق شعر العرب في الأناقة وحسن الأداء، ويقول الكاتب الإسباني الجارو: «إن أرباب الفطنة والتذوق سحرهم الأدب العربي فاحتقروا اللاتينية». ويقول ماكيل : «كانت أوروبا مدينة بأدبها الروائي إلى بلاد العرب والشعوب العربية».

٣ - علاقة الحاكم بالشعب

كانت أوروبا ترزح تحت العبودية ونير الظلم، حتى أن صلة الشعب بالحاكم كانت صلة العبد بسيده، فالحاكم هو السيد المطلق الذي يتصرف بالشعب كيف يشاء والمملكة تعتبر ملكاً خاصاً له، وتورث عنه مثل بقية أمواله.

وكانت العلاقة بين الأمم المتحاربه استباحة

الغالب لكل ما في يد المغلوب من مال وعرض وحرية وكرامة! وظلت الأمور على هذه الحال حتى قامت الحضارة الإسلامية معلنة أن الشعب هو صاحب الحق في الإشراف على حاكمه، وأن الحاكم ليس إلا أجيراً يسهر على مصالح الشعب.

هنا حدث للمرة الأولى في التاريخ أن يسأل الشعب حاكمه عما في يده ومن أين جاء به؟. بل يقول أحد الرعية للحاكم: «السلام عليكم أيها الأجير»! وتقف امرأة ترد الحاكم إلى كلام الله أمام الرعية، فيسمع ويطيع ويعترف بالخطأ. ويعلن الحاكم لشعبه: «إن أصلحت فأعينوني، وإن أخطأت فقوموني»، ويقول أيضاً: «أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم».

ومن هذه المفاهيم قامت الحركات الثورية بعد قرون طويلة على هذه القيم والمبادئ الإسلامية نفسها.

فلقد اتصل الغربيون بحضارتنا في القرون الوسطى عن طريق الشام والأندلس ولم يكونوا يعرفون قبل ذلك انتفاضة شعب على ملك ، إذ لم يكن من حقهم أن يحاسبوا حاكماً أو ينصروا مظلوماً، بل كان يذبح بعضهم بعضاً حين يختلف معه في العقيدة أو المذهب!

وإلى الآن، وفي العصر الحديث والغرب، ومافيه من تقدم لاتزال رواسب هذه المفاهيم متجلية فيما يحدث بين الأرثوذكس والكاثوليك من اشتباكات واضطرابات وقتل في إيرلندا وغيرها من البلدان.

٤ ـ التعصب الديني

تحدثنا السيرة النبوية أنه عندما جاء وفد نصارى الحبشة إلى رسول الله ﷺ أنزلهم الرسول ﷺ المسجد، وأحسن ضيافتهم وقام بنفسه على خدمتهم، وأيضاً عندما جاء وفد نصارى نجران أنزلهم الرسول ﷺ المسجد، وسمح لهم بإقامة صلاتهم فيه، فكانوا يصلون في جانب من المسجد متجهين للشرق، بينما كان المسلمون في الجانب الآخر يصلون متجهين للكعبة، وقد استمع الرسول ﷺ إليهم، وجادلهم برفق وأدب وسماحة خلق.

بل قبل رسول الله ﷺ هدية المقوقس، جاريته، وتزوج بها، ورزق منها بإبراهيم، ومن وصاياه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ للمسلمين: «استوصوا بالقبط خيراً فإن لكم فيهم نسباً، وصهراً».

وقد حفظت الحضارة الإسلامية لأصحاب الديانات الأخرى دينهم وحرية عبادتهم، بل جاءت هذه الحضارة بالحق لمن يتعرض للظلم، وحينما دخل المسلمون الأندلس أمّنوا النصارى في حرية التعبّد، وحفظوا كنائسهم. وكذلك فعل محمد الفاتح في القسطنطينية حينما حفظ للنصارى حرية العبادة وأمّن الناس في كنائسهم.

وسجل التاريخ للمرة الأولى أن شكوى والد نصراني مغلوب في حق الحاكم الغالب إلى رئيس الدولة الأعلى من أن ولد الحاكم قد ضرب ولده الصغير على رأسه بالسوط من غير حق.. ويغضب الرئيس الأعلى، ويحاسب ولد الحاكم، ويقتص منه، ويؤنبه قائلاً: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟» إن هناك في تاريخنا الكثير والكثير من هذه النماذج الرائعة.

والسؤال الآن: أين الحضارة الغربية الآن مما تفعله بالمسلمين العزل من مذابح تقشعر لها الأبدان، وتتقزز منها النفوس نتيجة لما امتلأت به نفوسهم البغيضة من حقد دفين وعنصرية دميمة ساقتهم إلى مهاوي التاريخ، وجيفة البشر؟

٥ ـ الأخلاق خلال الحروب

ضرب المسلمون المثل الرائع النقي الرحيم العطوف الرفيق في المعاملة في أثناء الحروب فما قامت حروبهم لأهداف توسعية عمياء، بل كان هدفها منها الدفاع عن عقيدة الأمة، وأخلاقها، وحرية الشعوب، واستقلالها بالحسنى، ونشر دعوة الله، وخيرها العميم على البشرية، وهذه أهداف إنسانية تنبع من حضارة إنسانية لا تتغير، ولا تتبدل مع اشتداد وطيس المعارك. يقول الله تعالى: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ (النساء:٧٦)، وعندما دخل الرسول ﷺ مكة قال لقومه ـ بعد ما فعلوه به من إيذاء ـ: «ما تظنون أني فاعل بكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم»، قال «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، ذلك لأنه محمد ﷺ معلّم الإنسانية الخير لا القائد الذي يسعى لمجده وسلطانه فتسكره النشوة، ويأخذه العجب.

وهذه وصية أبي بكر لجيشه التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ: «لا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له».

إن رسالة الأمة بعد النصر سمو روح وعدالة في المجتمع، وتعاون على الخير، ونفع الناس ومكافحة الشر والفساد في الأرض. يقول تعالى: (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) الحج:٤٤.

وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز وفد عليه أهل سمرقند فرفعوا إليه

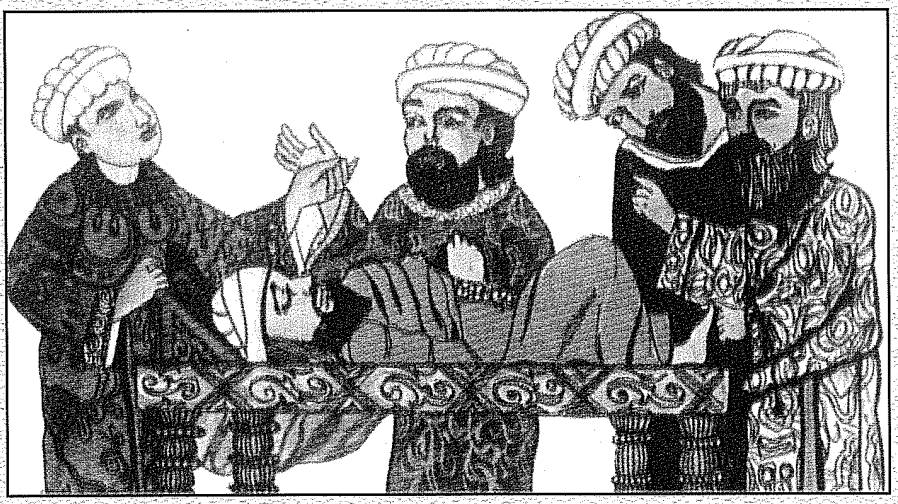

● قصر الحمراء في الأندلس

أن قتيبة قائد الجيش الإسلامي فيها دخل المدينة وأسكنها المسلمين غدراً بغير حق، فنصَّب عمر بن عبدالعزيز قاضياً لإحقاق الحق فحكم القاضي - وهو مسلم - بإخراج المسلمين من المدينة على أن ينذرهم قائد الجيش بعد ذلك قبل أن يدخل وفقاً لمبادئ الحرب الإسلامية، وذلك حتى لا يأخذهم بغتة!. فلما رأى أهل سمرقند ما لا مثيل له من عدالة تنفذها الدولة على جيشها وقائدها قالوا: «هذه أمة لا تحارب وإنما حكمها رحمة ونعمة»، فرضوا ببقاء الجيش الإسلامي.

وهل أتاكم نبأ الحروب الصليبية التي شنها علينا الغربيون في القرون الوسطى؟ أما سمعتم كيف كنا نفي ويغدرون، ونصفح وينتقمون، ونصون الدماء ويخوضون فيها للركب وهم يتلذذون ويطربون؟.

وفي أحد هذه الحروب دخل القائد طنكرد على أهل بيت المقدس وشدد الحصار عليهم، فلما علموا أنهم مغلوبون طلبوا الأمان فأعطاهم إيَّاه، على أن يضعوا رايته على المسجد الأقصى، ويحتموا به، ولما دخل عليهم ذبحهم ذبح النعاج حتى وصلت دماؤهم إلى ركب الناس، ولم يفرِّق في ذلك بين أطفال، أو نساء، أو شيوخ، وملأت الجماجم شوارع المدينة... وبعد ٩٠ سنة من هذه المجزرة دخل صلاح الدين بيت المقدس فاتحاً، فماذا فعل؟.. لقد كان فيها ما يزيد على مئة ألف صليبي بذل لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم، وسمح لهم بالخروج لقاء مبلغ زهيد يدفعه المقتدرون منهم، وأعطاهم مهلة للخروج أربعين يوماً، فجلى منها أربعة وثمانون ألفاً لحقوا ببني جلدتهم في عكا وغيرها، ثم أطلق سراح كثير من الفقراء دون فدية، وأدى أخوه الملك العادل الفدية عن ألفي رجل منهم. وعامل صلاح الدين النساء معاملة لا تصدر عن أرقى ملك منتصر في العصر الحديث.

ولما أراد البطريرك الإفرنجي أن يخرج، سمح له بالخروج ومعه من الأموال ما لا يعلمه إلا الله، فاقترح بعض حاشية صلاح الدين عليه أن يأخذ ذلك المال الكثير، فأجابهم السلطان: «لا أغدر به»، ولم يأخذ منه إلا ما كان يأخذه من كل فرد. ومما يزيد في روعة هذا العمل الإنساني الذي عمله صلاح الدين في فتح بيت المقدس، أنه أرسل مع جماهير الغربيين الذين نزحوا عن القدس لينضموا إلى أقرانهم من يحميهم ويوصلهم إلى أماكن الصليبيين في صور وصيدا بأمان، مع أنه كان لايزال في حرب معهم!

واسمعوا بقية القصة: اجتمع كثير من النساء اللواتي دفعن الجزية، وذهبن إلى السلطان يتوسلن إليه قائلات إنهن إما زوجات أو أمهات أو بنات بعض من أُسر، أو قُتل من الفرسان والجنود، ولا عائل لهن ولا مأوى، ورآهن يبكين فبكى معهن تأثراً وشفقة، وأمر بالبحث عن الأسرى من رجالهن، وأطلق الذين وجدهم ثم ردهم إلى نسائهم. أما اللواتي مات أولياؤهن فقد منحنهن مالاً كثيرا، جعلهن يلهجن بالثناء عليه أينما كن. ثم سمح لهؤلاء الذين أعتقهم أن يتوجهوا مع نسائهم وأبنائهم إلى سائر زملائهم اللاجئين في صور وعكا... فعل هذا بينما قصد بعض الفقراء الغربيين الذين تركوا القدس بعد فتحها إلى إنطاكية، فأبى أميرها الصليبي أن يقبلهم، فهاموا على وجوههم حتى آواهم المسلمون. وذهب فريق منهم إلى طرابلس وهي تحت حكم اللاتين، فطردوهم وأبوا قبولهم، وسرقوا أمتعتهم التي منحهم إياها المسلمون!

كذلك من أخلاق الغرب في الحروب ما فعله الصليبيون حين قدموا إلى أوروبا، واستولوا على القسطنطينية العام ١٢٠٤م إذ

يقول البابا أنسنت الثالث في وصف ما فعله هؤلاء في إخوانهم الأرثوذكس: «إن أتباع المسيح وناصري دينه، الذين كان يجب أن يستلوا سيوفهم ضد عدو المسيحية الأكبر (يعني الإسلام) قد سفكوا الدم المسيحي الحرام وغرقوا في بحاره.. هؤلاء لم يحترموا الدين، ولا السن، ولا الجنس»!

هذا ما فعلوه مع إخوانهم فما بالك بما فعلوه بالمسلمين؟! ولما دخلوا الكنائس وانتهكوا حرماتها وسلبوا أيقوناتها وآثارها... يقول المؤرخ شارل ديل: «لقد دخل الجنود السكارى كنيسة سانت صوفيا، وأتلفوا الكتب المقدسة، وداسوا بأقدامهم صور الشهداء، وجلست عاهرة على كرس البطريرك، وارتفع صوتها بالغناء، وأذيبت التماثيل لسك النقود»! ويقول أحد الرهبان الذين شاهدوا هذا الحادث: «إن أتباع محمد ما كانوا يعاملون الناس في المدينة مثلما عاملهم جنود المسيح»!

وحتى عندما دخل الإسبان غرناطة، واستولوا عليها؛ حولوا كل مساجدها إلى كنائس، ولم يكفوا أيديهم عن سفك الدماء، وإزهاق الأرواح، وسلب الأموال، لم تمر أربع سنوات حتى لم يبق في إسبانيا كلها مسلم واحد، في حين أن كل أسباب الرقي والازدهار في الأندلس كانت من صنع الحضارة الإسلامية التي حفظت للنصارى دينهم، وعبادتهم، وكنائسهم، ولم تتعرض لهم بالإيذاء، ولا القتل، ولا إلى أموالهم، أو أعراضهم بالسلب والنهب.

٦ - الجوانب الإنسانية

في الإسلام الناس «سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح»، وميزان قياس الرجال بطاعتهم لربهم.. و«سلمان منا أهل البيت» إشارة من الرسول ﷺ لإزالة الحواجز، وذوبان العنصرية البغيضة، ففي مناسبة الجمع بين صهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وبين العرب ممن تبعوا منهج النبي ﷺ يخطب الرسول قائلاً: «يأيها الناس: إن الرب واحد، والأب واحد، والدين واحد».

وفي شأن المرأة المخزومية التي أتت حداً من حدود الله، وأراد أسامة أن يشفع لها فيه قال رسول الله ﷺ: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها».

وحينما قال أبو ذر لبلال رضي الله عنهما: يا بن السوداء. قال له رسول الله ﷺ: «إنك أمرؤ فيك جاهلية» فندم أبو ذر وتاب عن ذلك حدث هذا بينما مازالت في مطلع القرن الحادي والعشرين هناك أحياء خاصة بالسود في أميركا، ومازالت العنصرية تقطع أحشاء السود، وتمزق كيانهم، وتعزلهم عن ممارسة حياتهم حتى حَولهم المجتمع إلى مجرمين، وقتلة، ومدمنين، ومروجي مخدرات، لأن البيض صادموا الفطرة، وجعلوا لأنفسهم حقوقاً على حساب غيرهم في بلاد الحرية المزعومة.

قال جيمس بيريز - عضو مجلس الشيوخ الأميركي - «ليس لأيما رجل ملون تعمر قلبه الرغبة في المساواة السياسية عمل ما في ولايات الجنوب، إن هذه البلاد ملك للرجل الأبيض، ويجب أن تظل كذلك!».

وتعاني ولايات كثيرة في أميركا حتى الآن من الفصل في مدارسها بين البيض والسود، بل لكل فصول خاصة به، كما لا يقيم العمال البيض مع السود داخل المصانع، ولكل منهم أبواب خاصة للدخول!

٧ - الرفق بالحيوان

سمت الحضارة الإسلامية إلى عليائها، وحفظت لأفرادها النفس، والعقل، والدين، والعرض، والمال، وتألقت في اهتماماتها فانتقلت برحمتها إلى الحيوان، حتى إن القسوة عليه تُدخل النار: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض». (رواه البخاري ومسلم).

وقد حرم الإسلام كي الحيوانات من أجل وضع علامات لها بين أقرانها، كما أوصى الرسول ﷺ بأن «تحد الشفرة للذبح ويُسقى الماء»، كما تحرم إجاعة الحيوان وتعريضه للضعف والهزال.

وفي ضوء تعاليم الإسلام يقرر الفقها من أحكام الرحمة بالحيوان ما لا يخطر ببال، إذ يقررون أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكه، فإن امتنع أجبر على بيعه أو إطلاقه ليأكل أو يذبح إن كان مما يؤكل، وأضافوا: إذا لجأت هرة عمياء إلى بيت شخص وجبت عليه نفقتها، ومنعوا من تحميل الحيوان أكثر مما يطيق!

وقد نهى عمر بن عبد العزيز - في إحدى رسائله إلى الولاة - الناس عن إركاض الفرس في غير حق، وأمر الشرطي ألا يُسمح لأحد بإلجام دابته بلجام ثقيل أو بضربها بمقرعة، و أن يمنع الناس أيضاً من تحميل الدواب فوق طاقتها أو تعذيبها أو ضربها في أثناء السير.

أما المؤسسات الاجتماعية فكان للحيوان فيها نصيب كبير، وحسبنا أن نجد أوقافاً خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة، وأوقافاً أخرى لرعي الحيوانات المسنة العاجزة.

المؤسسات الخيرية

قدمت الحضارة الإسلامية للعالم فكرة وقف المؤسسات الخيرية لله ومنها على سبيل المثال المطاعم الشعبية التي كان يوزع فيها الطعام من خبز، ولحم، وحساء، وحلوى كما كان في تكية السلطان سليم في دمشق، ومنها بيوت الحجاج في مكة ينزلونها حين يفدون إلى بيت الله الحرام لكن بعض الفقهاء أبطل إجارة البيوت في مكة لأنها موقوفة على الحجاج، كما كانت هناك مؤسسات خاصة بالمرابطين في سبيل الله، يجد فيها المجاهدون مستلزمات الجهاد في سبيل الله من سلاح، وذخيرة، وطعام وشراب، وأيضاً وقف للسيوف والخيول والنبال وأدوات القتال، مما كان له أثر في ازدهار الصناعات الحربية، ونشأة مصانع كبيرة حتى أن الغربيين كانوا يسعون لشراء الأسلحة، لكن كانت هناك فتاوى تحرّم ذلك.

انظر إلى حالنا اليوم تجدنا نستجدي سلاحنا من أعدائنا! وبشروط تقتل كرامتنا واستقلالنا ثم بعد ذلك نأخذ الفتات والمستهلك والقديم من السلاح.

كما كانت هناك مؤسسات التكافل الاجتماعي، فهناك مؤسسات للقطاء، واليتامى، وختانهم ورعايتهم وهناك مؤسسات للمقعدين، والعميان، والعجزة يلقون فيها العناية اللازمة والسكن، والغذاء، واللباس، والتعليم.

وكانت هناك أيضاً مؤسسات لتحسين أحوال السجناء، ورفع مستواهم، وتغذيتهم بالغذاء الواجب لصيانة صحتهم.. ومؤسسات لإمداد العميان والمقعدين بمن

يقودهم، ومؤسسات لتزويج الشباب والفتيات العزاب ممن تضيق أيديهم أو أيدي أوليائهم عن نفقات الزواج.

ومنها مؤسسات لإمداد الأمهات بالحليب والسكر، وقد جعل صلاح الدين في أحد أبواب القلعة - الباقية حتى الآن في دمشق - ميزاباً يسيل منه الحليب، وميزاباً آخر يسيل منه الماء المذاب فيه السكر، بحيث تأتي إليه الأمهات يومين في الأسبوع ليأخذن لأطفالهن ما يحتاجون إليه، و من أطرف المؤسسات الخيرية كان هناك وقف الزبادي للأولاد الذين يكسرون الزُّبديَّة وهم في طريقهم للبيت، فيأتون إلى المؤسسة ليأخذوا زبادي جديدة بدلاً من المكسورة فلا يتعرضون لسخط أهليهم!

لقد بلغت أمتنا في ذلك الذروة التي لم يصل إليها شعب من قبلها على الإطلاق، إذ لم تعرف الأمم والحضارات ميادين للبر إلا في نطاق ضيق لا يتعدى المعابد والمدارس، أما في العصور الحاضرة، فإن أمم الغرب وإن بلغت الذروة في استيفاء الحاجات الاجتماعية فإنها لم تبلغ ذروة السمو الإنساني الخالص لوجه الله كما بلغته أمتنا في عصور قوتها ومجدها.

وحسبنا دليلاً على هذا أن صلاح الدين الأيوبي ملأ البلاد الشامية والمصرية بالمؤسسات الخيرية من مدارس، ورباطات وغيرها دون أن يسجل على واحدة منها اسمه، بل كان يسجل عليها أسماء قواده، وأعوانه، وأصدقائه، وهذا غاية ما يكون من التجرد من حظوظ النفس في أعمال الخير.

وشيء آخر أن الغربيين في مؤسساتهم الاجتماعية يقصرون الانتفاع بها على أبناء بلادهم، بينما كانت مؤسساتنا الاجتماعية تفتح أبوابها لكل إنسان بغض النظر عن جنسه أو لغته أو بلده أو مذهبه، أو حتى دينه.

معاهد العلم والمستشفيات

على مر القرون والحضارة الإسلامية تكفل لأفرادها التعليم المجاني وكل مقومات العلم والإبداع، والتقدم للانتقال من مرحلة إلى أخرى لإبداع تكنولوجيا راقية تنهض بمقومات الحياة.

وكان التعليم مجانياً ولمختلف الطبقات فلم يكن الطلاب يدفعون في دراستهم رسماً، بل يجلس ابن الفقير بجانب ابن الغني، وابن التاجر بجانب ابن الصانع والمزارع، وكانت الدراسة قسمين: قسم داخلي بالمجان للغرباء والذين لا تساعدهم أحوالهم المادية على أن يعيشوا على نفقات آبائهم، وقسم خارجي لمن يريد أن يرجع في المساء إلى بيت أهله وذويه.

وكان هناك وقف المدرسة العمرية التي أسسها محمد بن أحمد المقدسي وقد شمل الوقف أموراً كثيرة منها: وقف الخبز الذي يفرق في كل يوم ألف رغيف أو نحوه على النزلاء، ووقف للأطعمة اليومية والأضحية في العيد الكبير بحيث تعطى لكل نازل، ووقف للحلوى في المواسم، ووقف زبيب كل ليلة جمعة وحلويات أخرى في الليالي الفضيلة من رمضان، ووقف على قمصان كل سنة لكل نازل، ووقف على أطباق غسل للفقراء، ووقف أباريق للوضوء، وسخانة يسخَّن فيها الماء في سائر أيام الشتاء للاغتسال، ووقف من الزيت للإضاءة.

وكذلك لوحظ الاهتمام بالصحة العامة: ففي عهد الوليد بن عبدالملك أنشئ أول مستشفى في الإسلام، وكان خاصاً بالمجذومين، وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبسهم كي لا تنتقل العدوى منهم إلى غيرهم.

ومن أشهر المستشفيات في التاريخ الإسلامي مارستان ابن طولون الذي بناه أحمد ابن طولون سنة ٢٥٩هـ ، وقد صمم حمامان للمارستان أحدهما للرجال والآخر للنساء وشرط أنه إذا جيء بالعليل تنزع ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان، ثم يلبس ثياباً ويفرش له ويغدا عليه ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ، وقد عمل في آخر المارستان خزانة شراب «صيدلية أدوية» وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لمعالجة من يصابون بالأمراض من المصلين.

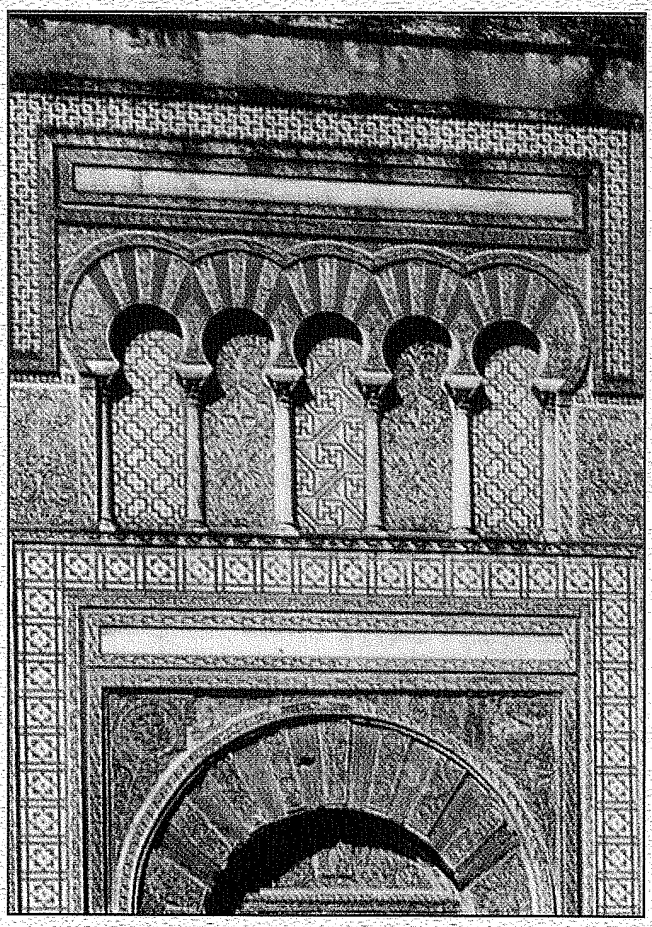

● قصر الحمراء في الأندلس

وقد ظل هذا المارستان قائماً يؤدي خدماته للمرضى حتى القرن التاسع الهجري.

ومنها أيضاً المارستان المنصوري الكبير في القاهرة الذي يعد من أكبر وأشهر المستشفيات في التاريخ الإسلامي، وقد وقف عليه الملك ما يقارب ألف ألف درهم في كل سنة، وجعل فيه فراشين من الرجال والنساء لخدمة المرضى وأفرد لكل طائفة من المرضى موضعاً، فأفرد قاعة للرمدى وقاعة للجرحى وقاعة لمن به إسهال وقاعة للنساء وأفرد مكاناً لطهي الطعام ومكاناً لتركيب المعاجين والأكحال والشيافات ونحوها، ولم يحص عدة المرضى، بل جعلها سبيلاً لكل من يرد عليه من الفقراء والأغنياء ولم يحدد مدة لإقامة المريض، بل رتب لمن هو مريض بداره

سائر ما يحتاج إليه.

فإذا أصبح المريض في دور النقاهة أُدخِلَ القاعة المخصصة للناقهين حتى إذا تم شفاؤه أُعطي بدلة من الثياب الجديدة ومبلغاً من المال يكفيه حتى يصبح قادراً على العمل، وكانت غرف المستشفى نظيفة تجري فيها المياه، كما كانت قاعته مفروشة بأحسن الأثاث، ولكل مستشفى مفتشون على النظافة، ومراقبون للقيود المالية.

وكان لهذا الوقف - الذي خصص للمستشفيات والأنشطة الطبية، والتعليمية أثره الواضح على تقدم البحث العلمي في الكيمياء والصيدلة، فقد ساعدت المستشفيات ومختبراتها العلمية المتخصصة على نبوغ وإبداع العرب والمسلمين من الدارسين فيها، بل كانت سبباً في تحقيق الإنجازات المتصلة بعلم الكيمياء والأدوية التي عرفها تاريخ الشفاء والطب في العالم، فالعرب المسلمون أول من أدخل السكر في فن الصيدلة، وبخاصة في صناعة الأشربة كي يستسيغ المريض الدواء.

العواصم والمدن الكبرى

حينما نلقي نظرة سريعة على مدن العالم الإسلامي ومدن العالم الغربي سيروعنا الفرق بين النوعين، وسيدهشنا أن نرى عالماً زاخراً بالحياة والقوة والحضارة (العالم الإسلامي)، وعالماً بدائياً لا أثر له في حياة أو علم أو حضارة (العالم الغربي).

جاء في التاريخ العام للافيس ورامبو ما يلي: «كانت إنكلترا في القرن السابع الميلادي إلى ما بعد العاشر فقيرة في أرضها، منقطعة الصلات بغير بلادها، سمجة وحشية، تبني البيوت بحجر غير منحوت، ومن تراب مدقوق، ومساكنها ضيقة، غير محكمة الإغلاق، وحظائرها لا نوافذ لها، وتقتل الأوبئة المواشي، ويتجمع السيد مع أسرته على إناء واحد للطعام، ولم يكونوا يعرفون الشوك، بل كانوا يرفعون الإناء، ويلقون بالطعام في أفواههم دفعة واحدة».

وكانت أوروبا المليئة بالغابات الكثيفة متأخرة في الزراعة، وتنبعث من مستنقعاتها الروائح الكريهة القاتلة، كما كانت البيوت في باريس ولندن تُبنى من الخشب والطين، وكانت البسط مجهولة عندهم لا يعرفون إلا القش، وكان السرير عندهم كيس من القش فوقه كيس من الصوف، وكانوا يلقون بأحشاء الحيوانات وأقذار المطابخ أمام بيوتهم، وكانت الأسرة الواحدة تنام في غرفة واحدة».

هكذا كان حال الغرب حتى القرن الحادي عشر فما بعده، باعتراف مؤرخيهم أنفسهم، ولننتقل سريعاً إلى الشرق وعواصمه.

كانت قرطبة - المجاورة لأوروبا - في عهد عبدالرحمن الثالث الحاكم الأموي عاصمة للأندلس المسلمة، تنار بالمصابيح ليلاً، ويستضيء الماشي بسرجها عشرة أميال (١٦ كيلو متراً)، وأزقتها مبلطة وقمامتها مرفوعة من الشوارع، ومُحاطة بالحدائق الغناء حتى أن القادم إليها كان يتنزه ساعة في الحدائق قبل أن يصلها، وكان يسكنها أكثر من مليون نسمة، «في حين لم يتعد سكان أكبر مدن أوروبا ٢٥ ألفاً»، وكان لها ٩٠٠ حمام، و٢٨٣ ألف بيت، و٨٠ ألف قصر، و٦٠٠ مسجد، وكان في الجانب الشرقي منها ١٧٠ امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، وكان فيها ٨٠ مدرسة للتعليم المجاني، و٥٠ مستشفى. والعمارة الإسلامية بعظمتها ودقتها وفنها في الأندلس خير شاهد على ذلك حتى الآن.

ويتغنى الشاعر الفرنسي «فيكتور هوغو» بقصر الحمراء في غرناطة بالأندلس فيقول: «أيتها الحمراء! أيتها الحمراء! أيها القصر الذي زينتك الملائكة كما شاء الخيال، وجعلتك آية في الانسجام، أيتها القلعة ذات الشُرف المزخرفة بنقوش كالزهور والأغصان المائلة إلى انهدام! حينما تنعكس أشعة القمر الفضية على جُدرك من خلال قناطرك العربية يسمع لك في الليل صوت يسحر الألباب».

أما جامع الزهراء فقد بُني في ٤٨ يوماً فقط، وهي سرعة لم يكن لها نظير في ذلك الوقت.

وفي قصر الزهراء استقبل الخليفة المستنصر العام ٣٥١هـ ملك إسبانيا أردون ابن أذفونش، وقد أصابه الذهول حينما دخل ورأى الأبهة والعظمة والجنود والخدم والسلاح، وزاد في ذهوله مجلس المستنصر والعلماء والأشراف والقواد من حوله، ولما دنا منه خفض رأسه، وخر ساجداً، ثم وقف وتقدم وعاد فسجد، وقبَّل يد المستنصر.

ولم يكن لبغداد - كذلك - في الدنيا نظير في جلالة قدرها، وفخامة أمرها، وكثرة علمائها، ودورها ومنازلها، ومحالها، وأسواقها، وسكانها، ومساجدها، وطُرُرها، وطيب هوائها، وعذوبة مائها، وجمال طقسها.

هذه الأحداث، وهذه النماذج المذكورة قليل قليل من كثير كثير يملأ الكتب والمراجع والمكتبات، وما هذا إلا تذكرة لما كانت عليه الأمة العظيمة الكريمة العجيبة فلابد إذاً من أن يملأ نفوسنا العزة والفخار والثقة والعظمة بتاريخ تليد صنعه بشر تربوا على منهج الإسلام، وحضارة رعاها الله بتمسك رجالها بالمنهج، والمنهج في أيدينا (القرآن والسنة النبوية) ويبقى أن نحيا به، ونُحسن فهمه، ونعمل له، فلا قيمة لعلم إلا بالعمل، وهكذا رفع الله شأن السابقين.

إن التكنولوجيا، والتقدم، والحضارة الغربية كلها صنعها بشر، معتمدين على ما وضعه المسلمون السابقون، والآن ليس أمامنا إلا الجهد والعمل ﴿ إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ﴾ فنال الحسنيين الرفعة في الدنيا، والأجر في الآخرة ﴿ إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ (النساء: ١٠٤).

فهل نكون من صناع حضارتنا من جديد من خلال وتجديد قوتها، وسريان الدم فيها، وقتل الهزيمة النفسية مع ملء النفوس بقوة الإيمان والثقة في المنهج ثم العمل، والاجتهاد؟

إن الدنيا كلها من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها في حاجة إلى هذه الحضارة الحقيقية التي تُهوِّن على الحيوان، وترعاه وتخفف آلامه، فما بالك بالإنسان التائه الحائر في المدنية الزائفة، والذي يُباع ويُشترى في سوق النخاسة والشذوذ في الغرب؟ ■

المراجع:

١ - الاقتباسات بين الأقواس الواردة في المقال مأخوذة من كتاب «من روائع حضارتنا» للدكتور مصطفى السباعي، وعدد مجلة المجتمع رقم ١٢٧٦، ص ٢٦ و٢٧.

بقلم : غازي التوبة

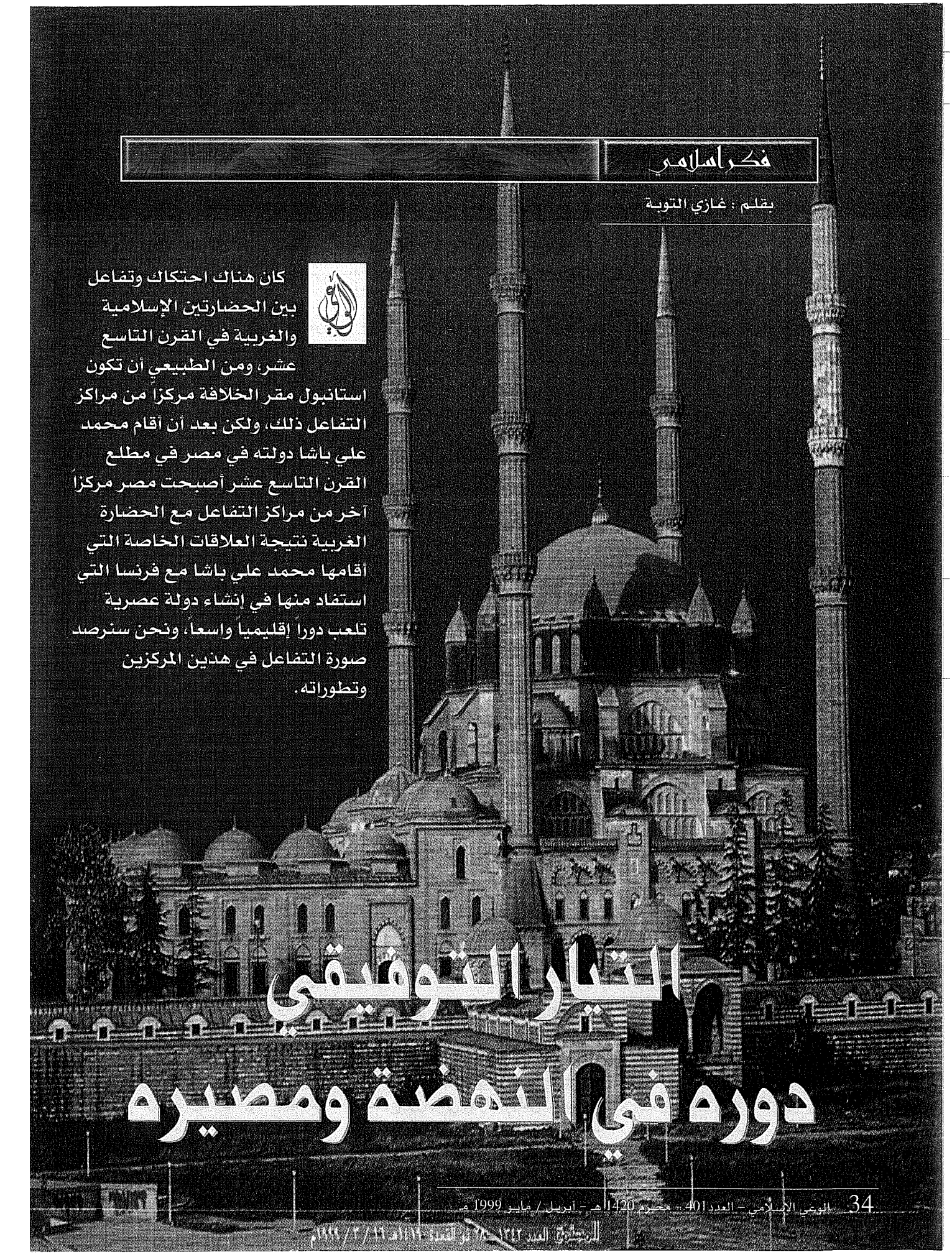

كان هناك احتكاك وتفاعل بين الحضارتين الإسلامية والغربية في القرن التاسع عشر، ومن الطبيعي أن تكون استانبول مقر الخلافة مركزاً من مراكز التفاعل ذلك، ولكن بعد أن أقام محمد علي باشا دولته في مصر في مطلع القرن التاسع عشر أصبحت مصر مركزاً آخر من مراكز التفاعل مع الحضارة الغربية نتيجة العلاقات الخاصة التي أقامها محمد علي باشا مع فرنسا التي استفاد منها في إنشاء دولة عصرية تلعب دوراً إقليمياً واسعاً، ونحن سنرصد صورة التفاعل في هذين المركزين وتطوراته.

التيار التوفيقي
دوره في النهضة ومصيره

الترخيص العدد ١٢٤٢ - ٧٥ تاريخ العدد ١٤١٦/٦/٢٦هـ - ١٩٩٦/٣/١٩م

في مطلع القرن التاسع عشر بزر في استانبول تيار توفيقي يصب في اتجاه التفاعل مع معطيات الحضارة الغربية، وقام هذا التيار بعدة إجراءات منها: إلغاء الجيش الانكشاري، وإحلال جيش نظامي مكانه، وقد حددت ذلك العام ١٨٢٦، ثم أتبعه بإصدار خط كلخانة الذي صدر في الثالث من نوفمبر العام ١٨٣٩م والذي يعتبر بمثابة إعلان حقوق الإنسان في الدولة العثمانية، ثم إصدار الخط الهمايوني في ١٨ فبراير ١٨٥٦م الذي ألحق الخلافة العثمانية باقتصاد السوق، ثم جاءت ذروة القرارات التشريعية إصدار دستور للخلافة العثمانية في العام ١٨٧٦م على غرار الدساتير الغربية، ولم تكن جهود التيار التوفيقي مع الحضارة الغربية محصورة بمجال واحد، بل تعدته إلى مجالات أخرى منها التعليم، فقد أنشأ هذا التيار وزارة للتعليم على غرار التعليم الغربي سميت وزارة المعارف، فطبقت المدارس التابعة لوزارة المعارف المنهج الفرنسي ونظام الإدارة الفرنسية، وقد وصل تأثير التيار التوفيقي إلى القوانين والمحاكم فصدرت قوانين تجارية تنظم المحاكم التجارية التي أدمجت في المحاكم المختلفة.

لقد اختلف الدارسون حول هذه الإصلاحات، هل جاءت نتيجة حاجات داخلية وقرار داخلي أم أنها جاءت نتيجة ضغوط الدول الغربية وتدخل سفاراتها في الشؤون العثمانية؟ والحقيقة أن الإصلاحات جاءت نتيجة الأمرين: نتيجة القرار الداخلي ونتيجة الضغوط الغربية، وقد لقيت تلك الإصلاحات معارضة واسعة من شرائح مختلفة من المجتمع الإسلامي آنذاك، ولكن أمكن تجاوز تلك المعارضة وذلك لحتمية التفاعل بين الحضارتين: الغربية والإسلامية من جهة، ولأنها المسار الطبيعي الذي يجب أن تسير فيه الأمور كي تتوصل الأمة إلى حل إشكالية التعامل مع الحضارة الغربية من جهة ثانية، ولكن حدثت وقائع أدت إلى إلغاء هذا التيار التوفيقي وفرضت سبيلاً آخر هو سبيل نقل الحضارة الغربية برمتها، ولنر ما الذي حدث وماذا كانت نتائجه.

جاء أتاتورك إلى الحكم بعد الحرب العالمية الأولى وألغى كل التيار التوفيقي وخطواته، واتخذ خطوات جذرية لنقل الحضارة الغربية بكل حذافيرها، فألغى الخلافة الإسلامية وأعلن النظام الجمهوري، وطبق العلمانية، وفصل بين الدين والدولة، وقطع كل ما يصل تركيا بتاريخها الإسلامي، فكتب اللغة التركية بالحرف اللاتيني بعد أن كانت تكتب بالحرف العربي، وبعث التاريخ التركي الطوراني السابق على الإسلام، وربط الأتراك به، ووجه المجتمع إلى العادات والتقاليد الغربية، فأجبر المرأة على خلع الحجاب، وعمم لبس «البرنيطة» بدلاً من الطربوش وغير الأسماء الإسلامية إلى أسماء تركية، وجعل الأذان بالتركية بدلاً من العربية، هذا عدا التشريعات الاجتماعية التي كانت نقلاً حرفياً عن التشريعات الغربية، وقد اعتبر الجيش نفسه حامياً لكل تعليمات أتاتورك، وبالفعل قامت انقلابات عدة بعد مماته منذ الستينات وكانت كلها من أجل مواجهة القوى الاجتماعية المناوئة لما فرضه كمال أتاتورك على الشعب التركي، فماذا كانت حصيلة ذلك؟ هل هضم الشعب التركي الحضارة الغربية؟ هل تواءم معها؟ هل كيّف ذاته حسب معطياتها؟

إن المتأمل لوضع تركيا الآن والناظر لصعود التيار الإسلامي منذ الستينات والتغيير المستمر للائتلافات التي تقوده من حزب السلامة إلى حزب الرفاه إلى حزب الفضيلة، وحصول حزب الرفاه بالذات في انتخابات العام ١٩٩٦م على الأكثرية النسبية، وتوقع حصول حزب الفضيلة على أكثرية نسبية في انتخابات العام ١٩٩٩م، يبين مدى التململ الذي يعيشه المجتمع التركي، وعدم هضمه للحضارة الغربية، وربما كان يعود ذلك في جانب كبير منه إلى فرض كمال أتاتورك الحضارةالغربية على المجتمع التركي وإلى إلغائه للتيار التوفيقي الذي تفاعل بشكل طبيعي مع الحضارة الغربية في القرن التاسع عشر وترك نتائج مهمة في كل الدوائر العثمانية: السياسية، والقانونية، والاجتماعية، والتعليمية، والاقتصادية إلخ... وسنرى ذلك بصورة أوضح عندما ننظر إلى تيار توفيقي آخر في مكان آخر من جسم الخلافة العثمانية هو مصر بعد تولي محمد علي باشا لحكمها في مطلع القرن التاسع عشر.

بدأ محمد علي باشا إصلاحه بالجيش فأوكل قيادته لضابط فرنسي هو جوزيف سيف تعاونه هيئة أركان مكونة من ضباط فرنسيين وغير فرنسيين، وقد نظّم أتباع سان سيمون وزارة التعليم العام في مصر، كما أشرف الكاهن دوم رافائيل على مطبعة بولاق العام ١٨٢١، فنشرت كتباً عربية وتركية وفارسية، ورافق رفاعة رافع الطهطاوي البعثات العسكرية إلى فرنسا وهناك عاد بنظرياته في التوفيق، وصور تجربته في باريس في كتاب «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» كما دعا إلى تعليم البنين والبنات في كتابه «المرشد الأمين في تعليم البنات والبنين»، ثم ظهر التيار التوفيقي بصورة أوضح بمحمد عبده وتلاميذته وأبرزهم رشيد رضا الذي أكمل تفسير المنار الذي بدأه محمد عبده والذي أرسى فيه منهجه في التقريب بين معطيات الدين والحضارة الغربية.

وقد جاء التطور الأهم الذي مر به هذا التيار التوفيقي على يد حسن البنا الذي نقله من تيار نخبة وصفوة تجمعها حلقات علمية وتصدر قرارات من الأعلى إلى الأسفل إلى تيار شعبي هادر، يجمع في صفوته مختلف طبقات المجتمع: الوسطى والفقيرة، والمتعلمة والجاهلة، المدنية والريفية، مما جعل كثيرين ممن كانوا منحازين إلى الحضارة الغربية يسترضون هذا التيار الشعبي ببعض الكتابات كما فعل طه حسين عندما كتب على هامش السيرة، والشيخان والفتنة الكبرى. ومرآة الإسلام بغض النظر عن الأهداف التي قصدت في تلك الكتابات.

ولكن هذا التيار التوفيقي تعرّض لما تعرّض له تيار استانبول التوفيقي فجاء الفكر القومي العربي بعد الحرب العالمية الثانية ليلغي التيار التوفيقي ويعتمد نقل الحضارة الغربية وسبب ذلك أن الفكر القومي لساطع الحصري هو الفكر الذي تبناه جمال عبدالناصر بعد تسلمه حكم مصر العام ١٩٥٤م وهو فكر علماني لا يعتبر الدين الإسلامي عنصراً من عناصر القومية، وقد انتقل فهم جمال عبدالناصر للقومية العربية إلى معظم الدول العربية الأخرى التي كانت تدور في فلكه، ومعظم الأحزاب والحركات القومية الفاعلة في الساحة العربية آنذاك، ثم تبنى جمال عبدالناصر الاشتراكية في مرحلة الستينات، وكان هذا التطور أساسياً في إحداث القطيعة الكاملة مع التيار التوفيقي، وفي تعميق معاداة التيار القومي للتيار الديني حيث راجت التحليلات الماركسية التي تربط التخلف والرجعية والجمود والتحجر بالدين الإسلامي، وتدعو إلى هدم التراث كله، وقد انتقلت الطروحات الاشتراكية إلى حركات وأحزاب كانت مغالية في قوميتها كحركة القوميين العرب فغاب الطابع القومي العربي ليبرز طابع ماركسي صارخ وكانت النتيجة الطبيعية لمثال تلك التطورات هي إلغاء التيار التوفيقي، وإخفات صوته، والقضاء على نتائجه التي توصل إليها.

وفي نهاية المقال هل يحق لنا أن نتساءل بعد هذا العرض السريع لأحداث المنطقة عن دور الفكر القومي العلماني: التركي والعربي في إلغاء التيار التوفيقي وبالتالي عرقلة قيام النهضة؟ أظن أنه لا يحق لنا فقط أن نتساءل بل نقرر. ■

بقلم : محمد السيد

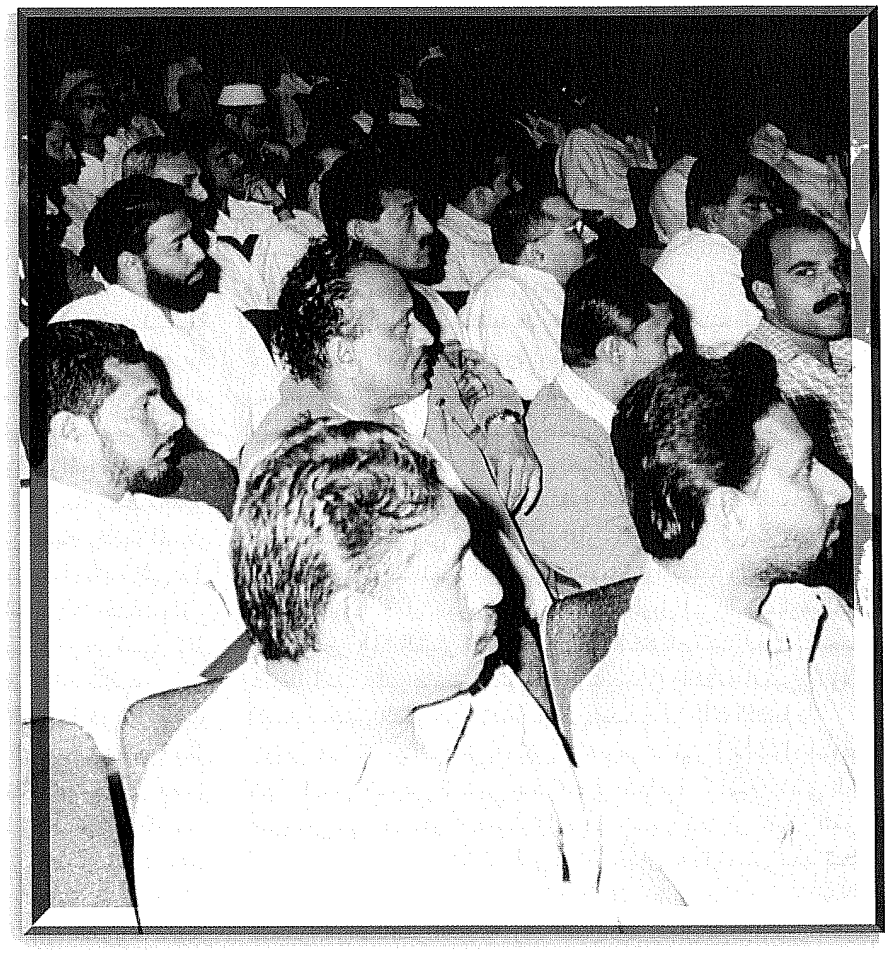

مصطلحات فكرية مضللة

الحركة الإسلامية واحتكار الحقيقة

تتكاثر المصطلحات الموهمة فوق حلبة المسرح الفكري، الذي يطرح نفسه ليل نهار أمام جماهير شعوبنا الإسلامية، وتتدافع جميعها باتجاه واحد، هو استغفال الجمهور، وتمرير ما لا تمرره مسارب العقل، ولا يقف عند إشارات مروره، مما يتناول جذور الفكر، ووحدة المجتمع وأصوله، وذلك وصولاً إلى أبنية فكرية من مِلَح، يراد لها أن تؤسس لأمتنا مداميك وجودها الحاضر، بحيث تذوب تلك التأسيسات عند أول قطرة مطر تصيبها، فتعيش بعد ذلك في دوامة الضياع والفوضى، تقتل بذراع ضياعها عوالم الحلم في إنسانها، وتذبح بسكين حرية العرض روح وجوده وأساس حركته عبر التاريخ.

إن المعركة الدائرة اليوم في فضاءات الأمة، حول مشروعية حركة الإسلام العامة، وحول أطاريح حاملي الدعوة إلى إحياء الأمة بالإسلام، ليست بالجديدة، ولا هي بدعة عصرنا.

فقد خاضت هذه الحركة وتلك الدعوة معاركها من أجل الوجود وتحقيق الذات منذ وجدت وحتى يومنا هذا، إنما الجديد في الصورة، هو وسائل تلك المعركة، وطرائق العرض، وتلوّن الوسائل والأدوات والآليات ليس إلا.

ويبقى غبار المعركة مثاراً، وجلجلة سلاح الفكر مسموعة، مادام هناك حق وباطل يصطرعان، ولا يلتقيان، وتتزاحم الأقدام في عصرنا هذا على بوابات الوصول، يحدوها الزيف والمكر في غالب الأحوال، وتحمل شكلاً من أشكال الموضوعية أحياناً قليلة نادرة، ويلقي بنا حرّ المعركة الدائرة، إلى تبين واحدة من تلك الأطاريح الغادرة، تطفو هذه الأيام على وجه الحقيقة بصيغة تتقمص لون الموضوعية داخل إهاب ماكر خادع مضلل.

وتنطلق تلك الأحبولة، محاولة تطويق الحركة الإسلامية، ودفعها بحركة ذاتية داخلية على طريق التنازل شيئاً فشيئاً عن ثوابتها أو قناعاتها، تلبس أردية مختلفة، وتسير في مسالك متنوعة، من أجل الوصول إلى هدفها، المتمثل في قضية تفكيك البنى التحتية لقناعات الحركة الإسلامية، ومن ثم للوصول بها إلى حال من التعويم العقدي، في سوق السياسة الممتلئ بشتى المعروضات المزجاة، التي لا يتكلف المواطن العربي أو المسلم عناء النظر باتجاهها لأنها الغثاء، الذي يحاول أن يجد له مكاناً، فيهزمه الصدود والإغلاق الجماهيري، على خلفية أن الحركة الإسلامية تطرح الرأي المعتمد على النص المقدّس، أو الفكر الذي لا يخرج عن حدود أدوات الاجتهاد الشرعية وآلياته.

ولقد كان من تلك الأردية أو المسالك التي اتبعتها وتتبعها حركة التطويق التي ذكرنا، ذلك الشعار الخطير، الذي زحم الصحف والمجلات، إلى درجة أنه غزا بعض الصحف المحسوبة على الاتجاه الإسلامي.

هذا الشعار هو الذي يقول: إن الحركة الإسلامية تحاول احتكار الحقيقة، التي لا يمكن أن تكون واحدة.

إن ترداد هذا الشعار، ورفع الصوت به عالياً، يشكل ضغطاً قوياً، يصل إلى أسماع الإسلاميين، ويتردد في أذهانهم ليل نهار، محدثاً في آخر الأمر دواراً في الرؤوس وصداعاً لها، على حد تقدير المروجين - يهيئان لعملية تعويم الفكر الإسلامي والحركة الإسلامية في السوق السياسية ذات البضاعة المزجاة، إن هذا الترداد وذلك الضغط وبالتالي ذلك التعويم المطلوب في النهاية، إن يراد منه وضع الفكر الإسلامي على قدم المساواة، مع ما يطرحه الشيوعي ذو الفكر المستورد البعيد عن الله، والمقولات التي يطلقها العلماني الذي يكره أي شيء يمت إلى العقيدة والشريعة بصلة، والمزاجيات التي يتبناها الكثيرون من أصحاب القرار وغيرهم، يدافعون بها عن وجودهم ومستحقات امتيازاتهم.

إنها عملية استدراج مفضوحة مغلوطة، مازالت ومنذ زمن بعيد تحاول اختراق حصون الدفاع عن الحق، بنقض بدهيات العقل والمنطق... فهذه الحقيقة في أي مجتمع يجب أن تكون واحدة، تجتمع فصائل الأمة حولها، وإلا تحول الشعب والأمة إلى فصائل لا يجمعها جامع.

إن التاريخ والتجربة والخبرة تقولان ذلك، لقد قامت روما على عنصر القوة والتوجه نحو العظمة، واجتمع الناس في دولتهم ومجتمعهم على تلك الحقيقة التي اقتنعوا بها - بغض النظر عن خطأ تلك الحقيقة - واختلف الناس في تلك الدولة حول وسائل وأدوات وآليات إبراز تلك الحقيقة الواحدة التي جمعت تلك الأمبراطورية التاريخية الكبرى واندفعت بها في كل الاتجاهات وذلك مثال من التاريخ.

وهذا الغرب قد اجتمع كله على حقيقة واحدة، لا ينقضها، وهي المتمثلة بالديموقراطية الرأسمالية واقتصاد السوق، وضمن هذه الحقيقة الثابتة لديه تتصارع الأفكار، وتبرز الاجتهادات، وتقوم المذاهب والأحزاب، ولايحتكر أحد هناك الصواب في الرأي الذي يطرحه حول تطبيق وتنفيذ وبرمجة الحقيقة الثابتة، وتنتقل السلطة هناك من طرف إلى طرف بناء على قناعة الناس بما يطرحه كل طرف من برامج لتطبيق الرأسمالية وتحسين أداء الخدمة في داخلها، وهذا مثال من الحاضر.

فإذا ما انتقلنا إلى منطقتنا، فسوف نرى أن ما يراد لنا من خلال طرح شعار: «الحركة الإسلامية تريد احتكار الحقيقة»، مغاير تماماً لمنهج السير في الساحة الغربية.

إنهم يريدون أن نتنافس في الأصل، في الحقيقة نفسها، لا في برامج تنفيذها، إنهم يريدون لنا أن نتساءل: ما الأصلح لنا الإسلام وعقيدته؟ أم الشيوعية وإلحادها؟ أم العلمانية وضياعها؟ أم المزاجيات ومستحقاتها؟

وهم بذلك لايريدون لنا: أن نصل إلى شيء، بل يريدون أن يبقى وجودنا نفسه معوماً، أو موضع شك وريب.

لقد قالها كرومر من قبلُ ومنذ أجيال وأطلقها مدوية: إننا لا نبتغي تحويل الناس عن إسلامهم فهذا لا نستطيعه، ولكننا نريد أن نشكك المسلمين بما لديهم لنحوّلهم إلى أناس لا يعرفون ماذا يريدون أي إلى ضائعين تائهين، ليس بين أيديهم حقيقة واحدة وذلك من أجل ألا يكونوا أمة متماسكة ولا مجتمعاً واحدا يمكن أن تقوم له قائمة في لحظة ما.

ثم جاء الكثيرون من بعد كرومر، وسعوا السعي نفسه، وأخيراً وجد كرومر ومن خلفه من المستعمرين، من أبناء هذه الأمة من يحملون القول ويصدّقونه أو يحملونه بالأجرة، ويذهبون به مذاهب شتى... ولكن وجد من أبناء حركة الإسلام من استطاع أن يقف لهم بالمرصاد، فيقول لهم:

إن الحقيقة الثابتة عندنا لا يجوز النقاش فيها هي الإسلام وعقيدته حصراً... وضمن هذه الحقيقة يمكن تعويم ما هو خاضع للاجتهاد، وهو معوم فعلاً، وتاريخ الفقه الإسلامي كله شاهد على ذلك، وقيام المذاهب وتعدادها، وتوزع الأتباع، خير دليل على عدم احتكار الصحيح في إطار الاجتهاد، الذي يدور في فلك الحقيقة الثابتة، التي آمنت بها جماهير هذه الأمة.

إن الشعار الذي يطرح بالشكل الذي يطرح به، وبالطريقة التي يدور النقاش بها حوله يشكل افتئاتاً على الحقيقة، وقلباً للأمور، وخلطاً للأوراق، يقصد منه تغيير الأجواء، ليتمكن ذوو النوايا الخبيثة من المرور دون التوقف عند الإشارات الحمراء.

وواجب كل مسلم حركياً كان أم غير حركي أن ينتبه إلى هذا المزلق الخفي، الذي يريد منه الخارجون على فكرة الأمة ودينها، أن يضعوا فكرهم جنباً إلى جنب مع الفكر المستمد من النص الشرعي أو المعتمد، عليه والداخل ضمن الاجتهاد المأجور، ليأخذ ذلك الفكر المستورد فرصة مكافئة، بل متقدمة، في غياب الوعي، وبحضور الدعم الإعلامي والسلطوي...! ■

بقلم : د. سعيد حداد

العدل في الإسلام

قراءة مفهومية

مفهوم العدل في الإسلام مقارناً بمفهومه في التشريعات الغربية ومدى صلة كل منهما بمضمون الحقوق والحريات العامة وتقييد التصرف فيها.

إن «مفهوم العدل» ـ في تشريع ما ـ منوط بالأصل العام الذي يقوم عليه ويتحكم فيه، أو على ما تواضع عليه المشرّعون الوضعيون اليوم من «النظرية العامة» التي تتفرع عنها أحكامه، وقواعده، من جزئيات وكليات، وغايات ومقاصد ترمي إلى تحقيقها، باعتبار أن ذلك «الأصل العام» يمثل «القيمة المحورية» التي تُشتق منها تلك الأحكام، بحيث ينطوي كل منها على مفهوم تلك القيمة كملا، وإلا افتقد التشريع منطقة الذي ينبغي أن يكون متحققاً بين جزئيه وكليه، حتى إذا اتسق التشريع منطقاً ومعقولية، نشأت «المشروعية العليا» التي تقتضي الالتزام بها، إبان تنفيذ أحكام التشريع فعلاً، أو ممارستها عملاً، لا تريم عنها، ولا تعتسفها، ذلك أن المشروع اتخذ من مفهوم تلك «القيمة الأساسية» التي ينهض عليها التشريع كله، وما يلزم عنها من «المشروعية العليا» أساساً يبنى عليها ما شاء من أحكام هي وسائل عملية لتحقيقها واقعاً في موضوع كل منها، بما تنبئ عن مدى تقدير المشرّع للفعال المتعلقة بكل حكم بما يناسبه، بالنظر إلى «خصائص ذاتية» يتضمنها كل فعل على حدة، أرادها الشارع، بل قصدها أولياً من أصل تشريع الحكم، لأنها تمثل «الغاية النوعية» لكل حكم، ولا تتناقض مع المقصد العام للتشريع كله.

هذه «الغاية النوعية» لكل حكم من اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية، هي التي تفسر أو تعلل لنا معقولية الحكم، وجدواه، حتى لا يكون تحكمياً وهذا منشأ الالتزام بكل حكم، مسدداً تنفيذه نحو الغاية التي شرع من أجلها، بما هي جزئي من «مفهوم القيمة المحورية» التي يدور عليها التشريع كله.

وتأسيساً على هذا، ألا تشريع بلا غايات مرسومة لأحكامه، جملة وتفصيلاً، لما قلنا آنفاً، إن تلك الغايات التي تمثل المصالح الحيوية في شتى نواحي الحياة الإنسانية، تفسر لنا معقولية الأحكام أو تبرر الالتزام بها، وإلا كان التشريع «تحكمياً» أو تشريعاً بالهوى، أو عبثاً، لخلوه من الفائدة التي تتوخى عادة من أصل تشريعه، والتي تتصل بتدبير شؤون الأمة ـ داخلاً وخارجاً ـ بما يستقيم به أمرها، وبما يورث القناعة بعدالة الحكم، وجدواه، بل وضرورته من حيث تطبيقه.

ومن هنا: كان جوهر ما يطلق عليه اليوم «النظرية العامة» التي يقوم عليها التشريع في أي دولة من الدول، وهو هذه «القيمة العليا» التي يتميز بها تشريع عن آخر، تميزاً تكشف عنه «المقارنة» العلمية الأصولية الدقيقة فيما بينها، إذ هي التي تعكس كل تشريع اتساقاً، وشمولاً، وتوازناً، وعدلاً، ينطوي عليه من مفاهيم أو حقائق، وما يتميز به من حقائق قد تطابق خصائص الإنسان العام المكلف بالالتزام بهذا التشريع وتفنيده، أو لا تطابق، وما يستهدفه من غايات هي ضرورية، لا يمكن أن تستقيم حياته إلا بها، ومصالح حيوية أخرى يفتقر إليها، لتغطية حاجاته في وجوده الإنساني، أو مصالح تكمل ضروراته وحاجياته حتى تبلغ مستوى التمتع بالطيبات الحلال، ويتحلى بالخلق الرفيع، والأعراف والعادات الراقية تكمل بها شخصيته المادية والمعنوية، أو لا يرقى التشريع إلى هذا المستوى، بل يقصر عن ذلك ولا سيما بالنسبة إلى المصلحة العامة، ومهام الدولة ووظائفها على الوجه الأعدل والأكمل.

وبذلك غدت أصول التشريع ـ أي تشريع ـ من الأهمية بمكان، لتبين طبيعة العدل فيه، ومكانه منه، ومدى كماله، وشموله، وإطلاقه، أو تقييده، ومجال تطبيقه، ومثاليته أو واقعيته، ومبلغ الجمع بينهما، وعلى أساس ذلك كله يمكن تحديد «مفهوم العدل» فيه، تحديداً أصولياً، بين المعالم، عليّ النظر، سديد الاستدلال، واقعي التقدير، منطقي المصدر والمحور، مثالي الاستشراف، كلي المقاصد.

وعلى هذا، أضحى من المحال أن يكون «مفهوم العدل» في التشريعات، العملية أمراً ذهنياً مجرداً، يستعصي على التحديد الدقيق، أو التعليل المعقول، لمكان «التخيل» الذي يحلق العقل في متاهاته، أو يسبح التأمل السادر في آفاق سبحاته على النحو الذي يُرى في بعض «النظريات العامة» التي

اتخذت أساساً غير واقعي بالنسبة للوضع البشري، ولطبيعة قيام المجتمعات فيه، ولا منطقي الأصول، بالنسبة للتشريعات المغرقة في التطرف ذات اليمين أو ذات الشمال، والتي قامت كرد فعل لحكم الإقطاع الذي كان سائداً في القرن السابع عشر، وامتدت تلك التشريعات قائمة حتى أوائل القرن العشرين، في أعظم الدول حضارة.

صحيح أن هذه التشريعات قد مسّها الكثير من التعديلات في هذا القرن استجابة لمتطلبات التطور الحضاري، غير أن أصول تلك التشريعات ما برحت قائمة حتى يومنا هذا على ما سيأتي تفصيله في مقامه.

هذا، وإذا كانت تلك الأصول التي تنهض عليها هذه النظرية العامة للتشريع قد اتخذت منطلقاً لها مغرقاً في التخيل الذي لا يمت إلى الواقع في الحياة البشرية، على ما ذكرنا، فإن هذا «التخيل» الفلسفي المحض، قد مسّ «مفهوم العدل» في هذا النوع من التشريع بداهة، فأضحى عاجزاً عن تصور طبيعة المجتمع البشري الذي يفتقر إلى تشريع لا ينبو عن مكونات هذا المجتمع الجوهرية أو لا ينافيها، لما يفضي إليه ذلك التشريع - لمفهوم العدل المبتسر فيه - إلى إشاعة الظلم، والفساد، والفوضى على قدر ما حل بتشريعه من تجاهل لطبيعة الحياة الإنسانية التي تجمع في نظرنا - بين الواقعية، والتشوف إلى المثالية على ما نقيم الأدلة عليه من واقع أصول ومفاهيم التشريعات الكاملة.

يدلك على هذا - على سبيل المثال - حقوق الإنسان بما تمثل صلب العدل مفهوماً، وتطبيقاً، أو ممارسة، بدليل أن سلبها أو انتهاكها، يعد من أقبح مظاهر الظلم في ميزان العدل في التشريع الداخلي، والدولي على حد سواء.

نعم، لقد صدرت هذه الحقوق والحريات العامة في وثيقة دولية، قوامها أحكام ونصوص آمرة، ولكنها تستند إلى نظرية عامة لتشريع الذي أصدرتها فيه، ولو درسْت مفهوم هذه النظرية، وغاياتها، لرأيتها مفهوماً إنشاطارياً يقيم الوزن للفرد وحقوقه فحسب، ولا يقيم أي وزن أو رعاية لمصلحته العامة، فانعكس هذا الانشطار في الاعتبار على مضمون الحقوق والحريات العامة، حيث جعله مضموناً فردياً محضاً يورث الإطلاق في التصرف، ومرد هذا النظر التشريعي المبتسر هو التخيل المحض الذي قوامه ذات الإنسان الذي كان يعيش في الغاب، لا في وسط اجتماعي، كما هو واقع المجتمع الإنساني، أو بعبارة أخرى: تخيلوا الإنسان تخيلاً فلسفياً، لا يمت إلى الواقع الاجتماعي المعيش بأي صلة، فانعكس ذلك على حقوقه وحرياته، فغدت فردية المفهوم، مطلقة التصرف فيها دون رعاية لحق الغير.

والواقع أن مثل هذا الإنسان المتخيل لدى هؤلاء الفلاسفة، لا وجود له في أي مجتمع إنساني إلا في مخيلة هؤلاء الفلاسفة، ولما وُجّه إلى هؤلاء من نقد لاذع، عادوا فتوهموا أن «حقوق الإنسان وحرياته العامة» مصدرها القانون لا ذات الإنسان، ويقصدون بالقانون هنا: ما يسمى بالقانون الطبيعي، لكنهم لم يتمكنوا - جراء هذا التخيل الفلسفي المحض - من تحديد أصول هذا القانون، أو تبين المفاهيم التي هي قوام هذه الأصول، بحيث تغدو مسطورة في كتاب، وهذا «التأمل المحض» ذهب بهم إلى الادعاء بأنها أصول مستقرة في العقل الإنساني «فطرة» وهو نظر تأملي أدنى إلى فلسفة المعتزلة إلى حد كبير، أقول: بقيت تلك الأصول الوهمية المدعاة المفتعلة لا تجد لها «مصداقاً» واقعياً محدداً، أو وضعاً قائماً في المجتمع والدولة، أو انعكاساً بيّناً لتصرفات الأفراد، وما يترتب على ذلك من مصالح أو منافع حيوية ملموسة معينة.

هذه «النظرية العامة» في الغرب التي تتفرع عنها حقوق الإنسان وحرياته العامة، أطلق عليها مصطلح «المذهب الفردي» وهذا المذهب لا يعترف مطلقاً، حتى في تخيله الفلسفي غير المحدود، بشيء اسمه «المجتمع» وما يتعلق به من «المصلحة العامة» وهذا الإنكار للمجتمع ومصلحته العامة استلزم انهيار ركن جوهري من مفهوم «العدل» في هذا المذهب الذي هو الأصل العام للقوانين الغربية، فضلاً عن أن هذا النظر القطير المبتسر، لتجاهل حق المجتمع، وصالحه العام، هو تجاهل لأهم مقوم من مقومات المجتمع البشري بوجه عام، إمعاناً من جانب النظر الفردي الغربي، إلى الفردية المطلقة، وهماً أو فلسفة خيالية من الغرب مؤداها: أن المجتمع يكوّنه الأفراد فرعاية المصالح الفردية على نحو مطلق في نظر التشريع الغربي، هو - في الوقت عينه - رعاية لمصلحة المجتمع تلقائياً، وهذا النظر قد ثبت أنه غير صحيح على الإطلاق على ما نفصل القول فيه، لأن كثيراً من الأفراد يعملون على هدم الصالح العام فعلاً، بل يكونون في سعيهم على النقيض تماماً من مقتضيات الصالح العام، كالاحتكار، والتهريب، والاحتيال، والاستغلال، والترابي، مما سنبسط القول فيه، ومما يثبت أن «فردية المفهوم» لحقوق الإنسان وحرياته، قد أورث الدول التي أخذت بهذا النظر الفلسفي غير الواقعي، أورثها كثيراً من الفواجع، والمآسي، جراء «الظلم» الذي نجم - لزوماً تلقائياً - عن تطبيق الأحكام الفردية للمفهوم، والمطلقة التصرف من جانب أصحاب الحقوق، وحرياتهم العامة، ولاسيما أثر نتائج والتزامات العقود، والعلاقات المبرمة بين أرباب العمل والعمال في الميدان الاقتصادي، فيما يتعلق بالإنتاج الكبير الضخم بتطور الصناعة، وظهور وسائلها من المخترعات الحديثة، بما جعلت للفرد القوي اقتصادياً هيمنة أو سلطاناً تاماً وجامحاً، أو بعبارة أدق، جعلت للفرد القوي اقتصادياً، مجالاً للتحكم المنافي للعدل رأساً يظهر في الموازنة بين التزامات العقود بالنسبة إلى طرفيها مثلاً، واختلال التوازن البيّن بين هذه الالتزامات ثمرة للتحكم، اختلالاً فادحاً، لمكان الحرية المطلقة بالنسبة للطرف القوي اقتصادياً، إذ ليس في نظرية هذا القانون أي قيد يمنع الاستغلال أو التصرف المطلق، مما يخل بمفهوم العدل إخلالاً بيّناً، في حين أن الإسلام يوجب «مقاربة التساوي» بين التزامات طرفي العقد، على ما صرح بذلك، ابن رشد في كتابه القيم: «بداية المجتهد» مما سنبسط القول في هذا الموضوع الجلل.

ساد هذا المذهب الفردي أوروبا كلها، والدول التي تسير في ركابها، ردحاً طويلاً من الزمن حتى أوائل هذا القرن العشرين، وعلى الرغم من إدخال كثير من التعديلات على هذا المذهب، إلا أن أصول هذا المذهب مازالت قائمة حتى يومنا هذا، وإذا كان مفكرو الغرب ومشرعوهم يذهبون إلى أن للغرب قيماً لم يرقْ الإسلام بمثله وقيمه إلى مستواها بعد، فهذا القول غير صحيح على

ما تقيم الدليل عليه.

وأيضاً، إذا كان «الغرب» يدّعي أن الإسلام هو العقبة الكبرى التي تحول دون تقارب المسلمين مع الغربيين، للتفاوت بين القيم، أو عدم التكافؤ، فهذا مجرد ادعاء موغل في البعد عن تفهم قيم الإسلام على حقيقته، وفي اعتقادي أن علماء المسلمين والمتخصصين في أصول الشريعة وفقهها المدون، وأبواب الاجتهاد المشرعة، وسياسة التشريع في الإسلام، كل أولئك يجعل الإسلام ذا قدرة فعالة لتغيير عقلية الغرب هذه أولاً، لتتمكن هذه العقلية الجديدة من الوقوف على «حقائق الإسلام» الحنيف، وشريعته المتوازنة السمحة، مما سنفصل البحث فيه تفصيلاً علمياً أصولياً لايستطيع أحد خبير بالتشريعات العالمية، أن يجادل في أصول الإسلام الكلية، وقاعدته العامة، ومقاصده الأساسية في مراتبها الثلاث، مع تحليل عميق لمضامينها، والأمثلة الواقعية التي تشهد بصحة ما نقول، مما لم يصل الغرب إلى مستواه الإنساني بعد.

أقول: ساد المذهب الفردي قوانين الغرب جملة، فانشطر مفهوم العدل لهذا التصرف، لسبب بسيط هو: فردية مفهوم الحق، وإطلاق تصرف صاحبه بسلطاته، دون رعاية لحق الغير، من الأفراد الآخرين أو المجتمع مما يقضي على الحياة الاجتماعية بمعناها الحق، والإنسان - كما هو معلوم - اجتماعي بطبعه.

هذا، ويبدو جلياً - من اسم هذا المذهب - أن «المجتمع» ليس له «شخصية معنوية» مستقلة في تشريعاته، فلم يعترف بالتالي بحقوقه ومصالحه الجوهرية بل يرى - إسرافاً منه في تقديس الفرد ومصالحه الذاتية أن تمس أو تقيد - أن المجتمع مجرد ظاهرة يكوّنها الأفراد، وفي هذا النظر - كما نرى - إجحاف بالغ بحق الأمة والدولة، مرده تجاهل مفتعل منشؤه تعصب للموروثات، أو مكابرة ظاهرة لمكونات الواقع، كما ذكرنا، لأن الأفراد كثيراً ما تستبد بهم أنانيتهم وأثرتهم إبان تصرفهم في حقوقهم، أو ممارستهم لحرياتهم العامة، فيبغون على حق المجتمع والدولة على التحقيق، وإن كان كل من الفرد والمجتمع، يتبادلان التأثر والتأثير، حتى قيل في الأمثال: إن الإنسان «ابن بيئته» أو مجتمعه، أي من حيث مقوماته المادية والمعنوية، مما يدل على أن للمجتمع شخصية مستقلة، لايمكن إهمالها، مستقلة تماماً عن شخصية الأفراد، وهذا ما ذهب إليه الإسلام عدلاً وإنصافاً حين قسم «الحقوق» إلى قسمين رئيسين: حق العبد، أي حق الإنسان الفرد، وحق الله، أي حق المجتمع، وفسره الأصوليون، بأنه إنما نسب هذا الحق إلى الله تعالى، لعظيم خطره، وشمول نفعه، وهذا هو الصالح العام للأمة بلا مراء، مستقلاً عن الصالح العام الفردي - كما ترى هذا، والمذهب الفردي - كما علمت - ينكر حق الأمة، وصالحها العام، إنكاراً تاماً وهو اليوم وإن أخذ يعدّل من هذا التطرف، إلا أن فكرة أن الأفراد هم الذين يكونون المجتمع لا تزال قائمة، لينتهوا إلى أن المجتمع مجموعة من الأفراد، وليس له شخصية معنوية مستقلة وبالتالي لا حقوق خاصة به، ولذاته.

هذا، وإنكار هذه الشخصية المعنوية، وعدم الاعتداد بها، ظلم كبير، إذ يعكس على مفهوم العدل الذي هو على التحقيق في فلسفتها قائم على الانشطارية، كما ذكرنا، فلا يعترفون إلا بشطر من العدل، وهو ما يعتبره الإسلام ظلماً كبيراً على قدر النفع العظيم الذي أهدره، وخطره الشامل الذي هو واقع جراء إهدار الصالح العام كلية.

ذلك ما يصرح به كبار مفكريهم، وساساتهم وأصحاب الرأي فيهم، وفلاسفة التشريع في واديهم، وأما التعديل في هذا التطرف، فهو الاستثناء، وأما الأصل فهو الغالب القائم.

وعلى هذا، فإن الحرية الاقتصادية للأفراد في نظر الإسلام، ينبغي ألا تقوى على إفساد الصالح العام، في أي حال من الأحوال، على ما سيأتي بيانه مفصلاً ومعللاً.

هذا، ومن بداهة القول - على ما هو واقع ومشهود - أن نشير إلى أن الأفراد لا يتصرفون في حقوقهم، ولا يمارسون حرياتهم العامة غالباً على وجه يصون المصالح العامة للأمة، ولا يعملون على إقامتها إن لم تكن قائمة، ولا على تنميتها، ولا على الحفاظ عليها، لتكفل بذلك استمرار قيامها، بعد الإقامة والتنمية، إن وجدتا - وهو نادر - لا يعملون على ذلك من تلقاء أنفسهم على الوجه الذي يفعلون بالنسبة إلى مصالحهم هم، هذا أمر واقع ومشهود، لا يملك أحد إنكاره، أو التشكيك فيه، فتبين أن الجنوح إلى فردية مضمون الحق والحرية، بما يورث الإطلاق في التصرف، يفضي حتماً إلى إهدار الصالح العام، وهو - في الوقت نفسه - إهدار لجانب كلي مهم من «مفهوم العدل» في هذا النوع من النظريات الاستثنائية على كثير من القواعد، مادامت أصول هذه النظريات الفردية المتطرفة لاتزال هي الأصل عندهم، وعلى الرغم أيضاً من أن دول الغرب على تفاوت في مدى الأخذ بالفردية المتطرفة، أو مدى الإمعان فيه، فبطل الزعم أو الادعاء بأن المجتمع ظاهرة يكوّنها الأفراد.

ويترتب على هذا النظر التشريعي غير الواقعي، وغير العادل، أن الأفراد إذا ما تواضعوا بمحض إرادتهم الحرة والمطلقة، أو جرى عرفهم الذي ارتضوه نفسياً، وتقبلته عقولهم تحت تأثير أنانيتهم وأثرتهم المسرفة، كان تواضعهم هذا، وأعرافهم، نظاماً معتداً به في الدولة عندهم، يجب احترامه، ويلزم بالتالي تنفيذه، وهم يحرصون على التنفيذ، لأنه في صالحهم، ولكنه لا يعتد بمثل عليا، مادام يحقق مصالحه الفردية بإطلاق ودون اعتبار أيضاً لقيم إنسانية قارة المفاهيم ماثلة في تصورهم، أو مستقرة في مناحي تفكيرهم، غير صالحهم الخاص، حتى يمكن أن يُقال: إن تلك المصالح الفردية يستوحونها في تشريعاتهم، أو هم مأخوذون بها في عملهم التشريعي، لا يريمون عنها، حتى غدت مهيمنة على إرادتهم توجهها الوجهة التي تقتضيها تلك المصالح الخاصة بهم، فأضحت قوانينهم - على هذا النظر الفردي المتطرف - صدىً أميناً للإرادات الفردية المحضة، سواء من حيث أصل وجوده ابتداء، أو تشريعه عملاً وتنفيذاً، تصوراً منهم - كما فصلنا - أن حقوق الأفراد وحرياتهم العامة - بما هي في فلسفتهم المتطرفة الوهمية ناشئة أو منبثقة عن ذات الإنسان - سابقة وجودها على القانون وعلى المجتمع وعلى الدولة جميعاً، لذا لا تملك الدولة نفسها - في معتقداتهم - أن تتدخل في شؤون الأفراد ولا في حرياتهم العامة، تقييداً أو توجيهاً للتصرف فيها، أو

في استعمال سلطاتها، لسبب بسيط هو: أن الدولة ما دامت ليست هي المانحة للحقوق والحريات، ولا منشئة لها، لأنها نابعة من ذوات الأفراد، وجدت بوجودهم وبإراداتهم الحرة المطلقة، باعتبار أن هذه الحقوق والحريات هي المظهر القوي لذاتية أو شخصية الفرد في المجتمع، كان على الدولة والمجتمع كليهما، أن يرعيا هذه الحقوق، ويعملا على كفالة تأمينها لأربابها دون المساس بها، أو تقييد ممارساتها على الوجه الذي تتجه إرادة أصحابها، بل أن يمكّنا الأفراد تمكيناً حراً كاملاً من التمتع بها، وعلى أوسع مدى، وأن يوجهها استعمالهم لها على الوجه الذي يشاؤون احتكاراً وترابياً واستغلالاً للأزمات، بل أن يؤثلوا الأموال ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، مادامو يستعملون هذه الحقوق والحريات في حدود سلطاتها الموضوعية، غير متجاوزين لها ولا معتدين على حق أحد، وهذا شرط مؤداه ألا يتعدي أحد منهم على حق غيره، أو على حريته، منعاً للفوضى واختلال الأمن العام، ولكيلا يُفتأت على الحقوق والحريات العامة، باسم الحرية.

ولكن هذا النظر التشريعي إن حرم العدوان، فقد فاته أن يحرم «التعسف» ولو كان التصرف داخل حدود الحق، إذ التعسف قام على نظرية عامة في الإسلام، مؤصلة المعايير: الذاتي منها والموضوعي، مما يقوم على إجراء التوازن بين المصالح والمفاسد والمضار في كل تصرف فردي، وهو ما لم تقم التشريعات الغربية الحديثة له وزناً، في حين أن الشريعة الغراء، لم تحرم العدوان فقط، بل حرمت «التعسف» أيضاً، في استعمال الحقوق والحريات، رعاية لحق الغير، وأقامت نظرية تامة محكمة، إمعاناً من الشريعة في تحقيق «العدل» منذ خمسة عشر قرناً، مما سنتناوله بالبحث الكامل، المؤصل، في حين أن الدول الغربية لا تعرف هذه النظرية، ولم تدخلها في قوانينها، وفي مقدم هذه الدول فرنسا، حتى يومنا هذا، لأنها لم تجد في تشريعاتها الموروثة ما يسعفها على إقامة مثل هذه النظرية في الخمسينات، ولكنها لم تفلح حتى اليوم، وهذا من الإسلام ضرب من التوسع في «مفهوم العدل» تقتضيه القيم والمثل العليا التي جاء بها الإسلام، فأضحى قول بعض المفكرين الغربيين - كما ترى - من أن الإسلام يقوم عقبة كؤوداً تحول دون التكافؤ بين الإسلام والغرب، أضحى زعمهم هذا بعيداً عن الصواب والواقع، فينبغي - كما قلنا - أن تغير عقلية الغرب من أصولها - حتى يمكن أن يدركوا قيم الإسلام، وأن يدركوا أيضاً أن الذي يحول حقيقة دون التكافؤ هو تعصبهم لفرديتهم المطلقة في التشريع، وإسرافهم فيها، حتى انعكس ذلك على سياستهم الخارجية، فكانت مصالحهم الخاصة القائمة على الأنانية المتطرفة التي حملتهم على عدم الاعتداد بالمصالح السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدول الأخرى المستضعفة فكان منهم هذا الاستعمار الذي يتنافى كل المثل والقيم الإنسانية، وحتى في هذا القرن العشرين، وهذا - في نظر الإسلام - ليس إلا بغياً وعدواناً أثيماً، وهما محرّمان قطعاً، بدليل أن الخطاب الإلهي موجه إلى الناس كافة لا إلى المسلمين خاصة: (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) فإذا كان الإسلام يحرّم على المسلمين أن يبغوا أو يعتدوا على غيرهم، وأولى أن يحرم على غير المسلمين أن يتعدوا على غيرهم، فأولى أن يحرم لذاته، أيّاً كان المعتدي، ليستقيم أمر الحياة الإنسانية، ويمحو ظاهره في العدوان، من الوجود البشري كله.

هذه الأنانية أو الأثرة التي يقيم الغرب لها وزناً كبيراً في علاقاته الدولية، هي التي تقف حائلاً صلداً دون التواصل الحضاري بيننا وبين الغرب، ولا ريب أن الأثرة أو الأنانية القومية أو العنصرية العرقية أو العصبية الدينية تحول حتماً دون تحقيق التكافؤ بيننا وبينهم.

إننا نعتقد اعتقاداً يستقر في صميم إيماننا أن المرابي مثلاً لا يرقى بمبدأ المراباة إلى أن يكافئ من يحرّم مبدأ الربا على الصعيد الدولي والداخلي، لسبب بسيط هو أن «المراباة» ضرب من امتصاص دماء الشعوب والأمم الضعيفة أو المعوزة بالانتظار، وما كان الانتظار عملاً يكافئ عليه بالمال، لكان الظروف القهرية التي تستدعيه، فغدت المراباة ضرباً من استغلال ظروف الضعفاء أو غير القادرين، وهذا الوضع لا يسبغه خلق ولا دين ولا حق، فضلاً عن القوانين المجحفة التي تفرضه فرضاً لا يرتضيه المعنى الإنساني العام، وكل شرعة تبيح مثل هذه المواقف في العلاقات الدولية أو الداخلية ينبغي ألا يكون لها نصيب أو وضع من الأوضاع العالمية على الإطلاق، ذلك أن التعامل بالترابي لا يعدو أن يكون ميراثاً جاهلياً - كما هو معلوم - والإسلام لا تكافئه الجاهلية، حتماً، لأن الإنسان ما أنزل إلا ليمحو كل ظاهرة غير إنسانية بكل ما في هذه الكلمة من معنى، فأي الفريقين - على هذا التعليل - لا يكافئ الآخر ؟

على أن موضوعنا «مفهوم العدل» والربا - كمثال - يشوه هذا المفهوم إن لم يحترمه من أصوله، ومن هنا ندرك مفهوم المبدأ العظيم الجامع لجميع صنوف أكل أموال الناس على وجه البسيطة أنه أكل بالباطل، لقوله سبحانه: (لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وفي مقدم ذلك التعامل بالربا.

فعدم التكافؤ بيننا وبين الغرب - كما نرى - يبدو جلياً إذ لا يتكافأ مطلقاً من يكون ديدنه أكل أموال الناس الذي هو ثمرة جهودهم، أو عين مقدراتهم التي منحهم الله إياها، بالباطل، ومن يحرم على نفسه ذلك ولعل هذا هو الباعث على الاستعمار لبلاد الإسلام، وأقطاره، والعمل يجد على تخلفه، فالغرب هو المسؤول الأول عن ذلك لا الإسلام.

هذا، ومن المعلوم أن الربا ليس إلا شنشنة الجاهلية الأولى، وما كان هذا الميراث البدائي الظالم ليصلح يوماً أن يكون عمدة الاقتصاد العالمي، أو مقوماً للحضارة الإنسانية، ونحن لاندرك حقائق الإسلام إلا إذا تعمقنا معانيه، ومقاصده، فتحريم أكل الربا ضرب من تحريم أكل أموال الشعوب والأمم بالباطل، ومن دون وجه حق، إلا إذا كان مجرد الانتظار حقاً، ولا سيما من قبل الدول ذات الطَّول والغنى والقوة، وما كان أكل القوي للضعيف إلا ضرباً من «الرجعية» إلى مخلفات الجاهلية الأولى، وهذه «الرجعية الأولى» سمة أصيلة من سمات النظام الاقتصادي الغربي، وقد تبرأ منها الإسلام، لأن الإسلام جعل الربا سبب إيذان بحرب من الله ورسوله، وهذا الوعيد الشديد لا يكون إلا على ارتكاب جرم عظيم لشعوب، ذلك مثل ضربناه من أصول نظامنا الذي يزعمون أنه لا يكافئ نظامهم، فحال ذلك دون التواصل بيننا وبينهم بسبب الإسلام.. ولأن الإسلام لا يتواصل على باطل. ■

بقلم : محمود السباعي محمود

الفقه المنشود
من أجل فهم إسلامي راشد

الحق أننا في حاجة إلى فقه جديد... نستحق أن نكون ممن وصفهم الله تعالى بأنهم قوم يفقهون.

فليس مرادنا بالفقه العلم المعروف الذي اصطلح على تسميته «فقهاً» والذي تعني معرفة الأحكام الجزئية من أدلتها التفصيلية من مثل أحكام الزواج والطلاق والرضاع أو أحكام الطهارة والعبادات والمعاملات وغيرها.

فهذا العلم على أهميته، ليس هو مرادنا بالفقه، وليس هو المراد بكلمة الفقه التي وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف وإنما هو مما بدل من الأسماء والمفاهيم كما يبين ذلك الإمام الغزالي من كتاب العلم في موسوعته المعروفة «بإحياء علوم الدين».

إن الفقه الذي ننشده، وهو الفقه الواعي لدين الله الفقه الذي لايعتمد على قراءات فجة ولا على فهم سطحي لنصوص الشرع يخطف الآيات والأحاديث خطفاً دون تبصّر وتعمق لأسرارها ومقاصدها.

إن الذي نريده فقهاً رشيداً متكاملاً يقوم على منهج سديد ترشيداً للعمل الإسلامي وتمكيناً لدين الله لاستئناف حياة إسلامية حقيقية وذلك حتى لاتضيع الجهود سُدى في معارك جانبيه تستنفد الطاقة وتستفرغ الجهد في عمل مهدر لا قيمة له في معركة البقاء والتمكين.

هذا الفقه الذي ننشده نعتبره غاية في الأهمية لأنه يعالج قضية اختلال النسب واضطراب الموازين من الوجهة الشرعية في تقدير الأمور والأفكار والأعمال والحكم على الأشياء.

الإخلال بالنسب التي وضعها الإسلام للتكاليف الشرعية يُحدث ضرراً بليغاً بالدين والحياة

ولهذا كانت الصحوة الإسلامية والحركة الإسلامية بمختلف اتجاهاتها، ومدارسها في حاجة ماسة إلى وعي عميق ومدارس دائمة لهذا الفقه، هو خمسة أنواع:

النوع الأول: «فقه المقاصد»:

وهو الفقه الذي لا يقف عند الجزيئات أو جزيئات الشريعة ومفرداتها وحدها، بل ينفذ منها إلى كلياتها وأهدافها في كل جوانب الحياة لأن معرفة الشريعة لا تتم بمجرد معرفة نصوصها الجزئية متفرقة متناثرة، مفصولاً بعضها عن بعض، بل لابد من رد فروعها إلى أصولها، وجزيئاتها إلى كلياتها، ومتشابهاتها إلى محكماتها، وظنياتها إلى قطعياتها حتى يتألف منها جميعاً واحد مرتبط بعضه في بعض.

أما أن يعثر نص من آية كريمة أو من حديث نبوي يفيد ظاهره حكما فيتشبث به دون أن يقارنه بالأحاديث الأخرى، وبالهدي النبوي العام أو بهدي الصحابة والراشدين، بل دون أن يرده إلى الأصول القرآنية نفسها ويفهمه في ضوء المقاصد العامة للشريعة، فلن يسلم من الخلل في فهمه والاضطراب في استنباطه، وبذلك يضرب الشريعة ببعضها بعضاً ويعرضها لطعن الطاعنين وسخرية الساخرين.

النوع الثاني: فقه الأوليات:

أو فقه مراتب الأعمال.. وهذا الفقه يعني به وضع كل شيء في مرتبته فلا يؤخر ما حقه

التقديم، أو يُقدم ما حقه التأخير، ولا يصغر الأمر الكبير، ولا يُكبر الأمر الصغير، هذا ما تقضي به قوانين الكون، وما تأمر به أحكام الشرع.

إن الإخلال بالنسب التي وضعها الإسلام للتكاليف الشرعية يُحدث ضرراً بليغاً بالدين والحياة.

إن العقيدة في الإسلام مقدمة على العمل والأعمال هي البناء، ولا بناء بغير أساس، والقرآن يبين لنا الأعمال تتفاضل عند الله، وليست في درجة واحدة، قال تعالى: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله) التوبة:١٩، ولهذا ذكر شيخ الإسلام «ابن تيمية» مجموعة من المقررات الفقهية - أن النافلة لايجوز تقديمها على الفريضة وأن فرض العين مقدم على فرض الكفاية، وأن فرض الكفاية الذي لم يقم به أحد أو عدد يكفي مقدم على فرض الكفاية الذي قام به من يكفي ويسد الثغرة وأن فرض العين المتعلق بالجماعة والأمة مقدم على فرض العين المتعلق بحقوق الأفراد وأن الواجب المحدد الوقت والذي جاء وقته بالفعل مقدم على الواجب الموسع في وقته.

ومن المقرر كذلك أن المصالح المقررة شرعاً متفاوتة فيما بينها، فالمصالح الضرورية مقدمة على الحاجية والتحسينية، والمصالح الحاجية مقدمة على التحسينية، والمصالح المتعلقة بمصالح الأمة وحاجتها أولى بالرعاية من المصالح المتعلقة بالأمر وعند التعارض.

غياب فقه الأوليات عن كثير من المسلمين:

إن آفة كثير من فضائل الصحوة الإسلامية هي غياب فقه الأوليات عنها، فكثير ما تهتم بالفروع قبل الأصول وبالجزئيات قبل الكليات، وبالمختلف منه قبل المتفق عليه، نثير معركة من أجل نافلة وقد ضيّع الناس الفرائض أو من أجل شكل أو هيئة دون اعتبار المضمون.

- إن من فقه الأوليات: أن نعرف أي القضايا أولى بالاهتمام فنعطى من الجهد والوقت أكثر مما يُعطى غيرها.

- من فقه الأوليات أن يعرف أي الأعداء أولى بتوجيه قوانا الضاربة إليه، وتركيز الهجوم عليه، وأي المعارك أولى بالبدء فالناس في نظر الإسلام أنواع.

- ومن فقه الأوليات: أن نعرف واجب الوقت فنقدمه على غيره ونعطيه حقه ولا نؤخره فنفوت فرصة قد لا تُعوض إلا بعد زمن طويل وقد لا تعوض يوماً.

أئمة الهدى لم يضرهم الاختلاف العلمي شيئاً ولما جهلناه أصبح بعضنا يعادي بعضاً بسبب مسائل يسيرة أو بغير سبب

ومن حكم ابن عطاء: «حقوق الأوقات يمكن قضاؤها، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها إذ ما من وقت يرد إلا ولله فيه حق جديد وعمل أكيد».

ويذكر ابن القيم في حديثه في فقه الأوليات عندما سئل أي العبادات أفضل؟ هل الأفضل منها الأشق!! أو الأفضل المتعدية النفع؟ فذكر أنه لا يوجد أفضل بإطلاق وإنما لكل وقت عبادة تكون هي الأفضل بالنسبة له.

فعند المجاعات يكون إطعام الطعام أفضل ما يتقرب به إلى الله.

وعندما يغزو الكفار بلداً مسلماً يكون الجهاد أفضل الأعمال وإمداد المجاهدين بالسلاح والمال من أعظم القربات.

وعندما يموت العلماء ولا يوجد من يخلفهم يكون طلب العلم والتبحر فيه من أجلّ ما يؤجر عليه المسلم ويُحمد به عند الله وعند المؤمنين وهكذا يكون التفاضل بين الأعمال.

النوع الثالث : فقه السُنن الإلهية في الأنفس والآفاق

وأعني القوانين الكونية والاجتماعية التي أقام الله عليها عالمنا هذا، وقضى بأنها لا تتبدل ولا تتحول مثل سنن:

أ التدرج:

- الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى.

- تدرج تحريم الخمر.

- تحريم الربا جاء في حجة الوداع.

- التدرج في التعليم وبعث معاذ بن جبل وتدرجه في تعليمه للناس.

ب - سنة الأجل:

(لكل شيء أجل)، (لكل أمة أجل)، (لكل أجل كتاب).

- (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم)الحجر:١٥.

- مدة الحمل، ومدة نضج القمح، نضج الفكرة.

- ولذا فإن الزمن جزء من العلاج، علاج أي

إذا غاب عنا فقه الموازنات سددنا على أنفسنا كثيراً من أبواب السعة والرحمة واتخذنا فلسفة الرفض أساساً لكل تعامل

مشكلة.

ج - سنة التداول:

(إن يمسسكم قرح فقد مسَّ القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس) آل عمران: ١٤٠.

قول النبي ﷺ: «والله ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار».

د - سنة المدافعة: (لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع...) الحج: ٤٠.

و - سنة التسخير.

هـ - إن النصر مع الصبر.

ن - إن مع العسر يسراً.

ي - إن تنصروا الله ينصركم.

وأيضاً سنة التغيير والاستبدال نسأل الله تعالى ألا يستبدلنا وأن يمكن لنا.

النوع الرابع: فقه الموازنات:

وهو فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد وهو مبني على فقه الواقع ودراسته دراسة علمية مبنية على ما يسره لنا عصرنا من معلومات وإمكانات لم يكن يحلم بها بشر.

وفقه الموازنات نعني به جملة أمور:

أ - الموازنة بين المصالح بعضها إلى بعض، من حيث حجمها وسعتها، ومن حيث عمقها وتأثيرها، ومن حيث بقاؤها ودوامها، وأيها ينبغي أن يُقدم ويُعتبر، وأيها ينبغي أن يُسقط ويُلقى.

ب - الموازنة بين المفاسد بعضها إلى بعض: من تلك الحيثيات التي ذكرناها في شأن المصالح وأيها يجب تقديمه وأيها يجب تأخيره أو إسقاطه.

ج - الموازنة بين المصالح والمفاسد: إذا تعارضتا بحيث نعرف متى نقدم درء المفسدة على جلب المصلحة، ومتى تُغتفر المفسدة من أجل المصلحة.

ونحن في هذا المقام نحتاج إلى مستويين في الفقه:

- أولهما فقه شرعي يقوم على فهم عميق لنصوص الشرع ومقاصده، فما جاء الشرع إلا لتحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد برتبها المعروفة الضرورية والحاجية والتحسينية.

آفة كثير من فضائل الصحوة الإسلامية هي غياب فقه الأوليات عنها فتهتم بالفروع قبل الأصول وبالجزئيات قبل الكليات

- الحاجة إلى فقه الواقع: وهو فقه مبني على دراسة الواقع المعاش دراسة دقيقة مستوعبة لكل جوانب الموضوع معتمدة على أصح المعلومات، وأدق البيانات، مع التحذير من تضليل الأرقام غير الحقيقية، فلا بد من تكامل فقه الشرع وفقه الواقع، حتى يمكن الوصول إلى الموازنة العلمية السليمة البعيدة عن الغلو والتفريط، وقد تحدثت كتب الأصول عن هذا النوع من الفقه.

- إن المصالح إذا تعارضت فوتت المصلحة الدنيا في سبيل المصلحة العليا، وضُحي بالمصلحة الخاصة من أجل المصلحة العامة، ويعوض صاحب المصلحة الخاصة عما ضاع من مصالحه أو ما نزل به من ضرر وألغيت المصلحة الطارئة لتحصيل المصلحة الدائمة أو الطويلة المدى، وأهملت المصلحة الشكلية لتحقيق الجوهرية.

- في صلح الحديبية رأينا النبي - ﷺ - يغلب المصالح الحقيقية والأساسية والمستقبلية على بعض الاعتبارات التي يتمسك بها بعض الناس فقبل من الشروط ما قد نظن للوهلة الأولى أن فيه إجحافاً بالجماعة المسلمة، والأمثلة كثيرة والمجال ذو سعة.

وقد قرر الفقهاء أنه إذا تعارضت المفاسد والمضار ولم يكن بد من بعضها فمن المقرر أن يرتكب أخف المفسدتين وأهون الضررين.

وهكذا قرر الفقهاء: أن الضرر يُزال بقدر الإمكان ... وأن الضرر لا يزال بضرر مثله أو أكبر منه، وأنه يتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى ويتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام.

ولهذا أمثلة وتطبيقات كثيرة ذكرتها كتب الفقه أو الأشباه والنظائر، مثل إذا تعارضت المصالح والمفاسد أو المنافع والمضار فالمقرر أن ينظر إلى حجم كل من المصلحة والمفسدة وأثرها ومداها.

الصحوة الإسلامية والحركة الإسلامية بمختلف اتجاهاتها في حاجة ماسة إلى وعي عميق ومدارس دائمة لهذا الفقه

فتغتفر المفسدة اليسيرة لجلب المصلحة الكبيرة.

وتغتفر المفسدة الموقتة لجلب المصلحة الدائمة أو الطويلة المدى.

وتقبل المفسدة وإن كبرت إذا كانت إزالتها تؤدي إلى ما هو أكبر منها.

وفي الحالات العادية يُقدم درء المفسدة على جلب المصلحة.

وليس المهم أن نسلم بهذا الفقه نظرياً... بل المهم كل المهم أن نمارسه عملياً.

فكثير من أسباب الخلاف بين الفصائل العاملة للإسلام يرجع إلى هذه الموازنات:

- هل يُقبل التحالف مع قوى غير إسلامية؟

- هل يُقبل مصالحة أو مهادنة مع حكومات غير ملتزمة بالإسلام؟

- هل يمكن المشاركة في حكم ليس إسلامياً خالصاً وفي ظل دستور فيه ثغرات أو مواد لا نرضى عنها تمام الرضى.

- هل ندخل في جبهة معارضة مكونة من بعض الأحزاب لإسقاط نظام طاغوتي فاجر.

- هل نقيم مؤسسات اقتصادية إسلامية مع سيطرة الاقتصاد الوضعي الربوي...!!

- هل نجيز للعناصر المسلمة العمل في البنوك والمؤسسات التربوية أم نفرغها من كل عنصر متدين ملتزم.

إذا غاب عنا فقه الموازنات، سددنا على أنفسنا كثيراً من أبواب السعة والرحمة واتخذنا فلسفة الرفض أساساً لكل تعامل.

ففي ضوء فقه الموازنات، هناك سبيل للمقارنة بين وضع ووضع، والمفاضلة بين حال وحال على المستوى الفردي والجماعي نختار ما نراه أدنى لجلب المصلحة ودرء المفسدة.

النوع الخامس: فقه الاختلاف:

أو هو أدب الاختلاف الذي عرفته خير قرون الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى، فلم يضرهم الاختلاف العلمي شيئاً، وجهلناه فأصبحنا يعادي بعضنا بعضاً بسبب مسائل يسيرة أو بغير سبب لأن الاختلاف في الأحكام الفرعية العملية الظنية لاضرر فيه ولا خطر منه إذا كان مبنياً على اجتهاد شرعي صحيح وهو رحمة بالأمة ومرونة في الشريعة وسعة في الفقه وقد اختلف فيها أصحاب رسول الله - ﷺ - ومن تبعهم بإحسان فما ضرهم ذلك شيئاً وما نال إخوتهم ووحدتهم كثير ولا قليل.

قرر الفقهاء أنه إذا تعارضت المفاسد والمضار ولم يكن بد من بعضها فمن المقرر أن يرتكب أخف المفسدتين وأهون الضررين

إن هناك دعائم فكرية في فقه الاختلاف نقولها على سبيل الإجمال:

١ - الاختلاف في الفروع ضرورة ورحمة وسعة.

٢ - اتباع المنهج الوسط وترك التنطع في الدين.

٣ - التركيز على المحكمات لا المتشابهات.

٤ - تجنب القطع والإنكار في المسائل الاجتهادية.

٥ - ضرورة الاطلاع على اختلاف العلماء.

٦ - تحديد المفاهيم والمصطلحات وتحرير مواطن الخلاف.

٧ - شغل المسلم بهموم أمته.

٨ - التعاون في المتفق عليه.

٩ - التسامح في المختلف فيه.

وكل هذه الدعائم الفكرية لها تأصيل شرعي حقيقي موضوعي والمجال لا يسمح بهذا.

لا بد من تكامل فقه الشرع وفقه الواقع حتى يمكن الوصول إلى الموازنة العلمية السليمة البعيدة عن الغلو والتفريط

وهناك دعائم أخلاقية لفقه الاختلاف.

١ - الإخلاص والتجرد من الأهواء.

٢ - التحرر من التعصب للأشخاص والمذاهب والطوائف.

٣ - إحسان الظن بالآخرين أو المخالفين.

٤ - البعد عن المراء واللدد في الخصومة.

٥ - جواز تعدد الصواب «حادثة بني قريظة» صلاة العصر.

والله من وراء القصد. ■

الهوامش:

١ - الموافقات للإمام الشاطبي.
٢ - فقة الأولويات يوسف القرضاوي - مكتبة وهبة.
٣ - الطرق الحكمية - ابن القيم.
٤ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/٥ - ١١.
٥ - نشرة مركز بحوث السند والسيرة النبوية - جامعة قطر.
٦ - جامع العلوم والحكم ٣/١٥٣ - طبعة الرسالة.
٧ - الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي.
٨ - مكانة السنة من التشريع، د. مصطفى السباعي.
٩ - دستور الوحدة الثقافية - محمد الغزالي - مكتبة وهبة.
١٠ - حجة الله البالغة - ج١/١٤٥.
١١ - الاعتصام للشاطبي ج٢ ص ١٦٨، تعليق السيد رشيد رضا.
١٢ - إيثار الحق على الخلق ص ٣٧٥.
١٣ - الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، د. يوسف القرضاوي.

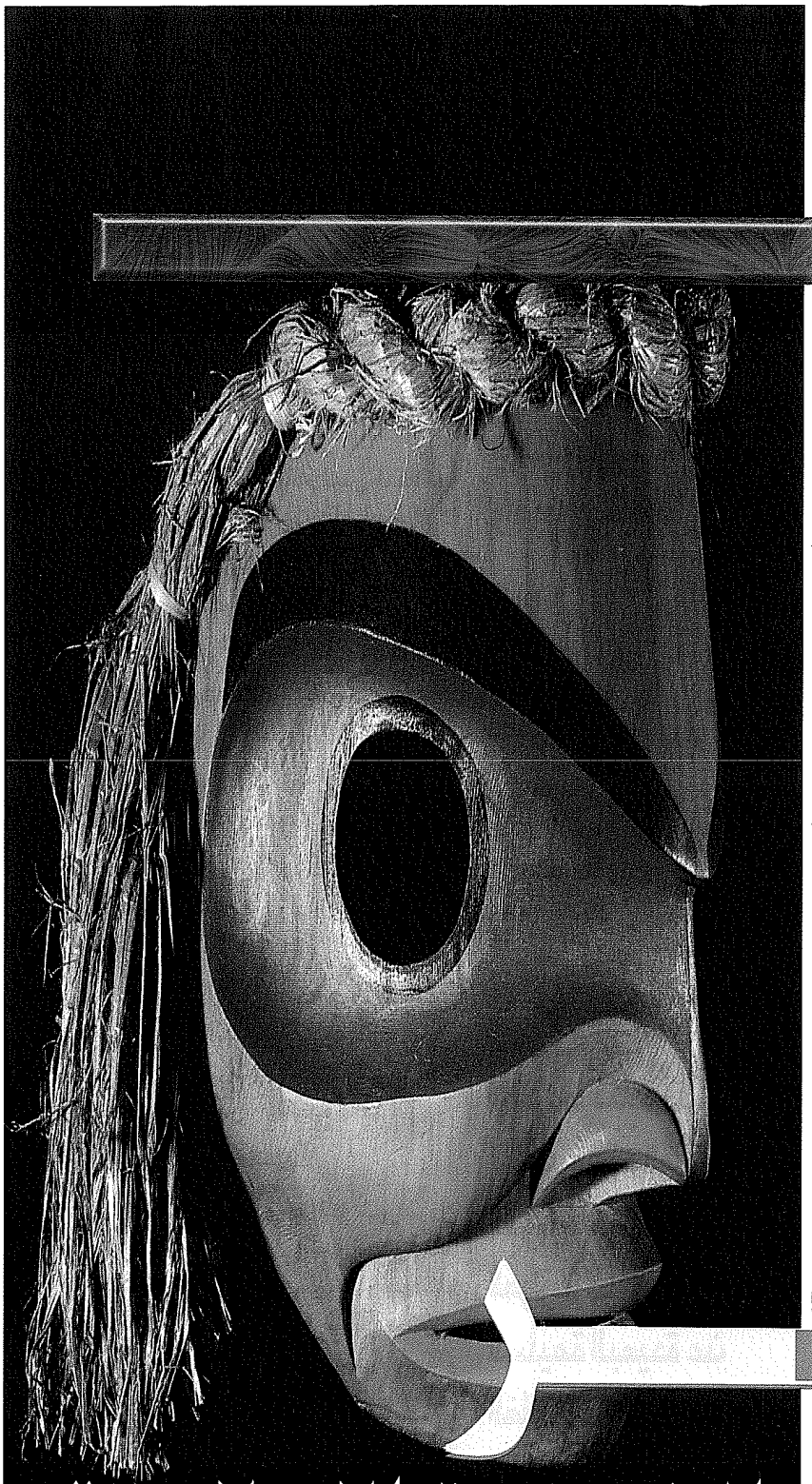

السحر

بين تحريم الشريعة الإسلامية وتفريط التشريعات الوضعية

بقلم : محمود علي عبدالرحمن

يمكن القول ان وراء كل جريمة مجرم اقترفها، وان هذا النعت قد حاق به جزاء وفاقا لما جنت يداه من فعل او عدة افعال اصطبغت بصبغة الجريمة، ولاجرم ان لكل جريمة نصا قانونيا يحدد عناصرها واركانها ومن ثم العقاب عليها فلا جريمة ولاعقوبة الا بنص. يقول تعالى:﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ الاسراء/١٥.

وقد ورد لفظ المجرمين في آيات كثيرة من القرآن، فيقول تعالى:﴿ان المجرمين في ضلال وسعر﴾ القمر/٤٧ وعن السحرة ﴿فلما القوا قال موسى ماجئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لايصلح عمل المفسدين. ويحق الله الحق بكلماته ولوكره المجرمون﴾ يونس/٨١و٨٢ وينصرف اللفظ في الآية الاخيرة على السحرة المفسدين.

إلا أن الواقع يقول إن السحرة لا يعاقبون فهم حقاً فوق القانون ورغم جسامة أعمال السحرة والتي يبلغ فيها الضرر بالمسحور إلى حد الجناية أحياناً، إذ قد يتخلف عنها عاهة مستديمة مثلاً كحالات «الربط بين الزوجين مما ينجم عنه العقم، التأثير على الأعصاب أو المخ مما قد ينجم عنه فقد البصر أو النطق أو أي حاسة من الحواس، أو فقد منفعه عضو من أعضاء الإنسان، أو القعود عن الحركة تماماً كالشلل»، فلا تجد نصاً يعاقب على تلك الأفعال والتي لا تقع تحت حصر، فالمشرّع المصري مثلاً حين نص في المادة: (٣٣٦) من قانون العقوبات المصري على جريمة النصب باستعمال طرق احتيالية قد عالج جزئية واحدة في هذا المجال، وهي نهاية الحلقة، فيما يتعلق بقيام السحرة باستعمال طرق احتيالية لإيهام الأشخاص بقدرتهم على العلاج من الأمراض المختلفة نظير الاستيلاء على أموالهم بهذه الوسيلة وإلا فلا جريمة في الأمر، وفي ذلك تقول محكمة النقض: «إذا كانت واقعة الدعوى كما أثبتها الحكم هي أن المتهم أوهم المجني عليه وزوجته بقدرته على الاتصال بالجن وإمكان شفاء زوجته من العقم وأخذ يحدث أصواتاً مختلفة يسميها بأسماء الجن في غرفة مظلمة يطلق فيها البخور ويقرأ التعاويذ، وتمكن بهذا من سلب خمسة جنيهات - فهذه الأفعال يتوافر بها ركن الطرق الاحتيالية المنصوص عليها في المادة: ٣٣٦ عقوبات (٣٣٦ عقوبات) (سنة ٢٩ ق ص ٥٤) وأيضاً قررت: «أن المتهم قد أوهم المجني عليه بقدرته على شفائه من مرضه وقضاء حاجياته عن طريق تسخير الجان في جلسات كان يعقدها وتتظاهر زوجته بتحضير الجان وتتمتم بكلمات غير مفهومه مستعينة كذلك بأحجبة مثلثة الشكل عليها إشارات غامضة، وتمكن بذلك من سلب مال المجني عليه - يتحقق به جريمة النصب باستعمال الطرق الاحتيالية (طعن رقم ٤٨١ لسنة ٤٨ من جلسة ١٩٧٩/٤/٨).

هكذا نجد أن السحر في ذاته غير معاقب عليه، والمجرَّم قانوناً هو إتيان أعمال الشعوذة لسلب مال المجني عليهم بتلك الطرق الاحتيالية (جريمة النصب).

السحر في الشريعة الإسلامية:

قد يتساءل البعض عن السحر مصدره وطرائقه، وقد لا يتعقد البعض في وجود شيء اسمه السحر، فهو من الأمور محل الجدل، ومرجع ذلك إلى التعتيم الشديد الذي يحيط بالموضوع نظراً لكونه من الأمور الغيبية، فقلما نجد من يهتم به إلا من أضطرته الظروف لملمة أصابته أو مسّ من الشيطان حاق به أو عمل سحري التبس به ثم حار مع الأطباء وحاروا معه فلا يجد أمامه سبيلاً إلا طرق أبواب العالمين ببواطن الأمور من أهل العلم الشرعي - ذلك إن كان حريصاً على دينه قوياً في عقيدته، أو اللجوء إلى السحرة ذاتهم لفك ما به من سحر وطرد ما به من جان، وهنا يكون قد وقع في المحظور الشرعي ففي الصحيح (من أتى عرافاً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد) رواه الأربعة.

قال الربيع بن أنس: إن الشياطين عمدوا إلى كتّاب فكتبوا فيه السحر والكهانة وما شاء الله من ذلك فدفنوه تحت كرسي مجلس سليمان، وكان - عليه السلام - لا يعلم الغيب فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر وخدعوا الناس وقالوا هذا علم كان سليمان يكتمه(١) فنزل القرآن يبرأ ساحة سليمان (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر)(٢) وأصل السحر كما قال الأزهري هو صرف الشي عن حقيقته إلى غيره فكأن الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه(٣)، وقال فخر الدين الرازي: السحر في عرف الشرع مختص بكل أمر يخفي سببه ويتخيل على غير حقيقه، ويجري مجرى التمويه والخداع.(٤)

وقال ابن قدامه القدسي: هو عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه، أو يعمل شيئاً يؤثر به في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة فمنه ما يقتل وما يمرض، وما يأخذ الرجل من امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه وما يبغض أحدهما إلى الآخر أو يحبب بين اثنين(٥)، وقال ابن قيم الجوزية: هو مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة، وانفعال القوى الطبيعية عنها.(٦)

والسحر هو اتفاق بين ساحر من الإنس وشيطان من الجن على أمر بغض الله تعالى فيتصل الساحر بالشيطان عن طريق العزائم الشركية وعن طريقها يسخر الجن للساحر ولخدمته فيما يطلب منه القيام به من أذى الناس، وكلما كان الساحر مطيعاً لأوامر الشيطان لفعل المحرمات والمنكرات والكفر بالله تعالى، كانت الشياطين منه أقرب وله أطوع.

ومن هنا نعلم السر في تحريم الشريعة الإسلامية تعلم هذا العلم لما فيه من الكفر بالله تعالى والاستعانة بمردة الشياطين الذين يقعون في معصية الله تعالى، وهو ضروب مختلفة فمنه سحر التفريق، وسحر المحبة، وسحر التخبيل، وسحر الجنون، وسحر الخمول، وسحر الهواتف، وسحر المرض، وسحر النزيف، وسحر تعطيل الزواج، وسحر الوساوس، وسحر التفريق... والأخير نراه حادثاً كثيراً بسبب البغضاء والأحقاد التي تدفع الكثير للسير في هذا الاتجاه «وسبب التفريق الذي يقع بين الزوجين بالسحر ما يخيل إلى الرجل أو المرأة من الآخر من سوء منظر أو خلفه أو نحو ذلك من هذه الأسباب المقتضية للفرقة.(٦)

كيف يدخل الجني إلى بدن الأنسي؟

يثور تساؤل في الذهن، هو كيف يمكن للجن - وهو مخلوق من نار - أن يدخل وينفذ إلى بدن المصروع مثلاً أو أنها أشياء عارضة تقع وتتم من خارج الجسد بتأثير الجن عليها فيصاب بالصرع - كما يقول البعض - لقد كثرت الأقوال في هذا المعنى ولكن الراجح والصحيح الذي نختاره والأقرب إلى النقل والعقل والواقع المدرك والمشاهد هو ما ذهب إليه أبو الحسن الأشعري في مقالات أهل السنة بجواز دخول الجن بدن المصروع وقد استدل على ذلك بنصوص من الكتاب والسنة الصحيحة وإليك بيانها:

أولاً: من القرآن قوله تعالى: في شأن آكلي الربا: (الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس)(٧).

وذكر ابن كثير أن آكلي الربا لا يقومون من قبورهم يوم القيام إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له وذلك أنه يقوم قياماً منكراً.(٨)

ثانياً من السنة: ما أخرجه الشيخان من حديث عطاء بن أبي رباح قال:

قال لي ابن عباس - رضي الله عنهما - : ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟

قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي - ﷺ - فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك»، فقالت: أصبر وإني أتكشف فادع الله ألا أتكشف فدعا لها(٩).

ب - وجاء في رواية البزار أن هذه المرأة قالت لرسول الله - ﷺ - «إني أخاف الخبيث (أي الشيطان) أن يجردني فدعا لها فكانت إذ خشيت أن يأتيها تأتي أستار الكعبة فتتعلق بها»(١٠).

ج - وذكر ابن تيمية أن امرأة صرعت في زمن أحمد بن حنبل فأرسل إليها نعليه ليضرب بهما الجني فنطق الجني عليها وقال: سمعاً وطاعة لأمر الإمام أحمد ولو أمرنا أن نترك أرض العراق لتركناها.

د - عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله - ﷺ - إذا دخل في الصلاة يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم همزه ونفخه ونفثه».

هـ - عن صفية بنت حيي رضي الله عنها أن النبي - ﷺ - قال : «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم» متفق عليه.(١١)

ثالثاً: الأدلة العقلية

يقول الشيخ محمد الحامد رحمه الله: «إذا كان الجن أجساماً لطيفة لم يمتنع عقلاً ولا نقلاً سلوكهم في أبدان بني آدم، فإن اللطيف يسلك في الكثيف كالهواء مثلاً، فإنه يدخل في أبداننا، وكالنار تسلك الجمر، وكالكهرباء تسلك في الأسلاك، بل كالماء في الأتربة والرمال والثياب مع أنه ليس في اللطافة كالهواء والكهرباء.

قال: وقد وقف أهل الحق موقف التسليم للنصوص الخيرة بدخول الجن أجساد الإنس، وقد بلغت من الكثرة مبلغاً لا يصح الانصراف عنه إلا إنكار المنكرين وهذيانهم فإن الوحي الصادق قد أنبأنا هذا وأن الإذعان له يقتضيه دونما تأويل سخيف يخرج بالنصوص عن سراطها إلى التعريجات لا يسلم معها إسلام ولا ينعقد بها اعتقاد صحيح، هو الإيمان المجزئ المنجي من نار الخلود في الآخرة، قال: «ووقائع سلوك الجن في أجساد الإنس كثيرة مشاهدة لا تكاد تحصى لكثرتها فمنكر ذلك مصطدم بالواقع المشاهد وإنه لينادي ببطلان قوله» .(١٢)

وإذا صح ما دللنا عليه من رقة أجسامهم وأنهم كالهواء، لم يمتنع دخولهم في أبداننا كما يدخل الريح والنفس المتردد الذي هو الروح في أبداننا من التخرق والتخلخل، ولا يؤدي ذلك إلا اجتماع الجواهر في حيز واحد، لأنها لا تجتمع إلا عن طريق المجاورة، لا على سبيل الحلول، وإنما تدخل في أجسامنا، كما يدخل الجسم الرقيق في الظريف» .(١٣).

يقول ابن تيمية: وجود الجن ثابت بالقرآن والسنة واتفاق سلف الأمة، وكذلك دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة، وهو أمر مشهود محسوس لمن تدبره، يدخل في المصرع، ويتكلم بكلام لا يعرفه، بل لا يدري به، بل يضرب ضرباً لو ضربه جمل لمات، ولا يحس به المصروع «كالذي يتخبطه الشيطان من المس» وقوله - ﷺ - «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم».(١٤)

موقف الأطباء

يقول العالم الأميركي «كارنغتون» عضو جمعية البحوث النفسية الأميركية في كتابه «الظواهر الروحية الحديثة» عن حال المس: واضح أن حال المس هي على الأقل حال واقعية لا يستطيع العلم أن يهمل أمرها مادامت توجد حقائق كثيرة مدهشة تؤيدها وما دام الأمر كذلك، فإن دراستها أصحبت لازمة وواجبة لا من الجهة الأكاديمية فقط، وإنما لأن مئات من الناس بل ألوفاً يعانون كثيراً في الوقت الحاضر من هذه الحالة، ولأن شفاءهم منها يستلزم الفحص السريع والعلاج الفوري، وإذا ما نحن قررنا مكنة المس من الجهة النظرية انفتح أمامنا مجال فسيح للبحث والتقصي ويتطلب كل ما يتطلبه العلم الحديث والتفكير السيكولوجي من العناية والخدمة والجلد.(١٥)

ويقول الدكتور «بل» في كتابه (تحليل الحالات غير العادية في علاج العقول المريضة): لدينا الكثير الذي يصح أن نميط عنه اللثام وعلى الأخص ما كان متعلقاً بحال المس الروحي باعتباره عاملاً مسبباً للأمراض النفسية والعصبية، ولقد ظهر أن المس الروحي أكثر تعقيداً مما كان يظن أولاً، ولا تتألف الشخصية الماسّة من نفس مخلوق غير مجسد ولا مس عقله وإرادته فقط، بل هما في الواقع شخصية مؤلفة من أشياء كثيرة، والشخصية الماسّة المركزية هي الشخصية التي اصطدمت أولاً بمجمع حواس الشخص الممسوس وعلى هي وجه العموم قليلة المقاومة والإيحاءات ومن ثم تصبح هذه الشخصية مطية سهلة لأولئك الذين يرغبون بالاقتراب من أي إنسان بهذه الطريقة التي تبدو كأنها لا شأن لها في الحصول على الترضية الخاصة لمجموع الأرواح الماسّة كلها أو بعضها وبمضي الزمن يزداد التضام في هذه العملية حتى يتم في النهاية تلاشي الشخص الممسوس الذي يصل إلى مثل هذه الحال تلاشياً تاماً، ومع ذلك فحينما يأتي ممارسو القوة الروحية الحديثيون بالعجب العجاب في طرد الشياطين أو الأرواح الماسّة ومداواة المرضى والمحزونين فلا يكون نصيبهم من بعض الأطباء إلا نظرة الزراية والاستخفاف.(١٦)

عقود الساحر في الشريعة

وبعد أن عرفنا أوجه الضرر التي يقوم الساحر بها ضد الأبرياء من البشر دونما ذنب أو جريرة منهم، اللهم إلا صب الأحقاد عليهم من شرّار خلق الله تعالى مستعينين به في تحقيق كيدهم ومكرهم، فما عقابه العادل في الشريعة الإسلامية؟ يقول - ﷺ - «حدُّ الساحر ضربه بالسيف، وعن بجالة بن عبده أنه قال: أتانا كتاب عمر - رضي الله عنه - قبل موته بسنه «أن اقتلوا كل ساحر وساحرة» رواه البخاري.

ويقول أبو بكر الجصاص: اتفق السلف على وجوب قتل الساحر، ويرى أبو حنيفة أن الساحر يقتل إذا علم أنه ساحر ولا يستتاب، وكذا لا يقبل قوله إني أترك السحر وأتوب منه فإذا ما أقرّ أنه ساحر فقد حل دمه، ويقول ابن شجاع: «إن الساحر قد جمع مع كفره السعي في الأرض بالفساد والساعي بالفساد إذا قُتل قُتل».

ويرى مالك «إن المسلم إذا تولى عمل السحر قُتل ولا يستتاب»، ويرى الشافعي «إن الساحر إن قتل بسحره وقال سحري يقتل مثله وتعمدت ذلك قُتل قوداً وإلا فلا».

ويرى صاحب الكبائر الإمام الذهبي «أن حدّ الساحر القتل لأنه كفر بالله أو مضارع بالكفر».

ومن هذه النصوص تعلم السر في تشديد العقوبة على الساحر حتى يعدّ ذلك إجماعاً بقتله وأن عمله هذا قرين الكفر، ومن هنا حل دمه، فهل آن الأوان أن يولد تشريعاً يقنن هذه الأفعال ويسن عقوبات رادعة عليها حتى يمكن وضع حد لسطوة هؤلاء السحرة وهم منتشرون في بطون لأرض وأطراف البلاد يطعنون بأيديهم الآثمة وعقولهم الماكرة الأمة في شبابها ونسائها وإفساده عيشها؟

هل إلى علاج من سبيل؟

في رأيي أن العلاج يكمن في تغليظ العقوبات على أعمال السحرة، ولن يتأتى ذلك إلا بتقنين شامل لهذه الأفعال وما ينجم عنها من أضرار ومن عقوبات صارمة لكل فعل إجرامي يتناسب مع جسامة الضرر، ولكن سيعود إثبات تلك الجرائم السحرية إلى متخصص يمكن الركون إليه للوصول إلى الدليل الفني للواقعة المكونة للفعل الإجرامي، إذ تتشابه بعض أعراض السحر مع الكثير من الأمراض العضوية وهذا - بحق - مكمن الخطر، فأنى لنا بهؤلاء؟ ويتحقق ذلك في نظري في أطروحتين.

الأولى: إنشاء معاهد متخصصة لدراسة علوم السحر وما يتعلق بالجان والأرواح الشريرة وما حول ذلك الموضوع، فهو مجال خصب وذاخر بالكثير من الجوانب الجديرة بالبحث والدراسة والتأصيل، على أن تكون شهادة إجازة هذه الدراسة تمنح لصاحبها حق العمل في علاج حالات المسّ الشيطاني أو السحر إضافة - وهذا هو الأهم - إلى سماع شهادتهم كمتخصصين في هذا المجال لإثبات الجرائم السحرية وتحديد ما إذا كانت الأعراض محل الشكوى مرضية أو خلاف ذلك.

الثانية: دمج هذا الفرع من العلوم إلى أقسام الطب النفسي والعصبي في كليات الطب البشري لتشابه وتداخل الموضوعين في كثير من الجوانب، وقد نشر أخيراً في صحيفة أخبار اليوم القاهرية دراسة في هذا الشأن أعدها نخبة من أساتذة كلية طب «القصر العيني» وهي كورقة عمل نوقشت فيها أطاريح كثيرة منها ما يدور حول الغرض نفسه، لعلها تجد طريقها إلى التطبيق العملي، وأحسب أنه يحسن أن تضطلع بهذه المهمة الجامعات الإسلامية بصفة عامة وكليات الطب بها بصفة خاصة، ذلك أن الموضوع فيه نواح فقهية وشرعية كثيرة ومن ثم يكون دمج الدِّراسة بمعاهدها وكلياتها أيسر لدارسيها من غيرهم.

وإذا أمكن تحقيق ذلك - ولو بعد حين - وأصبح لدينا علماء متخصصون ومؤهلون علمياً، لأمكن بحق إماطة اللثام عن هذه الظواهر الخطيرة الأثر وما ينجم عنها من أضرار بالغة وعندئذ يمكن الوصول إلى وضع تقنين متكامل لهذه الجرائم السحرية، ومن ثم سيقضى على خطر السحرة وأفعالهم بوضعهم تحت رقابة قانونية صارمة، وسيكون في تغليظ العقوبة على جرائمهم أثر فعّال في استئصال شأفتهم، وحماية المجتمعات من شرورهم، إضافة إلى أن الساحر سيكون واقعاً بين المطرقة والسندان، مطرقة العقوبة الجنائية وما يتبعها من تعويض مادي وأدبي للمسحور يتكبده الساحر، وسندان رد الفعل المحتمل من المسحور وأهله إذا ما تم إثبات الجريمة جنائياً وحكم على الساحر - فالحكم عنوان الحقيقة - ناهيك عن ازدراء المجتمع له واحتقاره إذا ما اشتهر عنه السحر.

وإنا لنهيب بالمشرّع الوضعي في جميع البلاد الإسلامية أن يولي هذه الظاهرة اهتماماً قدر خطورتها على أفراد المجتمع، فهي لا تقل - بحال - عن أي ظاهرة إجرامية أخرى لها آثارها الجسام في تقويض استقرار المجتمعات وزعزعة أمنها فقد ينبئ المستقبل القريب بالكثير من الجرائم التي لا يرصد لها فاعل، وهنا نكون قد فرّطنا - أيما تفريط - في معالجة الظاهرة في مهدها، فيفلت الزمام ويستعلي الخطر. ■

المراجع:

١ - تفسير القرآن العظيم - الإمام ابن كثير.

٢ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري.

٣ - الفتاوى الإسلامية.

٤ - وحيد بالي، وقاية الإنسان من الجن والشيطان.

الهوامش:

١ - تفسير ابن كثير ج١ ص١٠٢.

٢ - الآية ١٠٢ من سورة البقرة.

٣ - لسان العرب (٣٤٨/٤) ط بيروت.

٤ - المصباح المنير: ٢٦٨.

٥ - المغني: ١٠٤/١٠.

٦ - ابن كثير ج١ ص١٤٣.

٧ - الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.

٨ - ابن كثير ج١ ص٣٢٦.

٩ - رواه البخاري ١١٤٩٦ فتح، ومسلم ١٣١/١٦ نووي.

١٠ - فتح الباري: ١١٥/١٠.

١١ - رواه البخاري: ٢٨٢/٤ فتح.

١٢ - ردود على أباطيل ١٣٥/٢ نقلاً عن «وحيد بالي» وقاية الإنسان من الجن والشيطان ص ٦٣.

١٣ - آكام المرجان ١٠٨، نقلاً عن المرجع السابق ص ٦٤ وحيد بالي.

١٤ - مختصر الفتاوى الإسلامية ص٥٨٤.

١٥ - عالم الجن والملائكة ص٨٢، نقلاً عن وحيد بالي ص ٦٧.

١٦ - المرجع السابق ص ٦٧.

بقلم : عبدالملك عبدالعلي كاموي

الضوابط الشرعية لبيع التقسيط

١ ـ تعريفه

المعنى اللغوي: التقسيط بمعنى التفريق، وجعل الشيء أجزاء، يقال: قسّط الشيء بمعنى فرّقه وجعله أجزاء، والدين جعله أجزاء معلومة تؤدى في أوقات.(١)

المعنى الاصطلاحي: إن البيع بالتقسيط وصيغته المعهودة ـ في الوقت الراهن ـ لم يرد له تعريف في كتب الفقهاء ومؤلفاتهم، لأن البيع كما ورد عندهم إما أن يكون حالاً بمعنى تسليم الثمن في مجلس العقد، أو مؤجلاً بمعنى تسليمه في وقت لاحق يحدده المتعاقدان في العقد سواء أكان تسديد الثمن جملة واحدة أم على دفعات متعددة.

هو: تأجيل أداء الدين مفرقاً إلى أوقات معينة.(٢)

٢ ـ صورة هذا البيع

صورته كأن يقول صاحب السلعة للمشتري: هذه السلعة ثمنها مئة إذا دفعت الثمن الآن، ومئة وعشرة إذا دفعته بعد سنة، فيقول المشتري:

اشتريها بمئة وعشرة إلى سنة ويتم البيع على هذا الأساس.

والبائع في هذه الحال يحسب لتأخير الثمن حسابه، بمعنى أنه يزيد في ثمن السلعة مقابل تأجيل دفع الثمن.

٣ ـ النصوص الواردة من الشارع وأقوال الفقهاء في البيع بالتقسيط

١ ـ قال الله عز وجل: (يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه...) البقرة:٢٨٢.

ومعنى الدين: البيع أو الشراء بأجل، من تداين: تبايع بالأجل.

٢ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «اشترى رسول الله ـ ﷺ ـ من يهودي طعاماً بنسيئة ـ أي بالأجل ـ ورهنه درعاً من حديد». (متفق عليه).

٣ ـ من أقوال الفقهاء والمجتهدين: قال الترمذي: (إذا قال البائع: أبيعك هذا الثوب بنقد عشرة وبنسيئة بعشرين،، فإذا فارقه على أحدهما فلا بأس إذا كانت العقدة على أحد منهما»(٣)، وقال الأوزاعي عن هذا البيع: «لا بأس بذلك ولكن لا يفارقه حتى يباتّه بأحد المعنين»(٤).

وقال ابن قدامه: «وقد روي عن طاوس، والحاكم، وحماد أنهم قالوا: لا بأس أن يقول: أبيعك بالنقد كذا، وبالنسيئة كذا، فنذهب على أحدهما وهذا محمول على أنه جرى بينهما بعدما يجري في العقد فكأن المشتري قال: أنا آخذه بالنسيئة بكذا، فقال: خذه، أو قد رضيت ونحو ذلك فيكون عقداً كافياً، فهم قد أجازوا هذا البيع حيثما تحدد الثمن»(٥).

وقال الشوكاني: «نقل ابن الرفعة عن القاضي أنه قال عن هذه المسألة: لو قال البائع بعتك بألف نقداً أو بألفين إلى سنة، قال القاضي: لو قال المشتري: قبلت بألف نقداً أو ألفين بالنسيئة صح ذلك»(٦).

٤ ـ الأصل في الثمن الحلول وهذا متفق عليه بين الفقهاء في الجملة

فالثمن إما أن يكون عيناً أو ديناً في الذمة، ثم الثمن بالدين يجوز أن يكون معجلاً ـ وهو الأصل ـ أو أن يكون مؤجلاً.

والثمن المؤجل إما أن يكون إلى موعد معين لجميع الثمن، وإما أن يكون منجماً مقسطاً على مواعيد معلومة.

ففي الثمن الدين يختلف الحكم في أدائه بحسب كونه معجلاً أو مؤجلاً منجماً فإذا كان مؤجلاً أو منجماً يتعين أن يكون الأجل معلوماً للمتعاقدين على تفصيل في ذلك كما يلي:

النجم في اللغة: الوقت المضروب، يُقال: نجّم المال تنجيماً إذا أداه نجوماً أقساطاً، مختار الصحاح، مادة: نجم.

واصطلاحاً: هو المال المؤجل بأجلين فصاعداً يعلم كل نجم ومدته من شهر إلى سنة أو نحوهما.

فالتنجيم نوع من الأجل يرد على الدين المؤجل ويوجب استحقاق بعضه عند زمن مستقبل معين، ثم يليه البعض الآخر

لزمن آخر معلوم يلي الزمن الأول وهكذا..

وهو جائز في البيع إذ اتفق عليه المتعاقدان باتفاق الفقهاء، ومن أبرز العقود التي برز فيها التنجيم الإجارة.

جاء في المغني: «إذا شرط تأجيل الأجر فهو إلى أجله، وإن شرطه منجماً يوماً يوماً أو شهراً شهراً أو أقل من ذلك أو أكثر فهو على ما اتفقا عليه، لأن إجارة الدين كبيعها، وبيعها يصح بثمن حال أو مؤجل فكذلك إجارتها»(٧).

وقد شرع تأجيل الدين بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى: (يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه...) البقرة:٢٨٢.

فهذه الآية وإن كانت لا تدل على جواز تأجيل سائر الديون، إلا أنها تدل على أن من الديون ما يكون مؤجلاً، وهو ما نقصده هنا من الاستدلال بها على مشروعية الأجل.

وأما السنة، فما روته عائشة - رضي الله عنها - «أن رسول الله - ﷺ - اشترى من يهودي طعاماً بنسيئة - أي بالأجل - ورهنه درعاً له من حديد». (متفق عليه).

فهذا يدل على مشروعية تأجيل الأثمان، وقد أجمعت الأمة على ذلك.

وحكمه قبول الدين التأجيل دون العين، ما قرره الفقهاء من أن الفرق بين الأعيان والديون من حيث جواز التأجيل في الثانية دون الأولى.

لأن الأعيان معينة ومشاهدة، والمعين حاصل وموجود، والحاصل والموجود ليس هناك مدعاة لجواز ورود الأجل عليه.

أما الديون: فهي مال حكمي يثبت في الذمة فهي غير حاصلة ولا موجودة، ومن ثم شرع جواز تأجيلها رفقاً بالمدين وتمكيناً له من اكتسابها، وتحصيلها في المدة المضروبة.

- الديون من حيث جواز التأجيل وعدمه:

قرر الفقهاء أن الديون في الأصل تكون حالّة، وأنه يجوز تأجيلها إذا قبل الدائن، واستثنى جمهور الفقهاء من هذا الأصل ديوناً عدة:

١ - رأس مال السلم.

٢ - بدل الصرف.

٣ - الثمن بعد الإقالة.

٤ - ثمن المشفوع فيه على خلاف.

واختلفوا في جواز اشتراط تأجيل القرض، فيرى الجمهور «الحنفية والشافعية والحنابلة» أنه يجوز للمقرض المطالبة ببدله في الحال، وأنه لو اشترط فيه التأجيل لم يتأجل وكان حالاً.

وقد جاء في الدر المختار للحصكفي ووافق عليه ابن عابدين: «وعليه ألف ثمن جعله ربه نجوماً إن أخل بنجم حل الباقي فالأمر كما شُرط، ومعنى «حل» أي صار حالاً.(٨)

٥ - حكم الزيادة في الثمن نظير الأجل:

للفقهاء رأيان في المسألة:

الرأي الأول:

ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز الزيادة في الثمن نظير الأجل. واستدلوا على ذلك:

١ - إن صورة البيع - مدار البحث - داخلة في عموم كثير من الآيات الكريمة التي تقضي بجواز هذه البيوع.

٢ - كما استدلوا ببعض الأحاديث والآثار المروية التي دلت على جواز جعل المدة عوضاً عن المال وأن الزيادة في الثمن المؤجل جائزة.

ومن هذه الأحاديث:

١ - أن رسول الله - ﷺ - «أمر عبدالله بن عمرو بن العاص أن يجهز جيشاً فكان يشتري البعير بالبعيرين إلى أجل». رواه أحمد وأبو داود والدارقطني.

٢ - أن النبي - ﷺ - لما أمر بإخراج بني النضير جاء ناس منهم إلى النبي - ﷺ - فقالوا: «يا نبي الله إنك أمرت بإخراجنا، ولنا على الناس ديون لم تحلّ، فقال لهم - ﷺ - «ضعوا وتعجلوا». رواه الحاكم في المستدرك وابن ماجة.

٣ - إن الزيادة لا تتعين عوضاً عن الزمان بدليل أن بعض الناس قد يبيع سلعته بالأجل بأقل مما اشتراها به لقلة الطلب على البضاعة، وللخوف من كسادها ورخصها.

وقالوا: إن الأصل في الأشياء والعقود والشروط الإباحة متى ما تمت برضا المتعاقدين الجائزي التصرف فيما تبايعا إلا ما ورد عن الشرع ما يبطله ولما لم يرد دليل قطعي على تحريم البيع بالتقسيط، فيبقى على الأصل وهو الإباحة ومن ادعى الحظر فعليه دليل.

الرأي الثاني:

ذهب زين العابدين، والناصر، والمنصور بالله، والهادوية، والإمام يحيى إلى القول: إن الزيادة في الثمن نظير الأجل كالزيادة في الدين نظير الأجل، فكما أن الزيادة الأخيرة تعد ربا كذلك الأولى. واستدلوا على ذلك:

١ - بقول الله عز وجل: (وأحل الله البيع وحرّم الربا) البقرة:٢٧٥.

أفادت الآية الكريمة تحريم البيوع التي يؤخذ فيها زيادة مقابل الأجل لدخولها في عموم كلمة الربا وهي تقيد الإباحة.

٢ - نهى النبي - ﷺ - «عن بيعتين في بيعة»، رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه.

٣ - إن هذه الزيادة بسبب الأجل، والزيادة لهذا السبب خالية عن العوض، فتنطبق عليها كلمة الربا الذي يعني الزيادة من دون عوض فيندرج تحت التحريم.

الترجيح والمناقشة

والراجح هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من جواز الزيادة في الثمن نظير الأجل، لأن هذا البيع عن تراض فيدخل في عموم قوله تعالى: (وأحلّ الله البيع وحرّم الربا) البقرة: ٢٧٥، وقوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) النساء: ٢٩.

وأما ما استدل به المانعون من نهيه - ﷺ - عن بيعتين في بيعة، فيناقش بأن معنى بيعتين في بيعة هو: أن يقول البائع بعتك هذا بألف نقداً وبألفين نسيئة «أجل» ويقبل المشتري على الإبهام دون تحديد ثمن بعينه هل هو ألف أم ألفان.(٩)

أما بيع الأجل بثمن أكبر من ثمن النقد أو الحال لا يدخل مطلقاً ضمن حديث بيعتين في بيعة.

أولاً: حيث إن البيع عقد والعقد يتم بالإيجاب والقبول أو ما يقوم مقامهما وهذا معنى قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) النساء:٢٩.

وإن هذا البيع لم يتم إلا بعقد واحد وبيع واحد وبثمن واحد، أما ثمن النقد أو ثمن الأجل وهو بذلك يخرج عن نطاق النهي عن بيعتين في بيعة.

ثانياً: إن العلة وهي الجهالة بالثمن غير متوافرة في بيع الأجل بثمن أكبر من ثمن النقد حيث إن البيع في هذه الحال ينعقد على ثمن واحد ويتم التراضي عليه بين البائع والمشتري لذا يصح البيع.

وهذا ما عبر عنه البغوي بقوله: «إذا باتّه على أحد الأمرين في المجلس فهو صحيح به لا خلاف فيه»(١٠).

وأما قولهم إن هذه الزيادة بسبب الأجل... فهذه دعوى تحتاج إلى دليل، ولا يوجد دليل شرعي معتبر ينص على حظر هذا البيع أو منعه حيث إن الأصل في المعاملات الإباحة والأصل براءة الذمة حتى يأتي الحاظر أو المانع، وإن الإنسان له مطلق الحرية في معاملة الأشخاص فيبيع لزيد بثمن يختلف عن الثمن الذي يبيع به لعمرو، فلذك مطلق الحرية في أن يبيع بالنقد بثمن يختلف عن ثمن الأجل أو التقسيط.

٦ - الضوابط الشرعية لبيع التقسيط:

نلخص ما ذكرناه من جواز البيع بالتقسيط إلى أجل معلوم مهما طال الأجل بضوابط عدة:

الأول: افتراق مجلس السوم عن مجلس العقد في هذا النوع من البيوع، كي لا يقع في شبهة الربا زدني أجلاً أزدك مالاً.

وعليه: فللمشتري أن يقوم أولاً بمجلس سوم يعرف فيه ثمن السلعة المباعة نقداً وثمنها تقسيطاً، وما الفرق بينهما من حيث قدر الثمن؟ ويعرف كذلك النجوم وآجالها، فإذا عرف ذلك غيّر المجلس تغييراً حقيقياً، وذلك بالانصراف عن الكلام في الموضوع، والتحدث بأمر آخر لا علاقة له بما ذكرنا، ثم يعود بعد فاصل أجبني إلى الحديث في إيجاد العقد على مبدأ التقسيط بالنجوم والآجال المذكورة «حصراً» أما إذا خلط المشتري ذلك كله في مجلس واحد وقع في شبهة الربا.

الثاني: معلومية الأجل ومعلومية النجوم، فالجهالة الفاحشة مفسدة للعقد.

وقد صرح المالكية بأنه لا بأس ببيع أهل السوق على التقاضي وقد عرفوا قدر ذلك بينهم.

والتقاضي: «تأخير المطالبة بالدين إلى مدى متعارف عليه بين المتعاقدين»(١١).

هذا... ومن حق المشتري إذا كان المبيع معيباً، أو ظن أنه مستحق أن يمتنع من أداء الثمن إلى أن يستخدم حقه في العيب فسخاً أو طلباً للأرش «أي الزيادة» إلى أن تلبية أمر الاستحقاق.

الثالث: المؤيد الفقهي في حال إخلال المشتري بأداء الثمن المؤجل، أي أخل بالوفاء بقسط أو أقساط حل أجلها.

فقد اتفق الفقهاء على أنه إذا كان المشتري موسراً فإنه يجبر على أداء الثمن الحالّ - كما ذهب الجمهور في الجملة - إلى أن للبائع حق الفسخ إذا كان المشتري مفلساً أو كان الثمن غائباً عن البلد مسافة القصر.

وذهب الحنفية إلى أنه ليس للبائع حق الفسخ لأنه يمكنه التقاضي للحصول على حقه، وهو في هذه الحال دائن كغيره من الدائنين لكن يسقط الأجل وله المطالبة بكل الأقساط من الثمن المتبقية حالّةً».(١٢)

هذا... وإذا كان الثمن منجماً، فإن على البائع تسليم المبيع، ولا يطالب المشتري بالثمن إلا عند حلول الأجل، وأما إذا كان بعض الثمن معجلاً وبعضه مؤجلاً، فإن للبعض المعجل حكم تعجيل الثمن كله فلا يطالب المشتري البائع بتسليم المبيع إلا بعد تسليم الجزء المعجَّل من الثمن. ■

الهوامش:

١ - ابن منظور: لسان العرب: «مادة: قسط».
٢ - علي حيدر: درر الحكام شرح مجلة الأحكام: (١٢٨/١).
٣ - الترمذي: الجامع الصحيح: (٥٣٣/٣).
٤ - المرجع السابق: (٥٣٣/٣).
٥ - ابن قدامة: المغني (١٦١/٤).
٦ - الشوكاني: نيل الأوطار: (١٦١/٥ - ١٦٢).
٧ - المغني: (٢٥٧/٥).،
٨ - درر الحكام: (١٢٨/١) الدر المختار: (٢٣/٤).
٩ - المغني: (١٦١/٥).
١٠ - البغوي: شرح السنة: (١٤٣/٨).
١١ - الدردير: الشرح الصغير: (٣٣/٢).
١٢ - ابن عابدين: رد المحتار: (٢٣/٤).

بقلم : د. محمد الشحات الجندي

رؤية مستقبلية لنظام الوقف الإسلامي

الوقف في الإسلام، يبغي تحقيق أهداف اجتماعية شاملة، ومقاصد سامية، لاتتحقق من تلقاء نفسها، وإنما تحتاج إلى إيجاد الوسائل والطرق المترجمة للسياسات والأهداف، وقد تنامت أهمية هذه الوسائل والآليات في ضوء ما طرأ على العصر من مستجدات وتطورات يتعين معها تحديث هذه الوسائل وتطويرها لإنجاز رسالة الوقف التنموية، ولتتلاءم مع ظروف الزمان والمكان، ولتلبي احتياجات الحاضر، وتستشرف آفاق المستقبل، ولتسهم في حل المشكلات، بل المعضلات التي تواجه المجتمعات المسلمة، ما بين معضلات اقتصادية مثل مشكلة البطالة، ونقص الإنتاج والتخلف، وما بين مشكلات اجتماعية مثل الأمية، وإهمال تربية النشيء وجرائم الأحداث، والتفكك الأسري، والإعراض عن الزواج، وانتشار العنوسة، وما بين مشكلات دينية مثل تراجع التعليم الديني، وإهمال الأقليات الإسلامية، والاعتصام بالهوية الدينية، وغيرها.

ونحسب أنه قد بات من الملح استلهام الأساليب الإسلامية والاستفادة منها وتطويرها، والإضافة إليها، بابتداع وسائل لاتصادم حقيقة شرعية، ولا تعارض مصلحة حقيقية.

ونعرض فيما يلي لبعض وسائل الوقف في العصر الإسلامي:

- الوقف على المساجد، وهي دور العبادة في الإسلام، وبيوت الله في الأرض، ومكان أداء شعيرة الصلاة، وموطن جماعة المسلمين.

- الوقف على الكتاتيب والمدارس، وهي أماكن العلم الديني والدنيوي والتي انطلقت منها مع المساجد علوم الحضارة الإسلامية، كعلوم القرآن، وعلوم السنة، وعلوم الفقه والأصول، وعلوم العربية مع العلوم الكونية، من الطب والهندسة والفلك وأصول الصناعات والاجتماع وغيرها.

- الوقف على المكتبات والمخطوطات، فيتم الوقف على الأولى باعتبارها دور الكتب، وأماكن الاطلاع، ووسيلة الحصول على الكتب واستعارتها، للوقف على ما بها والاستزادة مع معارفها كما كان الوقف على المخطوطات، لأنها كتب العلم التي أودع فيها المؤلف خلاصة علمه، وكتبها بخط يده، فكان الوقف عليها كالوقف على طباعة كتب العلم النافعة، والعمل على نشر إشعاعها بين جمهور المتعلمين والمثقفين.

- الوقف على الخوانق، وهي أماكن عبادة الصوفي، ورياضة نفسه على التربية والدينية، والانقطاع للعبادة والزهد في الحياة.

- أوقاف الفقراء وأبناء السبيل، على أنهم عيال الله، ومن المستحقين للوقف، وتوفير مورد رزق دائم لهم، يعينهم على نوائب الدهر، وأحداث الحياة وتقلباتها، ويجعلهم ينضوون تحت لواء الجماعة، وينتمون لدينهم ولمجتمعهم القائم على كفالتهم، ويعملون من أجل صالح الدين والوطن والأمة.

- أوقاف النوائب الحوادث: وهي أوقاف يصرف ريعها على الحوادث، مثل: جنايات الخطأ والعمد، فتصرف منها التضمينات «التعويضات» والديات، والغرة والأروش.

- الأوقاف الجهادية والأمنية، مثل الأوقاف على التسليح من توفير الأسلحة للمجاهدين، وإقامة القلاع والأبراج والأسوار للتصدي للعدوان على الأوطان.

- الأوقاف على الأسرى، وهم من وقعوا في قبضه العدو، فيخصص ريع الوقف لافتدائهم وفك أسرهم، والإنفاق عليهم وعلى أسرهم.

والأوقاف على الفئات الضعيفة وذوي العاهات، فيصرف من ريع الوقف على المكفوفين والمقعدين، والمسنين والعجزة، وذوي الأمراض المزمنة.

- الأوقاف على رعاية النساء، فكان الوقف ينشأ لسد احتياجات النساء الغاضبات والمطلّقات من أزواجهن، وذلك بالإنفاق عليهن ومحاولة الإصلاح بينهن وبين أزواجهن، وحمايتهن من الانحراف، والحفاظ على كرامتهن.

- الأوقاف المخصصة لكفالة الأطفال، وتوفير الغذاء لهم، وهي المعروفة بأوقاف نقطة الحليب، لإطعام الأطفال، وهي أشبه بالإعانات الاجتماعية المقررة للأطفال.

- الأوقاف على البيمارستانات والمشافي، وهي دور العلاج، وكان يصرف من ريع هذه الأوقاف لعلاج المرضى الذين وقعوا فريسة للأمراض العضوية أو النفسية.

- الأوقاف على الحيوانات والطيور، فيتم الإنفاق من ريعها على إيواء ورعاية الحيوانات والطيور التي بحاجة إلى رعاية براً بها، وإحساناً إليها، وإحياء لها.

- الأوقاف على الطرق والقناطر والجسور، عن طريق الصرف من ريع هذه الأوقاف على إصلاح الطرق العامة وتمهيدها، وصيانتها، تمكيناً للناس من استخدامها والانتفاع بها.

- الأوقاف على الأسواق، وهي أماكن تبادل السلع والتعامل التجاري، ويستخدم ريع الوقف لإصلاح الأسواق العامة، والقيام على مرافقها، لأهل القرية أو المدينة.

- الأوقاف على إفطار الصائمين، وعلى الواقفين بعرفة، وعلى أداء فريضة الحج، وينفق على الصائمين بعمل موائد الرحمن لهم، بالنسبة للأوقاف الولي، وللإنفاق على الواقفين يوم عرفة التاسع من ذي الحجة من كل عام في الثانية، أما الأوقاف الثالثة فينفق من ريعها على أداء فريضة الحج لمن لايستطيعون إلى ذلك سبيلاً.

- الأوقاف على الصناعات، التي تحتاجها الأمة، ويخصص ريعها للصرف على إقامة المؤسسات الصناعية التي لم تف بها جهود الدولة، وكذلك الحرف والمهن المختلفة.

- الأوقاف لسداد الديون، وتسليف المحتاجين، فكانت توقف من الأموال ما يؤدي بها ديون المعسرين، وإقراض المكروبين والمحتاجين عن طريق القرض الحسن.

- الأوقاف على المقابر وتكفين الموتى، ويقصد من هذا الوقف الحفاظ على حرمة كرامة الموتى، وإنشاء مقابر الصدقات، يدفن فيها من لا يملكون مقابر لهم، وكذلك الوقف من أجل تكفين وتجهيز موتى الفقراء.

ولا شك أن هذه الأوجه المتنوعة من الأوقاف، التي وقفها المحسنون من المسلمين قامت بدور حيوي في القيام والحفاظ على مصالح المجتمع ومرافقه الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأمنية، ويمكن القول إنها كانت ركيزة أساسية في معاونة الوزارات المختلفة في الدولة الإسلامية إن لم تكن بديلاً عنها في كثير من الأحيان، الأمر الذي يؤكد أهمية استرجاع الوقف وتطويره لأداء دوره في حياة المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

حول كيفية تطوير وإصلاح الوقف

إن من ينعم النظر في رصد اندفاع جل الدول الإسلامية - اتساقاً مع الاتجاه السائد لدور الدولة الحديثة - في الحلول محل الأفراد، في القيام بالأنشطة الاجتماعية، وما أدى إليه من انسحاب الدور الاجتماعي للأفراد المسلمين في المشاركة في الأعباء الاجتماعية، يدرك من واقع الخبرة والتجربة، حجم الخسارة التي منيت بها الأمة من جراء ذلك، ومدى المعاناة التي تتحملها الدول الإسلامية في هذا الشأن، وأهمها الغرق في مستنقع الديون، وبالذات الخارجية منها، والأثر المدمر لذلك على مكانتها واستقلال إرادتها، وتمييع هويتها، ومسخ شخصيتها فضلاً عن الوقوع في براثن التخلف في شتى مرافق الحياة الاجتماعية، وهي مساوئ كان يمكن لهذه الدول تلافي بعض آثارها لو لم تحرك نفسها من عطاء الأفراد، وجهودهم الحثيثة النابعة من إيمانهم بمبادئ دينهم، واستلهام النظم والشرائع الإسلامية بمنظومته الحضارية في الكون.

وإن الوصول إلى هذه الحقيقة، يتطلب الوعي بواقع مشكلة الوقف وتشخيص داءاتها، ورسم الحلول والإصلاحات لعلاج التقهقر والتردي الحاصل للوقف، والأزمة التي تواجهها الأمة الإسلامية بالنسبة للوقف، بكل ما أفرزته من تداعيات عمّت آثارها، وألقت بأوزارها على حاضر الأمة من تفشي الآفات المهلكة من الجهل والبطالة والمرض والتسول والعوز... إلخ.

الانطلاق من رسم السياسات وبناء الاستراتيجيات

إن السبيل للخروج من هذه الدائرة الخانقة والمكبلة لأداء دور الوقف كرسالة تنموية مؤسسة على فكرة أن الواجب يسبق الحق، وأن العطاء هو ركيزة العمل الاجتماعي في الإسلام، يتطلب بناء استراتيجية واضحة المعالم تكفل إحياء سنة الوقف والنهوض به من خلال التلاحم بين العمل الرسمي والعمل الشعبي، وفق الثوابت الشرعية ومعطيات الحاضر ومتطلبات المستقبل.

والغرض من بناء هذه الاستراتيجية هي وضع الإطار والصيغ التي تدور في نطاقها الأنشطة الوقفية، إلى جانب تحديد الوسائل والآليات الموصلة لتحقيق هذه الاستراتيجية، وترجمتها في المناشط الحياتية المختلفة.

وهذا التوجه الجديد للتعامل مع الوقف والعمل على إحياء دوره في مجتمعات المسلمين، يقصد منه تحقيق التجاوب الفاعل مع العصر الذي نعيش فيه، مع الحفاظ على هوية المجتمع العربية والإسلامية وعلى وحدته وتماسكه، وأداء دور إيجابي في حركة نموه، ومواجهة مشكلاته الأساسية، والنهوض به في كل المجالات.

ونظراً لغلبة الدور الذي يسهم به الأفراد في عملية الأوقاف، فإنه ينبغي أن يكون للواقف الدور الفاعل في إدارة شؤون الوقف وتوجيه أنشطته، وتحديد مصارفه في إطار المقاصد الشرعية، والمصلحة

العامة للمجتمع، إلى جانب تدخل الدولة، بالإشراف على شؤون الوقف، وضبط مساره ووضعه على الطريق الصحيح، وكفالة وفائه بالأهداف الشرعية ومصلحة المجتمع، والتنسيق بين مرامي الواقف وتنفيذ شروطه، وبين توجهات المجتمع وأوضاع السياسة العامة الاجتماعية والاقتصادية فيه، وبذلك يتلاحم النشاط الفردي والجماعي وتتضافر الجهود الخاصة والعامة لبناء مؤسسة الوقف كصرح متميز ومتكامل للنهوض بالمجتمع.

ومن المهم في هذا الصدد، أن تتلاقى وتتفاعل هذه الاستراتيجيات المرسومة في الدول العربية والإسلامية، وأن تتبادل هذه الدول خبراتها وأنت تنحو نحو التكامل والتساند، حيث إن هدفها في النهاية واحد، وهو إبراز الهوية الإسلامية للوقف، واحترام إرادة الواقفين، وتحقيق المقاصد الشرعية، ومصلحة الأمة.

وقد يكون من الضروري لإحياء دور الوقف، وتقديمه كعلم بارز للعمل الاجتماعي في الإسلام، أن تقوم الدول العربية والإسلامية، بإنشاء مجلس عالمي أو اتحاد عالمي للأوقاف الإسلامية للتنسيق والمتابعة، من أجل تطوير الأوقاف على المستوى العالمي(١).

وفيما يتعلق بتنفيذ استراتيجيات الوقف في الدول العربية والإسلامية، فليس من المحتم إفراغ الإدارة أو الجهة التي تضطلع بالتنفيذ في قالب واحد، أو أن تتبع وسائل وآليات متطابقة، فضلاً عن اتخاذها لمسمى بعينه، ذلك أن التعدد والتنوع الذي يتسم به كل قطر إسلامي، قد يتطلب الاختلاف والتباين في ذلك، بل لعله من المفيد أن ترتسم الخصوصية للإقليم والبيئة، واحتياجات المكان في شكل وطبيعة عمل هذه الجهات، فقد تكون في شكل هيئة عامة أو أمانة عامة أو مجلس أوقافي أو لجنة عليا للوقف، يناط بها الإشراف على الوقف وتنفيذ أهدافه المرسومة، في ظل تبادل الخبرات، والتباحث المتواصل من أجل بلوغ أقصى نفع ممكن لنظام الوقف، وتطوير برامجه، وابتكار وسائل وآليات جديدة.

ومن أجل ضمان أداء كفء ورشيد، للجهة المنوط بها الإشراف على الوقف، وتحقيق أهدافه، فلا نرى قصر تشكيل أعضاء هذه الهيئة أو الأمانة أو اللجنة من مسؤولين حكوميين فقط، ولكن من الشخصيات الحكومية والعامة، ومن رجال الفكر والأعمال، تكون مهمتها تحديد الأهداف والأولويات، التي يجب الوقف عليها، وتنشيط الوقف على الخيرات وإعطائها اختصاصات محدودة لتسهيل الوقف وتفعيله(٢)، كما أن عليها أن تعيد النظر في تجربة الوقف برمتها، وأن تقوم أداءها، وأن تقدم الحلول والبدائل التي من شأنها الارتقاء بالوقف وتعظيم دوره الحياتي في المجتمع حسب مقاصد الشرع.

وبالقطع، فإن النهوض بالوقف في ظل المعطيات الراهنة، والظروف السائدة، ليس بالأمر الهين، فإن أمام هذه الجهة مسؤوليات ينبغي عليها القيام بها، فهي بحاجة إلى:

- نشر الدعوة إلى الوقف، وبعث الوعي بين الناس، بكل وسائل الإقناع اللازمة بالحكمة والموعظة، والنزول إلى المواقع المختلفة، وبيان الأثر الإيجابي والبناء على الوطن والأمة.

- أن يكون الأعضاء قدوة في دعم رسالة الوقف، عن طريق تقديم النموذج الصحيح، بقيام العضو بوقف بعض ممتلكاته، ومن خلال السلوكيات الرشيدة، والإدارة السليمة للوقف.

- تحفيز الناس إلى الوقف بانتهاج الأطر الجارية عى مقتضى الشرع، ومن قبيل ذلك، السماح بالوقف الأهلي في حياة الواقف أو على أولاده، وتوجيهه بعد مماته إلى جهات البر والخير بالإضافة إلى ارتياد آفاق وقف الأموال المنقولة جنباً إلى جنب مع الأموال العقارية، حيث تزايدت أهمية بعض الأموال المنقولة، وارتفعت قيمتها في العصر الحاضر، كذلك السماح بوجود مؤسسات أهلية، فضلاً عن المؤسسات العامة تؤدي كل منها خدمة للناس، وتقوم بجزء من الاحتياجات العامة، في نطاق مصلحة الوطن والأمة.

وينبغي أن يكون توجه الجهة المعنية بشؤون الوقف، تمكين الأفراد من القيام بدور مهم في مجتمع الإسلام، وأن تتيح أمامهم السبل للإبداع والابتكار للإسهام في ترسيخ هوية المجتمع، وصناعة الحضارة الإسلامية، وأن يمكن المجلس العالمي للأوقاف - وليكن في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي - الأمة من المشاركة في صنع حاضرها، وتوجيه مستقبلها، والنهوض برسالة الإسلام الاجتماعية والإنسانية، استقلالاً عن الدولة، إبراز طاقاتها الخلاّقة، دعماً ومساندة لمهمة الدولة، وتحت مظلة الأهداف الشرعية للوقف، ومصلحة الجماعة المسلمة.

وتجدر الإشارة إلى الجهة المعنية بشؤون الأوقاف - أياً كان مسماها - ينبغي أن تضع نصب عينيها الأهداف التالية:

١ - إحياء سنة الوقف، واستعادة دوره، من خلال جذب الفرد المسلم إلى القيام بوقف بعض أمواله، بإضافة أوقاف جديدة، ذات صيغ متنوعة، تعزيزاً لقيم الخير، ومساهمة في خدمة الدين، وبناء الوطن، وغرس مفاهيم العمل التطوعي في المجتمع المسلم.

٢ - تنمية الأصول الوقفية، وتطوير طرق استثمارها، في نطاق صيغ الاستثمار الجائزة شرعاً، بأفضل الوسائل وأكفأ النظم وأفضل العناصر، التي تزيد وتعظم من أصول هذه الأموال الوقفية.

٣ - الارتقاء بالعنصر البشري القائم على تسيير شؤون الوقف وإدارة مرافقه، بوساطة تعليمهم بحقيقة ومقاصد الوقف الإسلامي، وتزويدهم بأحدث نظم الإدارة التي تمكّنهم من بلوغ أقصى معدلات النفع بالوقف لصالح الوطن والأمة.

٤ - توجيه أموال الوقف إلى الكثير من المجالات التنموية، عن طريق دعم المرافق الاقتصادية والاجتماعية ذات العائد المرتفع، وفي الوقت نفسه ذات المردود الاجتماعي التنموي على الفرد والمجتمع، في نطاق التقيد بشروط الواقفين، والمقاصد الشرعية للوقف. ■

الهوامش:

١ - توصيات ندوة الأوقاف الثانية، أبحاث نحو دور تنموي للوقف ص ٨٦، ١٩٩٣م - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت.

٢ - من توصيات ندوة إحياء دور الوقف في الدول الإسلامية مايو ١٩٩٨م، رابطة الجامعات الإسلامية.

بقلم : أ.د. محمد الدسوقي

أسهمت الأوقاف الإسلامية اسهاما كبيرا في دعم مسيرة الدعوة الإسلامية لإيصالها إلى جميع شعوب الأرض، وفي مقدم هذه الأوقاف الوقف على المساجد والوقف على أعمال الجهاد، والوقف على اهتداء غير المسلمين، والوقف على مقاومة الغزو العسكري والفكري والتنصيري التي تعرض لها العالم الإسلامي في العصور المتأخرة، وسنتكفي في هذه الحلقة بتوضيح دور الوقف على المساجد عامة، وفي مقدمها الحرمين الشريفين على أن نتعرض لباقي أدوار الوقف في الحلقة المقبلة إن شاء الله تعالى.

دور الوقف في تنمية العمل في مجال الدعوة الإسلامية 2/1

الإسلام الحنيف هو الدعوة العالمية الكبرى التي بُعث بها محمد صلى عليه وسلم، لتكون نظام الإنسانية الكامل في حياتها الروحية والمادية في كل زمان ومكان.(١)

وعالمية الإسلام الحنيف حقيقة تطالع كل من يتلو كتاب الله، فهذا الكتاب العزيز في كثير من آياته يخاطب الناس ويدعوهم إلى الإيمان وينهاهم عن الشرك والعصيان، وفي بعض الآيات يتحدث في جلاء عن هذه العالمية كقول الله تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون)(٢).

فهذه الآية نصت في عبارة صريحة واضحة على أن بعثة محمد ﷺ للناس كافة، بيد أنها في نهايتها تشير إلى أن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، ومن جهل شيئاً عاداه ومن ثم سيعادي هذه العالمية، ويسعى جهده لمنع انتشارها لكثير من البشر (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)(٣).

وتتحدث أيضاً بعض الأحاديث النبوية عن عموم الرسالة الإسلامية منها ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هل وضعت اللبنة فأنا اللبنة، وأنا خاتم الأنبياء».(٤)

وفضلاً عن تلك الآيات والأحاديث التي بينت أن الإسلام دعوة الله العامة للبشرية قاطبة وأن محمداً ﷺ لم يبعث ليخرج العرب وحدهم من الظلمات إلى النور، وإنما بعث ليخرج الناس كافة وليكون رحمة الله للعالمين ـ فإن هناك أمرين يؤكدان بما لا يدع مجالاً للريب عالمية الإسلام، وهذان الأمران هما:

أ ـ تعاليم الإسلام.

ب ـ معجزة القرآن.

إن تعاليم الإسلام تخاطب في الإنسان فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهذه الفطرة لا تختلف باختلاف الزمان والمكان، لأنه لاتبديل لخلق الله ومن هنا كانت هذه التعاليم صالحة للتطبيق الدائم، وكان على الناس جميعاً أن يستمسكوا بها ويحافظوا عليها.

إن الحق سبحانه خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وما فيه صلاحه وفلاحه في الدنيا والآخرة (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)(٥)، وغير مقبول في منطق العقل أن يكون هناك تضاد أو تناقض بين ما شرع الله لعباده وما فطرهم عليه، ومن ثم تنسجم

تعاليم الإسلام كل الانسجام مع الطبائع الإنسانية، والنزعات النفسية، والقوى البشرية، وما يعرض لها من عوارض وما تتأثر به من مؤثرات.(٦)

إن كل ما كتبه الله على عباده متفق تمام الاتفاق مع ما جبل عليه الإنسان بصفته إنساناً من طاقات ذهنية ونفسية، فليس فيه ما ينبو عن العقل، والاستعداد للحضارة، والقدرة على اكتساب المعرفة، وسد الحاجة، وتطوير الحياة.(٧)

وكان من مظاهر ملاءمة تعاليم الإسلام للفطرة الإنسانية، قيامها على اليسر ونفي الحرج، فقد جاءت وفق القدرة البشرية، وراعت كل ما يعرض من ظروف تحول بين الإنسان والالتزام بهذه التعاليم كلياً أو جزئياً، وجعلت للناس من كل ضيق مخرجاً ومع كل عسر يسرين لا يسراً واحداً (فإن مع العسر يسراً. إن مع العسر يسراً)(٨).

وأوضح برهان على قيام التعاليم الإسلامية على اليسر قلة التكاليف وتشريع الرخص ومراعاة الأعراف الصحيحة(٩)، ودرء الحدود بالشبهات.

ومع قيام تلك التعاليم على اليسر تقوم على رعاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، وتسوي بينهم في الحقوق والواجبات، وتجمع بين الترغيب والترهيب، ولذلك سايرت الزمن ووسعت التطور وصلحت لكل أمة ولاءمت كل وقت، ولكن الناس لما جهلوا هذه التعاليم انصرفوا عنها إلى غيرها فضلت بهم السبل،(١٠)، ولن ينقذهم مما هم فيه إلا تلك التعاليم التي صلح عليها أمر الدنيا والآخرة.

ويطول الكلام في الحديث عن تعاليم الإسلام، وهذه إشارة عامة إلى أخص سماتها.

وأما معجزة القرآن فإنها تختلف عن سائر معجزات الأنبياء الذين خلوا قبل محمد ﷺ، إنها معجزة عقلية وليست مرتبطة في وجودها بحياة الرسول أو شخصه مثل المعجزات التي سبقتها فقد كانت حسية وشخصية.

إن معجزة القرآن تخاطب العقل والوجدان وباقية إلى يوم الدين، فهي من ثم معجزة الدهر، ودعوة الحق إلى كل إنسان على ظهر هذه الأرض إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

إن الناس بعد محمد ﷺ يرون معجزته رأي العيان كمن شاهدوه وخاطبوه، وإذا كانت الأجيال كلها ترى هذه المعجزة وتفهمها فهي حجة الله القائمة عليها فإن ضلت فإنها لا تضل عن جهالة، ولا عن نقص في الدلائل، ولا من شك في الأمر، بل عن عمى في البصيرة وتحكم في الهوى(١١)، ويتأسس على الإيمان بعالمية الإسلام ثلاثة أمور:

أولاً: إن كل الرسالات التي سبقت رسالة الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ فهو كافر، وإن زعم أنه يؤمن بالله وحده.

ثانياً: ومادام ما بعث به محمد جاء للناس كافة، فإن هذا يقتضي أن يكون هذا النبي آخر رسول يوحى إليه، فالعموم والصلاحية الدائمة للتطبيق وبقاء المعجزة إلى يوم الدين يدل على أن محمداً لا نبي بعده وأن الله ختم به النبوات (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً)(١٢)، فكل من يدعي النبوة بعد محمد فهو كاذب لا محالة، وتجب مناهضته والقضاء عليه، لأنه مفسد وضال، ومن هادنه أو تركه وما يأفك به فهو شريك له في ذلك الافتراء والادعاء.

ثالثاً: إن الإيمان بعموم الرسالة الخاتمة يفرض وجوب الدعوة إليها ما استطاع المؤمنون بها إلى ذلك سبيلاً، حتى لايكون أمام أي مكلف عذر في أن هذه الرسالة لم تبلغه، وفي هذه الحال لا يكون مسؤولاً، وإنما يسأل من آمن بالإسلام وقصّر في تبليغه إلى سواه.

ولإيمان المسلمين الأوائل بعالمية الإسلام، حملوا أرواحهم على أكفهم «وانساحوا» في الأرض لتبليغ الناس، ودعوتهم إلى الإيمان بهذا الدين دون إلزام أو إكراه، فما كانت الحروب الإسلامية لفرض الدين وحمل الناس قسراً على اعتناقه، وإنما كانت حين يقف الطغاة يسدون طريق الدعوة ويحولون بين الدعاة والقيام بفريضة البلاغ، ولهذا كان يسبق الحرب أمران هما:

أولاً: الدعوة إلى الإسلام فإن آمن القوم اختياراً ورغبة فهم إخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا، فإن أبوا ولم يستجيبوا فليس على المسلمين إكراههم على الإيمان بالإسلام، ولكن عليهم أن يدعوهم إلى الأمر (الثاني): وهو أن يدخل هؤلاء القوم مع المسلمين في عهد وميثاق ليصبحوا أهل ذمة لا يتعرض لهم في عقائدهم الدينية ويتمتعون بكل حقوق الحماية والرعاية في مقابل فريضة مالية يسيرة لا تجب على غير القادرين منهم، وذلك العهد لغرض واحد، وهو أن يأمن المسلمون هؤلاء حتى لا يظاهروا غير المسلمين على المسلمين.

فإن أبوا أن يدخلوا مع المسلمين في عهد وميثاق، وجاهروا بهذا الرفض بالعداء، وكأنهم يعلنون وقوفهم ضد تبليغ الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة فتصبح الحرب في هذه الحال ضرورة لتحرير المستضعفين من تسلط المتجبرين، حتى تتحقق الحرية الدينية لكل إنسان، ويصبح غير المؤمن بهذه الحرية مسؤولاً عن اختيار العقيدة التي يدين بها.

ولم تكن فريضة التبليغ مقصورة على الدعاة الذين يسيرون مع الجيوش المجاهدة، وإنما كان ينهض بهذه الفريضة كل قادر عليها،

لأن كل مسلم يؤمن بما جاء عن رسول الله ﷺ : «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»(١٣).

لقد حمل أمانة التبليغ والدعوة إلى الإسلام في كل عصور التاريخ كثير من العلماء والرحالة والمهاجرين، وعلى أيديهم هؤلاء وغيرهم انتشر الإسلام في بلاد لم تطأها الجيوش الإسلامية، لقد كانوا بسلوكهم وتعبيرهم الحي الواقعي عن قيم الإسلام وتعاليمه يؤثّرون في الناس تأثيراً دفعهم إلى اعتناق هذا الدين والاعتصام به، ثم الدعوة إليه، ومازالت تلك البلاد ترتضي الإسلام ديناً حتى الآن وبخاصة في جنوب شرق آسيا على الرغم من تعدد حملات التبشير والتنصير التي تنفق الملايين في كل عام وتستخدم أحدث وسائل النقل كالطائرات وذلك لزعزعة ثقة المسلمين بدينهم، وحملهم على اعتناق المسيحية.(١٤)

الوقف على المساجد

وأما عن دور الوقف في تنمية العمل في مجال الدعوة الإسلامية، فإن هذا الدور تمثل في إقبال الأمة على الوقف لبناء المساجد ودور العلم التي اهتمت بالدراسات الشرعية وأيضاً الوقف على المجاهدين الذين يرابطون في الثغور ويقفون بالمرصاد لكل من تسوّل له نفسه أن يعتدي على ديار الإسلام.

لقد كان الناس يتسابقون في إقامة المساجد ابتغاء وجه الله، بل كان الملوك يتنافسون في عظمة المساجد التي يؤسسونها وينفقون عليها الأموال الكثيرة.

وما كان الناس يشيّدون المساجد دون أن يوقفوا عليها من أموالهم ما يوفر لها الصيانة ودفع مرتبات العاملين فيها من أئمة ووعاظ وخدم، وقد جاء في حجة وقف الأشرف برسباي(١٥) على الجامع الذي بناه بناحية سريا قوس: لرجل من أهل الخير والدين صالح للخاطبة بالجامع الكائن بمنشأة سرياقوس في كل شهر من شهور الأهلة سبعمئة درهم، نصفها ثلاثمئة وخمسون درهماً على أن يباشر وظيفة الخطابة في أيام الجمع والأعياد ويؤم المسلمين في صلاة الجمعة والعيدين، وفعل ما جرت العادة بفعله في مثل ذلك على الوجه الشرعي، ولرجل من أهل الخير والدين حافظ لكتاب الله العزيز يكون إماماً بالجامع المذكور في كل شهر ما مبلغه ألف درهم على أن يؤم بالمسلمين الصلوات المفروضات وصلاة التراويح في كل ليلة من شهر رمضان من كل سنة وفعل ما جرت العادة به، ولستة نفر من أهل الخير والديانة حسان الأصوات في كل شهر بالسوية بينهم ألف درهم وثمانمئة درهم على أن يعلن بالأذان المشروع في أوقات الصلوات في نوبته التي يقررها له الناظر وفعل ما جرت العادة به من تسبيح وتهليل وصلاة على النبي ﷺ وغير ذلك.

ولأربعة نفر من أهل الخير والديانة في كل شهر ألف درهم بالسوية بينهم على أن يكونوا فراشين بالجامع المذكور يفعلون ما جرت العادة به من كنس ومسح وبسط وغير ذلك، ويصرف لرجل من أهل الخير والديانة والعفة والأمانة يكون خادماً للمصاحف الشريفة والربعة الشريفة للجامع المذكور في كل شهر مئتي درهم على أن يتعاطى في كل يوم خدمة المصاحف والربعة الشريفة بالجامع على العادة في كل يوم من تجهيز للمصاحف الشريفة للقراءة فيها وجمعها من أيدي القراء ووضعها في محلها. (١٦).

وهذه الحجة واحدة من مئات الآلاف من الحجج الوقفية على بيوت الله، لقد كان المسلمون ولا يزالون يحرصون أبلغ الحرص على بناء المساجد ووقف الأموال عليها، وإن تضاءلت ظاهرة الوقف في العصر الحديث.

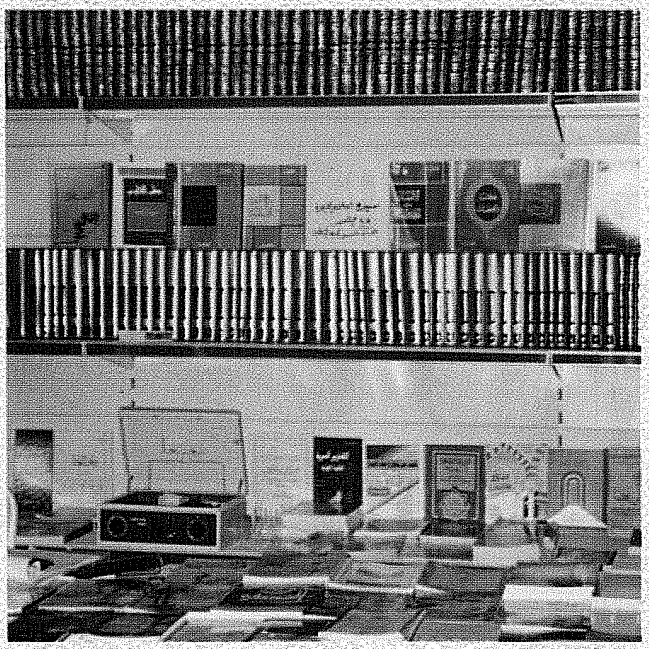

والمسجد في الإسلام ليس دار عبادة فحسب، ولكنه إلى هذا مصدر الإشعاع الروحي والعلمي للأمة، ولا غرو أن كان المسجد هو منطلق الحضارة الإسلامية، فقد كان الجامعة العلمية التي خرّجت كل المفكرين والعباقرة في شتى المجالات والذين قادوا مسيرة التطور الحضاري في العالم كله(١٧)، فالحضارة الغربية المعاصرة ترجع إلى عصر النهضة في أوروبا، وحضارة هذا العصر ترجع إلى الحضارة الإسلامية في الأندلس، وإلى ما عادت به فلول الحملات الصليبية من ثقافات وأفكار وقفت عليها بعد أن عاشت في ديار الإسلام نحو مئتي عام.

لقد ظلت مهمة المسجد ورسالته هي العبادة والتعليم والدراسة ومقراً دائماً للقيادة والرياسة في عصر البعثة والخلافة الراشدة، ثم كان له إلى هذا بعد ذلك وظيفة مهمة وهي تنمية المجتمع وتطويره، إنها مهمة التغيير والتقدم، لأن المسجد كان له دوره الكبير في القضاء على الأمية، والأمية في كل أمة عقبة كأداء في طريق التنمية.

والأمية التي كان للمسجد دوره في إنقاذ الأمة منها تشمل الأمية بمعنى الجهل بالقراءة والكتابة وكذلك الأمية الثقافية التي تتعلق بالجهل بأحكام الإسلام وقيمه الحضارية، وضعف الوعي بمشكلات الأمة، وما يجب على كل مسلم نحو دينه ونفسه وأهل الحق كافة.

لقد كان المسجد منارة سامقة للعلم والمعرفة والثقافة، منارة للإرشاد والتوجيه.

وإذا كانت الدعوة إلى الإسلام تحتاج إلى رجال ذوي علم وثقافة وفقه عميق لتعاليم الإسلام ومنهجه في تأليف القلوب، فإن المسجد كان الموئل الذي يلجأ إليه كل من يريد أن يتفقه في الدين، وكانت

حلقات العلم في المساجد في كل مكان من دار الإسلام لقاءات علمية مفتوحة تيسر لكل راغب في العلم أن ينهل منها كما يشاء.

وكان هؤلاء الذين يدرسون في حلقات المساجد ويتلقون العلم عن شيوخ هذه الحلقات هم دعاة الإسلام في داخل دياره وفي خارجها، لقد كانوا كتيبة الجهاد في الحفاظ على الهوية الإسلامية وتحقيق مقاصد الشرع بين المسلمين وغيرهم وبخاصة في مواجهة الظروف الحالكة في تاريخنا من طغيان الحكام واستبدادهم، أو من همجية العدو الخارجي الذي لم ينس ما فعله به موسى بن نصير وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم من أبطال الإسلام، فهو لهذا يخطط للإغارة على دار الإسلام يبغي تدميرها مادياً ومعنوياً.

إن هذه الكتيبة المجاهدة تمثل القوة الذاتية في الإسلام تلك القوة التي تتأبى على الضيم، وتأخذ سبيلها إلى القلوب في طواعية مهما تحاول طواغيت الإنس والجن أن تحجب عنها نور الإيمان وصحة اليقين، وقد اعترف بها بعض المستشرقين الذين راعهم أن يقف الإسلام صامداً في مواجهة القوى المضادة، وأن ينتصر عليها في كل المعارك، فهو كالصخرة العاتية التي لا تعبأ بالوعول الحانقة، والتي تتكسر عليها كل السهام وإن تركت بعض الندوب هنا وهناك.

كناطح صخرة يوماً ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

إن المستشرق «جب»(١٨) ألقى خطاباً أمام مجلس جامعة اكسفورد قال فيه: «طالما شهد الإسلام أن الثقافة الإسلامية قوبلت بمنافسات شديدة، ولكنها لم تنهزم على الرغم من ذلك لأن الأسلوب الروحي وتفكير العلماء الربانيين أسرع في دعمها وتأييدها ومنحها قوة لم تصمد في وجهها أي طاقة مضادة».

ويقول مستشرق آخر: «طالما حدث أن الإسلام الديني أحرز نجاحاً كبيراً في أحرج ساعات الإسلام السياسي»(١٩)، ويريد هذا المستشرق بقوله: إن القوة الذاتية للإسلام ما كان يعتريها ضعف أو ذبول في مراحل ضعف الدولة أو أفول نجمها.

ولا شك في أن إخلاص العلماء في القيام بواجبهم نحو دينهم وأمتهم وأن عليهم أن ينهضوا بأمانة التبليغ والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم ثقتهم في نصر الله وأنه سبحانه لا يتخلى عن عباده المتقين كان من وراء اعتصام الأمة بدينها وقوتها به على الرغم من الضعف الذي كان يحل بالدولة في بعض عصور التاريخ.

ولوا المسجد وما حبس عليه من أموال ما كان لهؤلاء العلماء أن ينهضوا برسالتهم في استقلالية عن هيمنة الدولة، وغني عن عطاء الحاكم، الأمر الذي جعلهم سلاطين الأمة، تتوج من بينهم شيوخ الإسلام وسلاطين العلماء، وسلاطين العارفين، ليقودوا مسيرة حضارتها، وليذودوا عن حياض عقيدتها، وليكونوا بحق ورثة الأنبياء في الدعوة إلى الله والتمكين لدينه في دنيا الناس، ومن ثم كانت تعلو مكانة العلماء وترجح كفتهم على مكانة وكفة سلاطين الدولة وأمرائها.(٢٠)

إن المسجد كان النواة الأولى للدعوة(٢١) والحضارة الإسلامية، وكانت الأوقاف التي حبست عليه من أهم العوامل التي هيأت لهذه النواة أن تؤدي رسالتها كاملة في تبصير الأمة بحقائق دينها وفقه شريعتها وفي إعداد الدعاة الذين جاهدوا في الله حق جهاده فكانوا مشاعل تنير الدرب على طريق الحق والخير.

ويكفي هنا الإشارة إلى بعض المساجد التي كثر الوقف عليها والتي كان لها أثرها في تنمية الدعوة إلى الإسلام، وكذلك في تنمية الفكر الإسلامي والتي تطورت عبر التاريخ حتى أصبحت مؤسسات إسلامية عالمية يؤمها طلاب المعرفة والثقافة من كل أرجاء العالم الإسلامي، والتي كانت حصناً حمى لغة القرآن وحضارته من مكر وكيد الاحتلال الغربي، وهذه المساجد هي: الجامع الأزهر في القاهرة، وجامع الزيتونة في تونس، وجامع القرويين في فاس.(٢٢)

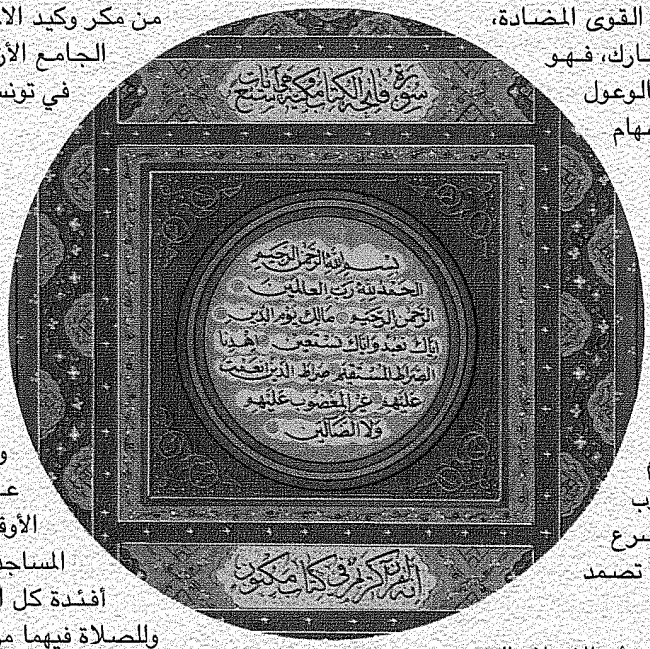

الوقف على الحرمين:

إذا كان الوقف على المساجد يأتي في مقدم الأوقاف الخيرية وكان الناس يتسابقون في هذا الوقف، ومن ثم كثرت الأوقاف على بعض المساجد، وبخاصة تلك التي كان لها تأثيرها في مسيرة الحضارة الإسلامية، ونهضة الحياة العلمية، ونشر الوعي الديني، فإن الوقف على الحرمين الشريفين فاق كل الأوقاف التي حبست على غيرهما من المساجد، ومرد ذلك إلى أن الحرمين مهوى أفئدة كل المسلمين، وإليهما تشد الرحال، وللصلاة فيهما من الأجر ما ليس لسواهما من بيوت الله، فالحرم المكي فيه البيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، وجعل حجة فريضة على من استطاع إليه سبيلاً وهو إلى هذا القبلة التي يتجه إليها المسلمون في صلاتهم، وأما الحرم المدني فهو يذكّر الأمة برسالة الإسلام التي بُعث بها محمد - ﷺ - رحمة للعالمين.

وفي هذا حض على الاعتصام بهذه الرسالة، والدعوة إليها والذود عنها، والدعاء لهذا النبي الذي جاهد في الله حق جهاده حتى ترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ولهذه المعاني وغيرها مما لا يتسع المجال لإفاضة القول فيه كان تسارع الناس إلى الوقف على الحرمين الشريفين وبخاصة الحكام على مر العصور.

وتذكر كتب التراجم والتاريخ أن سلاطين دولة المماليك(٢٣) البحرية اهتموا اهتماماً كبيراً بالحرمين، ويتجلى ذلك فيما أنفقوه وأوقفوه على هذه البقاع المقدسة، أو ما يتصل بها من خدمات ويمكن تقسيم

هذه الأوقاف التي حبست على الحرمين من قبل هؤلاء السلاطين وغيرهم ثلاثة أقسام:

١ ـ أوقاف يستغل ريعها للصرف المباشر على عمارة وخدمة الحرمين والعاملين بهما.

٢ ـ أوقاف تستغل في الخدمات العامة الدائمة بكل من مكة المكرمة والمدينة المنورة مثل الحمامات والبيمارستانات والأحواض في طريق الحج.

٣ ـ نفقات مباشرة لإجراء إصلاحات وترميمات في الحرمين أو صدقات أو إصلاح الطرق التي يسلكها الحجاج وتأمينها من اللصوص وقطاع الطرق.

وتمثلت تلك الأوقاف في قرى ومنشآت في مصر والشام وقد دلت على الأماكن الموقوفة وثائق الوقف التي تحتفظ ببعض منها دور المخطوطات، وتعبّر عن هذه الوثائق مجموعة من حجج شرعية أوقفها السلاطين والأمراء وغيرهم للصرف على تلك الأماكن المقدسة.(٢٤)

وقد شرع سلاطين المماليك في القيام بالإصلاحات في الحرمين منذ بداية عهدهم، وتنافسوا في حبس الأموال من أجل هذا، ومن أشهر الذين قاموا بأعمال خيرية جليلة في الديار المقدسة كل من السلطان الناصر محمد بن قلاوون (ت٧٤١هـ)، وابنه السلطان حسن (ت:٧٦٢هـ)، والملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر بن محمد ابن قلاوون (ت:٧٧٨هـ).

ومن الوثائق الوقفية وثيقة حررت في سنة ٧٢٤هـ، أوقف السلطان الناصر محمد فيها سهماً على المنقطعين بمكة والمدينة ومما جاء في هذه الوثيقة: على الناظر في هذا الوقف أن يجمع ريعه في كل سنة ويرسل ما يتحصل منه إلى بدء السنة المذكورة صحبة من يوثق به إلى مكة شرّفها الله تعالى، وإلى المدينة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والرحمة ويصرفه المسير على يده في تجهيز المنقطعين بمكة والمدينة النبوية الشريفة لعدم الزاد والراحلة، ويصرف ذلك إليهم على ما يراه ويحتاجون من زاد لتوصيلهم إلى الديار المصرية أو إلى أوطانهم.(٢٥)

وللسلطان حسن وثيقة وقفية مؤرخة بتاريخ ٢٦ ربيع الثاني ٧٦٢هـ، وفيها أوقف سهماً من نصفين، النصف الأول يصرف على مكة المكرمة، والنصف الآخر يصرف على المدينة المنورة.

وقد اشترط الصرف على كل ما يحتاج إليه المسجد الحرام من فرش ووقود وترميم وإصلاح وغير ذلك، والصرف على الفقراء والمساكين من المجاورين بالحرم من الذكور والإناث المسلمين من أهل السنة.

وفي وثيقة أخرى اشترط هذا السلطان أن يصرف بعض ريع الأوقاف على غير القادرين لمساعدتهم في أداء فريضة الحج.(٢٦)

وأما السلطان الأشرف بن حسين فإنه وإن لم يمكث في الحكم إلا نحو عشر سنوات، وأنه توفي في الرابعة والعشرين من عمره كان خير ملوك زمانه، والدارس لحياته لا يسعه إلا الإعجاب بكل ما أوتي من صفات عظيمة جعلت منه إنساناً جديراً بالتقدير، فقد اهتم هذا السلطان بعمارة الحرم المكي، وجدد شرفات المسجد النبوي، وأنشأ اسطولاً بحرياً قوياً، وكان خيّراً محباً للعامة، وقد ازدهرت الفنون والصناعات في عهده، وتطورت علاقاته بالعالم الخارجي.

ومن أهم أعماله أوقافه الكثيرة على الحرمين، ويشهد لهذا وثيقة مهمة معروفة بوثيقة وقف السلطان الملك الأشرف شعبان، وهي محفوظة بدار الوثائق القومية في قلعة صلاح الدين بالقاهرة تحت رقم (٤٩).

وقد كتبت هذه الوثيقة يوم الاثنين الموافق الثالث من جمادى الآخرة عام ٧٧٧هـ، وهي مفقودة الافتتاحية ويبلغ طول المتبقي منها ٤٠,٨٥ متراً.

واشتملت الوثيقة على الأعيان الموقوفة، وبيان جهات صرف ريع الوقف، وهذه الأعيان عبارة عن تسع قرى، وبستان وحمام، وقد وصفت الوثيقة كل قرية وعينت حدودها والمستثنى منها من الوقف، كما وصفت البستان وما يشتمل عليه من أنواع أشجار الفاكهة وما به من مساكن، كذلك وصفت الحمام محددة مساحته، وما به من دهاليز وطرق، وأدوات للاستحمام.(٢٧)

وأما أوجه صرف تلك الأعيان فقد نصت الوثيقة على أن يكون لأمير مكة مبلغ مئة وستين ألف درهم سنوياً على ألا يأخذ شيئاً من المكوس على ما يباع بأسواق مكة من مأكول أو مشروب، كما لا يأخذ أيضاً على المزروعات، ولا من يحضر إلى مكة حاجاً أو زائراً، وهذا كله لتخفيف العبء على أهل مكة ووفود بيت الرحمن.

والجهة الثانية للصرف خاصة بقرّاء القرآن الكريم، وقارئ الحديث في المسجد الحرام، والذين يدرسون علوم الدين، والفقه على المذاهب الأربعة المشهورة، ومؤدب الأيتام ومن يقرأ المدائح النبوية، بالإضافة إلى المؤذنين والأئمة والمكبرين، ومشايخ المذاهب، وسدنة الكعبة والذين يباشرون عمارة الحرم وترميمه وإصلاحه.

وحددت الوثيقة مقدار ما يعطى لكل واحد من هؤلاء، ولم تنس الوثيقة أن تخصص للفراشين وخدام سلم الكعبة والسقائين ومبخّر الكعبة، وصائدي الهوام والحشرات، ومن يوقد المسارج بالحرم والمشاعل في الطرق المؤدية إليه، ومن يتولى تنظيف ما بين الصفا والمروة من العظام والأوساخ ما يصرف لهم لقاء ما يقومون به من أعمال.

والوثيقة إلى كل ما سبق اشتملت على نفقات خيرية، مثل كسوة الفقراء وشراء الأكفان ودفن الموتى.

ومن الأشياء التي تسترعي الانتباه في هذه الوثيقة تخصيص مبلغ مئة وخمسين درهماً يشتري بها ناظر الوقف إبراً وخيوطاً من الكتان والقطن ويرسل ذلك إلى الحرم ليفرق على من يراه من الفقراء والمساكين، هؤلاء الذين لم يكن في استطاعتهم شراء مثل هذه الأشياء البسيطة لإصلاح ملابسهم التي تتمزق أو لخياطة ما كان يوزع عليهم من الأقمشة من ريع الوقف أيضاً.

وكان السلطان الأشرف قد أنشأ ميضأة جديدة بجوار باب عليّ بالحرم كما أنشأ مارستاناً جديداً في مكة المكرمة، وقد خصص له كل ما يحتاجه من أطباء وفراشين وفراشات وأدوية ونفقات جارية، وذكرت الوثيقة ما يعطي لكل هؤلاء من أموال.

هذا ما جاء في الوثيقة عن وجهات صرف ريع الوقف في مكة، وتكاد جهات الصرف في المدينة لاتختلف عن جهات الصرف في مكة، ويلاحظ أن هناك جهة خصص لها مبلغ ثمانمئة درهم تقسم على أربعة يقف كل واحد منهم على باب من أبواب المسجد النبوي لحراسة نعال المصلين وغيرهم... ويؤخذ من هذا أن عدد أبواب مسجد الرسول في ذلك العصر كانت أربعة أبواب، وأن بعض ضعاف النفوس كانوا يستحلون لأنفسهم سرقة نعال المصلين.

ولم يغفل السلطان الأشرف مزارات المدينة كالبقيع ومسجد قباء، فقد خصص لها مبالغ لحراستها وإصلاحها.(٢٨).

إن الوثيقة الوقفية للسلطان الأشرف على الحرمين الشريفين تعد من أهم الوثائق في تاريخ الوقف الإسلامي، لقد تناولت كل ما يتعلق بالمسجد الحرام والمسجد النبوي من حيث الصيانة ورعاية الذين يقومون بوظائف التدريس وتلاوة القرآن فيهما، فضلاً عن إلغاء ما يحصله الولاة من مكوس في مكة والمدينة تخفيفاً عن الناس، وتيسيراً للذين يؤمون البيت العتيق للحج أو الزيارة.

إن الوقف على الحرمين الشريفين سواء أكان من عامة الناس أم من بعض الحكام والسلاطين كان من عوامل المحافظة والصيانة لهذه البقاع المقدسة التي هي وطن روحي(٢٩) للمسلمين في كل مكان كما ساعد هذا الوقف الذين يرغبون في أداء فريضة الحج، ولكنهم لا يملكون الزاد والراحلة على أداء هذه الفريضة، وكفل مع هذا لأهل مكة والمدينة حياة آمنة مستقرة، كما كفلت للذين يؤمون تلك البقاع الراحة والأمان، ولهذا كان الوقف على الحرمين له دوره في تنمية العمل الدعوي لأنه قوى الرابطة الروحية بين المسلمين وقبلتهم ومهجر نبيهم، وجعلهم يأتون رجالاً أو ركباناً ليتزودوا بخير زاد وهو التقوى، فيكون لهم بعد أوبتهم إلى أوطانهم دور التوجيه والقدرة والدعوة إلى الله بالتي هي أحسن. ■

الهوامش:

١ ـ انظر تذكرة الدعاة للأستاذ البهي الخولي ص١٣، ط. القاهرة.

٢ ـ الآية: ٢٨ في سورة سبأ.

٣ ـ الآية: ٣٢ في سورة التوبة.

٤ ـ رواه الإمام مسلم.

٥ ـ الآية: ١٤ من سورة الملك.

٦ ـ انظر: مجلة الأزهر المجلد ٢٤ ص ٣٠.

٧ ـ انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها للأستاذ علال الفاسي ص٦٦، ط. مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء.

٨ ـ الآية: ٥، ٦ في سورة الشرح، وفي هاتين الآيتين ورد العسر معرفة واليسر نكرة، والمعرفة إذا كررت كانت عيناً، فلا يعني ذكرها أكثر من مرة تعددها على حين أن النكرة إذا كررت كانت غيرها، وقد أخرج الحاكم والبيهقي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال في الآيتين: لن يغلب عسر يسرين.

٩ ـ انظر أصول الفقه الإسلامي للشيخ زكي الدين شعبان ص١٩١، ط. جامعة بنغازي، ليبيا.

١٠ ـ انظر: مجلة الأزهر، المجلد ٢٤ ص ٣٦.

١١ ـ انظر القرآن المعجزة الكبرى للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٥، ط. دار الفكر العربي بالقاهرة.

١٢ ـ الآية: ٤٠ في سورة الأحزاب.

١٣ ـ متفق عليه.

١٤ ـ انظر غارة تبشيرية على أندونيسيا لأبي هلال الأندونيسي، ط. ليبيا.

١٥ ـ برسباي، جركسي الأصل، تولى حكم مصر سنة ٨٢٤هـ، وأطلق على نفسه الأشرف برسباي، يقول بعض المؤرخين بأنه كان ملكاً جليلاً مبجلاً منقاداً للشريعة، يحب أهل العلم، مهيباً مع لين جانب. (توفي ٨٤١هـ)

١٦ ـ انظر الوقف وأثره التنموي للدكتور علي جمعة، بحث منشور في أعمال ندوة الوقف بالكويت، ص ١٠٩.

١٧ ـ انظر العرب والحضارة الأوروبية للأستاذ عباس محمود العقاد ص ٢٥، ط. القاهرة، فقد ذهب بعض الأوروبيين إلى أن أوروبا كان من المستحيل أن يكون لها شأن لولا وجود المعارف العربية، أي المعارف الإسلامية.

١٨ ـ «جب» من كبار المستشرقين المعاصرين كان له دور كبير في تحرير الطبعة الإنكليزية من دائرة المعارف الإسلامية وكان عضواً بعدة مجامع لغوية عربية كمجمع القاهرة ودمشق وبغداد وقد تولى إدارة مركز الشرق الأوسط في جامعة هارفارد.

١٩ ـ انظر مجلة البعث الإسلامي «الهند»، المجلد الحادي والأربعون، العدد الثالث، ذو القعدة سنة ١٤١٦هـ ص٥١.

٢٠ ـ مجلة الوعي الإسلامي العدد ٣٣٤ ص ٩١.

٢١ ـ انظر من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي ص ١٢٩، ط. المكتب الإسلامي.

٢٢ ـ بنى الجامع الأزهر القائد جوهر الصقلي سنة ٣٦١هـ، وسمي بالجامع الأزهر نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ـ ﷺ ـ وكان بناؤه ليكون مسجداً للعبادة، ثم مدرسة تدرّس فيها العلوم الدينية على مذهب الشيعة، ولكن بعد نحو مئتي عام في عهد الدولة الأيوبية منعت دراسة هذا المذهب، وأصبح مدرسة جامعة للعلوم الشرعية وفق المذهب السني، ثم تطورت الدراسة فيه حتى اتخذت صورة الجامعة بمفهومها الحديث الآن. وأما جامع الزيتونة فقد بني بعد الفتح الإسلامي لتونس، وكان بناؤه في العقد الثاني من القرن الهجري الثاني، وقد أدخلت عليه بعض التحسينات والترميمات في القرن الثالث وما بعده، وأوقفت عليه الأموال والمكتبات، وتطورت الدراسة به حتى أصبح جامعة تخرج فيها أعلام الإسلام في الماضي والحاضر.

وجامع القرويين قامت ببنائه امرأة مسلمة فاضلة تقية صالحة وهي من مدينة القرويين، ولذلك حمل المسجد اسم هذه المدينة وإن شيد بمدينة فاس وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وقد شيد هذا الجامع منذ بادئ الأمر ليكون مركزاً للتعليم، ولهذا يعد أقدم جامعة إسلامية، وقد تطور عبر عصور التاريخ، وهو الآن جامعة تضم كليات عدة منها كلية الشريعة والآداب والعلوم.

٢٣ ـ دولة المماليك البحرية أقامها المماليك على أنقاض الدولة الأيوبية وبسطت سلطانها على مصر والشام وحكمت من عام ٦٤٨هـ إلى ٧٨٤هـ (انظر دولة المماليك الأولى للدكتور أحمد مختار العبادي).

٢٤ ـ انظر أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين للأستاذ راشد سعد راشد القحطاني ص٣١، ط. الرياض سنة ١٤١٤هـ.

٢٥ ـ انظر المرجع السابق ص ٤١.

٢٦ ـ انظر المصدر السابق ص ٤٧.

٢٧ ـ تقع كل هذه الأعيان في بلاد الشام.

٢٨ ـ انظر أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين ص ٨٥.

٢٩ ـ انظر نخبة الأزهار وروضة الأفكار للشيخ محمد عبدالله دراز تحقيق الشيخ عبدالله الأنصاري، ط. دولة قطر.

بقلم: د. جابر قميحة

في صدر الإسلام رسائل غيَّرت وجه التاريخ 4

رسالة من سطرين قتلت عثمان بن عفان رضي الله عنه

تولى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - الخلافة بعد عمر الخطاب - رضي الله عنه - وقد بايعه المسلمون واجتمعوا عليه في أصعب خلافة تولاها خليفة قط في صدر الإسلام. ويدلل العقاد في كتابه «ذو النورين عثمان بن عفان» على صحة هذا الحكم باستقراء «الحالة» عند تولي عثمان الخلافة:

فبعد أن ذاع نبأ مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المشرق والمغرب تلاحقت الثورات والفتن كأنما كانت على موعد.

وتمرد من قبائل الفرس والروم والترك من كان قد أذعن وتعاقد مع قادة الحرب على الصلح والطاعة، ونقضت دولة الروم صلحها فأغارت على الإسكندرية براً وبحراً، وأرسلت أساطيلها إلى شواطئ فلسطين، وأطلقت في الميادين خفية من يبث فيها الوعد والوعيد، ويغري المطيع العصيان.

وأحصى المؤرخون البيزنطيون عدة السفن والجيوش التي اشتركت في حركات الثورة والانتقاض، فقال بعضهم إنها تجاوزت خمسمئة سفينة، ومئة ألف مقاتل.

وسرعان ما تسايرت الأنباء بهذه الزحوف بين الخزر والأرمن ومن وراءهم من الشعوب الآسيوية، فهبوا يتعللون بالذرائع لنقض الصلح، أو ينقضون بغير ذريعة، وينتهزون الفرصة التي علموا أنها لا تسنح مرة أخرى إذا استكانوا للطاعة والمسالمة.

وكانت محنة كمحنة الردة أو أكبر منها في اتساع ميادينها، وتباعد أطرافها، وكان عثمان كفؤاً لها بالعزم والرأي والسرعة في تصريف الأمور، وتسيير النجدات، وإسناد كل عمل إلى من يحسنه، ويسد فيه أحسن سداد.

تزوير الرسائل وسيلة من وسائل السبئية أتباع «عبدالله بن سبأ» وأعداء عثمان لخلعه وإحداث الفتنة

شهادات لعثمان - رضي الله عنه

كانت هذه الحال خارج الجزيرة العربية، وبهذه العزيمة تصدى عثمان - رضي الله عنه - وفي الداخل كان عثمان - كما يقول المسور بن مخرمة - ست سنين من ولايته وهو أحب إلى الناس من عمر بن الخطاب - رضي الله عنه.

وحكى الحسن البصري كيف رأى سعادة الرعية بعثمان، وقد شاهد كيف كان يوزع على الناس - بحظوظ وافية - الأعطيات والكساء والسمن والعسل والطيب من المسك والعنبر وغيره، والعدوان منفيّ، والأعطيات دارّة، والخير كثير، وما على الأرض مؤمن يخاف مؤمناً، من لقي في أي البلدان فهو أخوه وأليفه وناصره.

ولكن رؤوس فساد وشر وفتنة كانت هامدة اتقاء حزم عمر وصرامته وشدته في الحق انتهزت سماحة عثمان ورحمته ورفقه وسعة صدره لتؤدي دورها الخبيث ورسالتها الخسيسة في الجزيرة والأمصار الإسلامية.

ومن الأمصار... زحفت الفتنة

وفي الأمصار بدأ التآمر الخفي من السبئية وأعداء الإسلام ومن يستثمرون المواقف والهنات لنفعهم ومصلحتهم، فأشاعوا أن ولاة عثمان يسيرون أمورهم بالظلم والعدوان والجبرية وبلغت هذه الشكايات أهل المدينة فأتوا عثمان وقالوا له: يا أمير المؤمنين، أيأتيك من الناس ما يأتينا؟ فقال: ما جاءني إلا السلامة وأنتم شركائي وشهود المؤمنين، فأشيروا عليَّ، قالوا: نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم.

فدعا محمد بن مسلمة، فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبدالله بن عمر إلى الشام، وفرق رجالاً سواهم فرجعوا جميعاً قبل عمار، فقالوا: ما أنكرنا شيئاً أيها الناس، ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم. واستجابة لصوت العدل كتب رسالة موحدة الصيغة إلى أهل الأمصار نصها:

«أما بعد فإني آخذ عمالي بموافاتي كل موسم، وقد رفع إليّ أهل المدينة أن أقواماً يُشتمون ويُضربون، فمن ادعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم يأخذ حقه حيث كان مني أو من عمالي، أو تصدقوا، فإن الله يجزي المتصدقين».

ومع ذلك زحفت جموع الشاغبين من الأمصار إلى المدينة مئات وألوفاً، وكان على المصريين عبدالرحمن بن عديس البلوي، وعلى البصريين حكيم بن جبلة العبدي، وعلى الكوفيين الأشتر النخعي، وانضم إليهم أعداد كبيرة من الأعراب طمعاً في مغنم.

وفي المدنية كما يروي ابن الأثير في الكامل «تكلموا مع طلحة والزبير وعليّ في عزل عثمان على أن يقوم بالخلافة واحد منهم، وكان هوى أهل مصر في علي، وهوى أهل الكوفة في الزبير، وهوى أهل البصرة في طلحة، ولكن الثلاثة رفضوا، ونهروهم جميعاً، واشتدوا عليهم في القول.

عثمان يفند ما اتهموه به ...

وأخذ رجال الفتنة الذين زحفوا إلى المدينة يشيعون عن عثمان أكاذيب وأباطيل يضخمونها وينفخون فيها محاولين إقناع الناس بعزله، وكلها اتهامات غريبة لا تجرّم ولا تدين، وجعلوا منها مسوغات لضرورة عزله وإلا قَتْله، فأخذوا عليه :

١ ـ أنه أتم الصلاة في السفر، وحقها القصر.

٢ ـ وأنه حمى الحمى، أي احتكر مراعي لإبل الصدقة.

٣ ـ وأنه جعل القرآن واحداً بعد أن كان كتباً متعددة.

٤ ـ وأنه رد الحكم إلى مكة بعد أن نفاه رسول الله ﷺ .

٥ ـ وأنه استعمل الأحداث الذين لا خبرة ولا دراية لهم بالحكم والإدارة.

٦ ـ وأنه أعطى عبدالله بن أبي السرح خمس خراج أفريقيا.

٧ ـ وأنه يحب أهله ويعطيهم ويحابيهم.

٨ ـ وأنه أعطى الأرض رجالاً لايستحقونها.

وتصدى عثمان لهذه التهم يفندها واحدة واحدة، وقد طلب منه أهل المدينة سنة ٣٥هـ، قبيل حصار داره أن يبادر بقتل رؤوس الفتنة الذين يتآمرون عليه فخطب فيهم قائلاً:

بل نعفو ونقبل ونبصّرهم بجهدنا ولا نحاد أحداً حتى يركب حدًّا أو يبدئ كفراً، إن هؤلاء ذكروا أموراً قد علموا منها مثل الذي علمتم، إلا أنهم زعموا أنهم يذاكرونيها ليوجبوها عليّ عند من لايعلم.

وقالوا: أتم الصلاة في السفر، وكانت لا تتم، ألا وإني قدمت بلداً فيه أهلي، فأتممت لهذين الأمرين، أو كذلك؟ قالوا اللهم نعم.

وقالوا: وحميت حمى، وإني والله ما حميت حمى قبل، والله ما حموا شيئاً لأحد ما حموا إلا غلب عليه أهل المدينة، ثم لم يمنعوا من رعية أحداً واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع، ثم ما منعوا ولا نحو منها أحدا إلا من ساق درهماً، وما لي من بعير غير راحلتين، وما لي ثاغية ولا راغية وإني قد وليت وإني أكثر العرب بعيراً وشاء، فمالي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجي، أكذلك؟ قالوا اللهم نعم.

وقال: كان القرآن كتباً، فتركتها إلا واحداً، ألا وإن القرآن واحد، جاء من عند واحد، وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء، أكذلك؟ قالوا: نعم، وسألوه أن يقيلهم.

وقالوا: إني رددت الحكم وقد سيره رسول الله ـ ﷺ ـ والحكم مكيٌّ، سيره رسول الله ـ ﷺ ـ من مكة إلى الطائف، ثم رده رسول الله ـ ﷺ ـ فرسول الله ـ ﷺ ـ سيره، ورسول الله ـ ﷺ ـ رده، أكذلك؟ قالوا: اللهم نعم.

عثمان رضي الله عنه كتب عدداً من رسائل الاستغاثة والاستصراخ وهو محصور في بيته قرابة أربعين يوماً

وقالوا: استعملت الأحداث، ولم أستعمل إلا مجتمعاً محتملاً مرضياً، وهؤلا أهل عملهم، فسلوهم عنه، وهؤلاء أهل بلده، ولقد ولى من قبل أحدث منهم، وقيل في ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ أشد مما قيل لي في استعماله أسامة، أكذلك؟ قالوا: اللهم نعم، يعيبون للناس ما لا يفسرون.

وقالوا: إني أعطيت ابن أبي سرح ما أفاء الله عليه، وإني إنما نفلته خُمس ما أفاء الله عليه من الخمس، فكان مئة ألف، وقد أنفذ مثل ذلك أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك، فرددته عليهم وليس ذاك لهم أكذلك؟ قالوا: نعم.

وقالوا: إني أحبّ أهل بيتي وأعطيهم، فأما حبي فإنه لم يمل معهم على جور، بل أحمل الحقوق عليهم، وأما إعطاؤهم فإني أعطيهم من مالي، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي، ولا لأحد من الناس، ولقد كنت أعطي العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالي أزمان رسول الله ـ ﷺ ـ وأبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وأنا يومئذ شحيح حريص أفحين أتيتُ على أسنان أهل بيتي، وفني عمري، وودعت الذي لي في أهلي، قال الملحدون ما قالوا: وإني والله ما حملتُ على مصر من الأمصار فضلاً فيجوز ذلك لمن قاله، ولقد رددته عليهم، وما قدم عليَّ إلا الأخماس، ولا يحلُّ لي منها شيء، فَوليّ المسلمون وضعها في أهلها دوني، ولا تبلغت من مال الله بفلس فما فوقه، وما أتبلغ منه ما آكل إلا مالي.

وقالوا: أعطيت الأرض رجالاً، وإن هذه الأرضين شاركهم فيها المهاجرون والأنصار أيام افتتحت، فمن أقام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله، ومن رجع إلى أهله لم يُذهب ذلك ما حوى الله له، فنظرت في الذي يصيبهم مما أفاء الله عليهم فبعته لهم بأمرهم من رجال أهل عقار ببلاد العرب فنقلت إليهم نصيبهم، فهو في أيديهم دوني.

ومع وضوح حجة عثمان رضي الله عنه، وخوفاً من استفحال الفتنة وهو البريء خطب في الناس بما فيهم المتمردون ما يسمى بخطبة التوبة وقد جاء في آخرها:

فأنا أول من اتعظ، استغفر الله مما فعلت، وأتوب إليه، فمثلي نزع وتاب، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم، فليروني رأيهم، فوالله لئن ردني الحق عبداً لأستنن بسنة العبد، ولأذلن ذل العبد، ولأكونن كالمرموق، إن مُلِكَ صبرْ، وإن عتق شكر، وما عن الله مذهب إلا إليه، فلا يعجزنّ عنكم خياركم أن يدنوا إليَّ، لئن أبت يميني لتتابِعَنّي شمالي.

الرسالة القاتلة

وبعد هذه الخطبة، وبعد أن وعد عثمان رضي الله عنه المتمردين بتحقيق ما يطلبون وذلك حقناً للدماء بدؤوا يخرجون إلى بلادهم، ولكن بعد مسيرة ثلاثة أيام، عاد المصريون إلى المدينة مرة أخرى، وكذلك عاد أصحابهم الآخرون الذين توجهوا إلى البصرة والكوفة، وعلل المصريون رجوعهم بأنهم في طريقهم إلى مصر قبضوا على أحد عبيد الصدقة، ومعه رسالة موجهة إلى والي مصر نصها :

«من عثمان إلى واليه في مصر: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإذا قدم عليك عبدالرحمن بن عُديس، فاجلده مئة جلدة، واحلق رأسه ولحيته، وأطل حبسه حتى يأتيك أمري، وعمرو بن الحمق فافعل به مثل ذلك، وسودان بن حمدان مثل ذلك، وعروة بن النباع الليثي مثل ذلك».

وهناك روايات أخرى لهذه الرسالة منها:

«إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاحْتَلْ في قتلهم، وأبطل كتابه، وقره على عملك حتى يأتيك رأيي، واحبس من يجيء إليَّ يتظلم منك، ليأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله تعالى».

وهناك رواية ثالثة للرسالة يطلب فيها عثمان رضي الله عنه من عامله قتل هؤلاء الثورا وقطعهم، وصلبهم.

وإذا نظرنا إلى هذه الرسالة نظرة فاحصة تبين لنا أنها مزورة، وأن عثمان بريء منها:

١ ـ فالرسالة على قصدها، وردت لنا بروايات متعددة مما يشكك فيها.

٢ ـ والغلام الذي قيل إنه كان يحمل هذه الرسالة من عثمان إلى عاملة على مصر عبدالله بن أبي السرح قيل إنه «غلام إبل الصدقة» وإبل الصدقة ـ كما يقول محب الدين الخطيب ـ ألوف كثيرة لها مئات من الرعاة، وإن صح أنه من رعاة إبل الصدقة، فهؤلاء لكثرتهم وتبدلهم دائماً بغيرهم لا يكاد يعرفهم رؤساؤهم، فضلاً عن أن يعرفهم أمير المؤمنين، وكبار عماله وأعوانه، ومع افتراض أنه من رعاة إبل الصدقة فما أيسر أن يستأجره هؤلاء البغاة لغرض من أغراضهم، وقد ثبت أن الأشتر النخعي، وحكيم بن جبلة ـ وهما من قادة البغاة المتمردين ـ قد تخلفا في المدينة عند رحيل أصحابهم عنها مظهرين اقتناعهم بأجوبة عثمان وحججه.

وينتهي محب الدين الخطيب ـ رحمه الله ـ إلى أنه في مدة تخلف الأشتر وحكيم بن جبلة بالمدينة ثم تدبير الرسالة وحاملها للتذرع بهما في تجديد الفتنة ورد الثوار.

٣ ـ ولم يكن هذه أول رسالة أو آخر رسالة تزوّر في عهد عثمان، فقد أصبح تزوير الرسائل وسيلة من وسائل السبئية أتباع «عبدالله بن سبأ» وأعداء عثمان لخلعه وإحداث الفتنة.

وممن كان له أثر شديد في وضع الكتب على ألسنة أمهات المؤمنين محمد بن حذيفة، وكان يتيماً في حجر عثمان بن عفان، فلما شب سأل عثمان أن يوليه، ولكن عثمان رفض، لأنه غير جدير بالولاية، فطلب منه الخروج ليطلب ما يقوته فقال له: اذهب حيث شئت، وجهزه من عنده، وحمله وأعطاه، فلما نزل بمصر تغير عليه، ودعا إلى خلع عثمان ـ رضي الله عنه ـ وحرّض على عثمان بكل شيء يقدر عليه، فكان يكتب الكتب «الرسائل» على لسان أزواج رسول الله ـ ﷺ ـ ويأخذ الرواحل «الإبل» فيضمرها، ويجعل رجالاً على ظهور البيوت، ووجوههم إلى وجه الشمس لتلوح وجوههم تلويح المسافر، ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة بمصر، ثم يرسلوا رسلاً يخبرون بهم الناس ليلقوهم، وقد أمرهم إذا لقيهم الناس أن يقولوا: ليس عندنا خبر، الخبر في الكتب «أي في الرسائل التي نحملها»، فيجيء رسول رسول أولئك الذين دس، فيذكر مكانهم، فيتلقاهم ابن أبي حذيفة، والناس يقولون: نتلقى رسل أزواج رسول الله ـ ﷺ ـ فإذا لقوهم قالوا لهم: ما الخبر؟ قالوا: لا خبر عندنا عليكم بالمسجد ليقرأ عليكم كتاب أزواج النبي ـ ﷺ ـ فيجتمع الناس في المسجد اجتماعاً ليس فيه تقصير، ثم يقوم القارئ بالكتاب فيقول: إنا نشكو إلى الله وإليكم ما عمل في الإسلام، وما صنع في الإسلام، فيقوم أولئك الشيوخ من نواحي المسجد بالبكاء، ثم ينزل عن المنبر، ويتفرق الناس بما قرئ عليهم.

بالحجة والقوة والشواهد الواقعية فند عثمان رضي الله عنه ما اتهمه به البغاة . . . لكن

ويروى أن مروان بن الحكم قال لعائشة ـ رضي الله عنها ـ هذا عملك، كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج على عثمان؟!! فقالت: والذي آمن به المؤمنون، وكفر به الكافرون، ما كتبت إليهم بسواد في بياض حتى جلست في مجلسي هذا.

٤ ـ والمعروف أن رجال الفتنة بعد أن عاهدهم عثمان رضي الله عنه على الحق والعدل وحسن السيرة، بدأوا ينصرفون إلى بلادهم التي جاؤوا منها، والمعروف أنهم ساروا إلى بلادهم من طرق مختلفة: إلى مصر، وإلى الكوفة، وإلى البصرة، وبعد أن قطعوا مراحل ذات عدد عاد المصريون بحجة هذا الكتاب المزعوم، وعاد أهل الكوفة وأهل البصرة كذلك.

وقد كشف سرّ المؤامرة علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ فسأل أهل مصر: ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ قالوا أخذنا مع بريد كتاباً يقتلنا... وقال الكوفيون والبصريون نحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعاً، فقال لهم علي: كيف علمتم يا أهل الكوفة، ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتم مراحل ، ثم طويتم نحونا؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة، قالوا: فضعوه كيف شئتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا.

٥ ـ وهناك معيار مهم جداً في نقض هذه الرسالة وهو خلق عثمان

ذي النورين، فالرجل لم يكن من طبيعته الغدر أو الكذب، والرجل كان مسالماً يكره سفك الدماء، حتى أن رجال فتنة لما حرقوا أبواب داره وهمَّ أصحاب عثمان بالقتال والدفاع عنه قال «لا يحركن رجل منكم يده، فوالله لو كنت أقصاكم لتخطوكم حتى يقتلوني، ولو كنت أدناكم ما جاوزوني إلى غيري، وإني لصابر كما عهد إلى رسول الله - ﷺ - لأصرعنَّ مصرعي الذي كتب الله عزَّ وجلَّ.

فمسألة الكتاب هذه - كما يقول صادق عرجون - لا تخرج عن أحد فرضين لا ثالث لهما.

الفرض الأول: ألا يكون هناك بريد بكتاب قط، وإنما هي أكذوبة افتروها لينفذوا بها إلى ما يبتغون، فافتعلوا ذلك الكتاب بالمدنية، وتصايحوا به في طرقاتها اعتماداً على اندفاع العامة نحو الإشاعات، وقد يؤيد هذا الفرض قول علي بن أبي طالب لما التقى بهم بعد رجوعهم: هذا أمر أبرم بالمدينة.

والفرض الثاني: أنه كان هناك كتاب مع بريد، وفيه من العظائم ما زعموه، ولكن هذا الكتاب لم يكتبه أحد غير الثائرين، فهم الذين ائتمروا، ونقشوا على خاتم عثمان، وهم الذين سرقوا جملاً من إبل الصدقة، وهم الذين أغروا غلاماً لعثمان أو لمروان، وهم الذين أبردوا بهذا الكتاب مع الغلام الأسود في طريق محمد بن أبي بكر وأصحابه، ليقطعوا عليه طريقه بوقوع الكتاب في يده قبل أن يصل إلى مصر فيثور مع الثائرين.

كان يستطيع أن يقتل جموع البغاة في المدينة ولكنه آثر أن يموت مظلوماً ولا يعيش ظالماً

الحصار... والشهادة

وحاصر البغاة دار عثمان - ﷺ - وظلوا يحاصرونه أربعين يوماً، ومنعوه من الصلاة بالمسجد، ومنعوه الماء والطعام، فأرسل عثمان إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - سراً وإلى طلحة والزبير وأزواج النبي - ﷺ - «إنهم قد منعوني الماء، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا ماء فافعلوا»، فكان أولهم إجابة علي بن أبي طالب، وأم حبيبة زوج النبي - ﷺ - ووجه علي كلامه إلى البغاة :

«إن الذي تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين، ولا أمر الكافرين، فلا تقطعوا عن هذا الرجل الماء ولا المادة «الطعام» فإن الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقي» فرفضوا، وأهانوا أم حبيبة وضربوا بغلتها حين أرادت أن تدخل على عثمان بإداوة فيها ماء.

ويذكر الطبري أن عثمان ﷺ كتب عدداً من رسائل الاستغاثة والاستصراخ، وهو محصور في بيته قرابة أربعين يوماً: فكتب إلى معاوية، وإلى يزيد بن أسد بن كُرزْ، وإلى أهل الشام، وكتب إلى عبدالله بن عامر أمير البصرة، وكتب إلى أهل الأمصار:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإن الله - عزَّ وجل - بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، فبلّغ عن الله ما أمره به، ثم مضى وقد قضى الذي عليه، وخلف فينا كتابه، فيه حلاله وحرامه، وبيان الأمور التي قدّر، فأمضاها على ما أحب العباد وكرهوا، فكان الخليفة أبو بكر - رضي الله عنه - وعمر - رضي الله عنه - ثم أدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملأ من الأمة، ثم أجمع أهل الشورى عن ملأ منهم ومن الناس عليّ، على غير طلب مني ولا محبة، فعملت فيه ما يعرفون ولا ينكرون، تابعاً غير مستتبع، متبعاً غير مبتدع، مقتدياً غير متكلف.

فلما انتهت الأمور، وانتكث الشر بأهله بدت ضغائن وأهواء على غير إجرام ولا ترة فيما مضى إلا إمضاء الكتاب، فطلبوا آمراً وأعلنوا غيره بغير حجة ولا عذر، فعابوا عليَّ أشياء مما كانوا يرضون، وأشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها، فصبّرت لهم نفس، وكففتها عنهم منذ سنين، وأنا أرى وأسمع، فازدادوا على الله عز وجل جرأة، حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله - ﷺ - وحرمه وأرض الهجرة، وثابت إليهم الأعراب، فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأحد إلا ما يظهرون، فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق.

وفي أواخر عام ٣٥ هـ أمَّر عثمان على الحج عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - وحمله كتاباً طويلاً جداً يستنجد فيه بأهل الموسم... وأمره أن يقرأه على الناس في الحج وجاء في آخره:

فإني أنشدكم بالله والإسلام ألا تأخذوا إلا الحق وتعطوه مني، وترك البغي على أهله، وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله عز وجل، فإني أنشدكم الله سبحانه الذي جعل عليكم العهد والموازرة في أمر الله فإن الله سبحانه قال وقوله الحق: (وأفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً) الإسراء:٣٤، فإن هذه معذرة إلى الله ولعلكم تذكرون.

أما بعد: (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم) يوسف:٥٣.

وإن عاقبت أقواماً فما أبتغي بذلك إلا الخير، وأني أتوب إلى الله عز وجل من كل عمل عملته واستغفره إنه لا يغفر الذنوب إلا هو، إن رحمة ربي وسعت كل شيء، إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضالون، وإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون وأنا أسأل الله عز وجل أن يغفر لي ولكم، وأن يؤلف قلوب هذه الأمة على الخير، ويكرّه إليها الفسق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها المؤمنون والمسلمون».

آخر الاستغاثات

وبُعيد ذلك بعث عثمان رسالة استغاثة أخرى كانت هي الأخيرة مع نافع بن طريف إلى أهل مكة ومن حضر الموسم سنة ٣٥هـ، فوافاها يوم عرفة وابن عباس يخطب الناس ونص الاستغاثة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله عثمان أمير المؤمنين إلى من حضر الحج من المسلمين.

أما بعد: فإني كتبت إليكم كتابي هذا، وأنا محصور أشرب من بئر القصر، ولا آكل من الطعام ما يكفيني، خيفة أن تنفد ذخيرتي فأموت جوعاً أنا ومن معي، لا أدعى، إلى توبة أقبلها، ولا تسمع مني حجة أقولها، فأنشد الله رجلاً من المسلمين بلغه كتابي إلا قدم عليَّ، فأخذ الحق فيّ، ومنعني من الظلم والباطل».

ولكن تم قضاء الله، واقتحم البغاة دار عثمان وقتلوه قتلة سيئة، ولاقى ربه شهيداً يوم الجمعة ١٨ من ذي الحجة سنة ٣٥هـ، رحم الله عثمان بن عفان ذا النورين. ■

د. محمد عبدالمنعم خفاجي

أيها التاريخ !!

● ١ ●

هجرةٌ مثّلتْ جهادَ نبيٍّ
وأمين على الهدى مهدي

هجرةٌ فيها عبقرية إلها
مٍ، ووحيٌ لمرسل نبويّ

وبها كل عزة وجلال
للرسول المكرَّم اليعربيِّ

صار للمسلمين فيها وللإسـ
ـلام فخرٌ على الزمان القصيِّ

ولها في التاريخ أشرف ذكر
ولها فيه كلُّ مجد عليٍّ

● ٢ ●

هجرةٌ كانت للرسالة فتحاً
ولدين الله العظيم السني

أحمد والصديق وحدهما في
موكب فذٍّ خالد علْوِيِّ

وقريشٌ من خلفهم، أمة تـ
ـتبع آثار موكب عبقريِّ

موكب سار، سار فيه نبيّ
مرسل، أكرِمْ بالرسولِ النبيِّ

بالبشير النذير طه وأعظم
بخطا ذياك الأمين الوفي

● ٣ ●

هجرةٌ مزّقت قناع الدياجي
وأعزّت نفس الفقير الشقيِّ

إنها النور هجرة المصطفى كلُّ
جلال من مجدها القدسيِّ

إنها الصفحة المضيئة في التا
ريخ تهدي إلى الهدى كل حيِّ

«غار ثور» شهدت أعظم مجد
وشهدت التاريخ جدَّ غنيِّ

فالعلا والفخار لابن لؤيٍّ
والمنى والجلال لابن قصيِّ

قد أضاء الزمانَ حقٌّ وعدلٌ
بهما جاءت شرعةُ الهاشميِّ

فبها تنعم الشعوب وتحيا
أمة الإسلام العظيم الأبيِّ

قد أتى النورُ من حراء جليلاً
ونبيلاً في صبح يوم زكيِّ

في ضحى مشرق وضيءٍ سريٍّ
قد أتى بالدين الوضيء السرى

وأتى العالمين عصرٌ جديدٌ
فيه بالدين عزَّ كلُّ شقيِّ

إنه الوحي، إنه الحق والقر
آن يُوحى لأحمد العربيِّ

المنى فيه والسنا والهدى، والـ
ـخير منه وكلُّ عبق رضيِّ

ولجبريل في حراء دويٌّ
ظل يصغى الورى لهذا الدويِّ

أيها التاريخ اروِ عن أحمد النو
رِ وجبريل والنداءِ العليِّ

إنه الإسلام العظيم، فلا فخـ
ـر ولا عزةٌ لغير التقيِّ

كان من قبله الإخاء خيالاً
ليس أعرابي أخا الأعجمي

قبله كانت المساوةُ وهما
ذاك بكريٌّ ليس بالتغلبيِّ

قبلة كانت الشعوب حيارى
خيرها للدخيل والأجنبيِّ

إنه الدين إنها هجرةُ الها
دي الرسول المشفَّع المهديِّ

لا ورب الجلال إني عييٌّ
وبياني يا قومُ جدُّ عييِّ

لا تلمني أنا الذي لمتُ شعري
ولقد كان قبلُ جدَّ ثريِّ

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami
العدد 401
محرم 1420 هـ
أبريل / مايو 1999 م

2

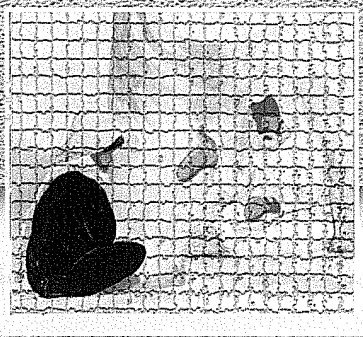

الأسرة المسلمة

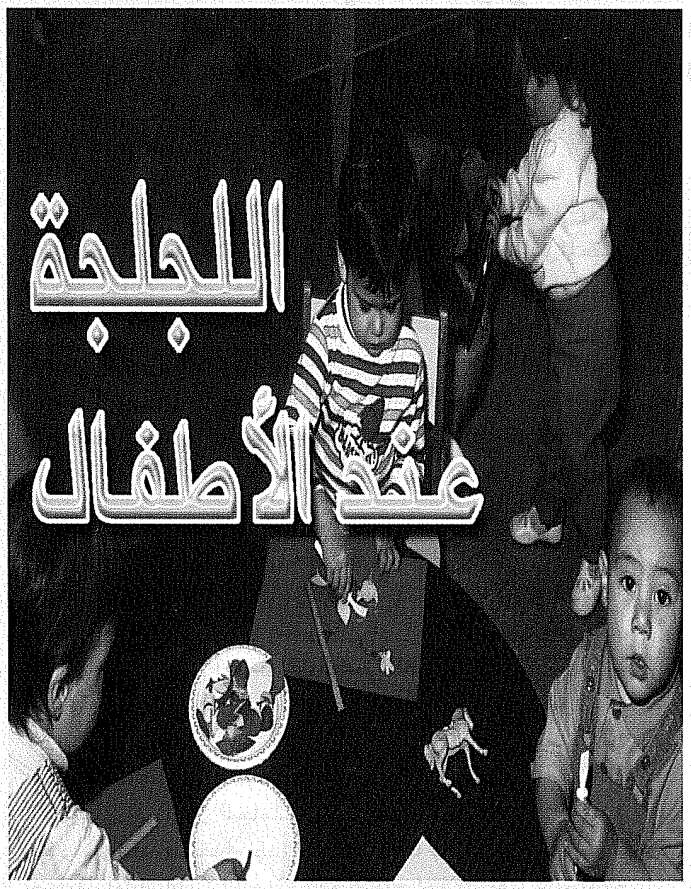

اللجلجة عند الأطفال

لو كانت زوجتي ضدي !

من استطاع منكم الباءة فليتزوج

لم أعد أستطيع السيطرة على ولدي

هل العقاب والثواب وسيلتا إصلاح تربوي ؟

وجعل بينكم مودة ورحمة

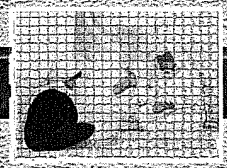

بقلم: معتز ياسين الموقت

ميثاق عظيم

وجعل بينكم مودة ورحمة

نشرت مجلة العلوم (١) مقالا عن السعادة (٢) جاء فيه: (أن الاستثناءات القليلة للشعور بالسعادة المعقولة (٣) - الواردة في التقارير العالمية - تضم المدمنين على الكحول الذين يعالجون في المشافي (٤). وإذا ما عقدنا مقارنة - والكلام لكاتبي المقال - بين أشخاص محبين للانعزال عن الناس وبين آخرين اجتماعيين (لهم أصدقاء حميمون)، وجدنا أن الأخيرين هم أوفر صحة واحتمال وفاتهم في سن مبكرة أقل.

ومن بين الفوارق القليلة الثابتة بشأن السعادة، يلاحظ الفارق بين المتزوجين والذين لم يتزوجوا قط. وتشير بيانات أخرى إلى أن المطلقين أقل سعادة من الزمرتين السابقتين (٥). ويرى أكثر من تسعة أشخاص من كل عشرة أن الزواج هو أهم وأنجع بديل للعيش وحيداً. ومع احتمال أن تفضي العلاقات الزوجية المحطمة إلى قدر كبير من البؤس والتعاسة، فإن الزواج الناجح هو - على ما يبدو - مصدر قوي من مصادر تحمل متاعب هذه الحياة. ففي عقدي السبعينات والثمانينات من هذا القرن، افاد ٣٩ بالمئة من المتزوجين البالغين العاملين في مركز بحوث استطلاع الآراء القومي أنهم «سعداء جداً»، مقارنة بما نسبته ٢٤ بالمئة في صفوف أولئك الذين لم يسبق لهم الزواج إطلاقا. وفي استبيانات أخرى لم يذكر إلا ١٢ بالمئة فقط من المطلقين والمطلقات أنهم «سعداء جدا». علما أن الفارق في مقدار السعادة بين المتزوجين والذين لم يتزوجوا قط كان متماثلا بالنسبة للرجال والنساء (٦).

ومن ناحية أخرى، قال الملتزمون دينيا إنهم أيضا يتمتعون بسعادة غامرة. وقد وجدت إحدى الدراسات التي أجرتها منظمة غالوب أن نسبة «السعداء جداً» بين الملتزمين دينيا تقارب ضعفي نسبة أولئك الذين يحتمل أن يعتبروا أنفسهم «سعداء جداً» بين من هم أقل التزاما دينيا في سلوكهم الحياتي. وتوصلت دراسات أخرى - من بينها دراسة شارك فيها ١٦ بلدا وشملت ١٦٦٠٠٠ فرد - إلى أن الإبلاغ عن السعادة والرضا بالحياة يزداد كلما اشتدت قوة الانتماء الديني وتكررت ممارسة الشعائر الدينية ممارسة جماعية. ويرى بعض الباحثين أن الالتزام بالدين في المسلك اليومي يؤدي بالمرء إلى زيادة دعمه لمجتمعه وزيادة إحساسه بالأمل).

«وأفاد احصاء اجري اخيرا أن حياة «العزوبية» تضر بالصحة. فقد كشف استبيان اجراه مركز الاستطلاع الوطني في بريطانيا وشمل ألف عازب تتراوح أعمارهم بين ٢٦ و ٤٥ عاما، أن غير المتزوجين أقل سعادة وصحة من المتزوجين. كما أوضح الاستطلاع أن غير المتزوجين يميلون إلى الإفراط في شرب الكحول والتدخين وتناول الوجبات السريعة، وهي أمور تضر بالصحة الجسمية والنفسية. ويضيف الأطباء النفسيون أن غير المتزوجين لا يحصلون على المساندة المعنوية والاجتماعية والصحية التي يحصل عليها المتزوجون من شركاء حياتهم الذين يوفرون لهم بيئة تشجعهم على السلوك الصحي وتحميهم من الاكتئاب»(٧).

إذاً، يبدو من الدراسات الطبية والاحصاءات الاجتماعية أن الأمراض النفسية - كالكرب (الشدة النفسية) stress والاكتئاب depression - أكثر حدوثا بين العزاب منه بين المتزوجين. وتعزى بعض أسباب ذلك إلى الحياة المنظمة التي يحياها المتزوج، مع ما يوافق حياة الزوجية من شعور بالمسؤولية.

ولكن السبب الرئيس في ذلك «الطمأنينة» التي يحدثها الزواج الذي يعد من أهم المشاركات البشرية. فالزواج لا يؤمن فقط إرضاء الحاجات الغريزية، بل يؤمن أيضا مختلف الحاجات التي يؤدي فقدها إلى الإخلال بالشخصية. فشعور أحد الزوجين بأنه موضع تقدير واهتمام ومحبة ومودة من الشريك الآخر، يوجد لديه الطمأنينة. والأهم من هذا وذاك مواجهتهما مصاعب الحياة معا والمشاركة الوجدانية في حلها وبث كل منهما همومه للآخر، وهذا أحد أهم أساليب العلاج النفسي الحديث! ألا يدع الطبيب مريضه يبوح بكل ما في نفسه ويخرج كل ما في داخله من خبايا وهموم وأشجان؟ أما الأعزب فمن له إذا لم يجد الصديق الصدوق؟!

الإسلام حل المشكلات الزوجية بالتعاليم الدينية والتربية الخلقية السلوكية في البيت والمدرسة والمسجد وأجهزة الإعلام

وعند الرجل - يضاف إلى ذلك - التخلص من الوحدة وإرضاء عاطفة الأبوة، وعند المرأة الشعور بالطمأنينة المادية (الاقتصادية) وإرضاء عاطفة الأمومة، وجميع ذلك يشيع الرضا الكامل في النفس.

ولكن إصابة الشخص بالمرض العقلي أو النفسي قبل زواجه، ينقص جدا ما ينتظره في الزواج من طمأنينة، بل لا يستطيع ذو الشخصية المحدودة والحال الوجدانية المضطربة أن يتلاءم مع الوضع الجديد الذي يفرضه الزواج، ومنها تنشأ مشكلات نفسية واجتماعية كثيرة.

أما المشكلات الزوجية فالإسلام حلها بالتعاليم الدينية والتربية الخلقية السلوكية في البيت والمدرسة والمسجد وأجهزة الإعلام (من تلفاز وإذاعة وصحافة)، فتراه يصالحها هو مرة وهي مرة، هو يحلم عند غضبها وهي تحلم عند غضبه، وإن لزم الأمر تدخل أهله وأهلها بالإصلاح بينهما والعدل؛ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» (٨)، وفي رواية أبي حاتم المزني قال رسول الله ﷺ : «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد. قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه. قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، ثلاث مرات» (٩).

ويمكننا أن نضع عشرين خطأ تحت قوله ﷺ : «فتنة في الأرض وفساد عريض».

[ولهذا فإن الإسلام رغّب بالزواج وحض عليه باكرا ما امكن، وخطط لتذليل العقبات دونه.. ولاسيما غلاء المهور والإسراف في النفقات، ثم أوجب اختيار الزوج ذي الدين (أي صاحب الوجدان والضمير الحي كما يقولون) وذي الخلق (أي المتحلي بالسلوك الاجتماعي القويم).

والغالب أن يدل الخلق السوي على نفس سوية، يقول تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (١٠)، ومدح أولياءه المؤمنين بأنهم يسألونه الزوجة والذرية الصالحة فقال سبحانه: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما) (١١).

وقال رسول الله ﷺ مخاطبا الشباب: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (١٢)، واستطاعة الباءة هي القدرة على القيام بحقوق الزوجية، كالنفقة مثلا؛ وإلا فالصوم له وجاء ووقاية، أي إضعاف للنفس يؤدي إلى تخفيف الشهوة مع دوام المراقبة لله عز جل بعبادة الصيام.

غير المتزوجين يميلون إلى الإفراط في شرب الكحول والتدخين وتناول الوجبات السريعة وهي أمور تضر بالصحة الجسمية

وقال عليه الصلاة والسلام: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة» (١٣)، وقال عليه الصلاة والسلام حاضا على تيسير مؤونة الزواج وأسبابه: «أن من أعظم النساء بركة إيسرهن صداقا» (١٤)، وقال ﷺ : «خير الصداق أيسره» (١٥).

ولقد شجع الإسلام على نكاح غير المتزوجين من ذوي الصلاح ولو كانوا فقراء، يقول تعالى: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) (١٦)] (١٧). ؟■

الهوامش:

١ - «السعي وراء السعادة»، العدد ١٠، سنة ١٩٩٦، وهذه المجلة هي النسخة العربية المترجمة عن المجلة الأميركية «سيانتيك أميركان».

٢ - مؤلفا هذا المقال ديفيد مايرز وادينبر يدرسان السعادة منذ ما يزيد على عشر سنوات، مايرز هو أستاذ علم النفس في كلية هوب في ميتشيغان ومؤلف كتاب «السعي وراء السعادة» من السعيد ولماذا؟ المنشور العام ١٩٩٢م، أما دينر فهو أستاذ علم النفس في جامعة إلينوي، وتتركز أعماله الحالية على الفوارق الثقافية في السعادة الشخصية والتكيف مع أحداث الحياة.

٣ - بمعنى: لا يملكون مقداراً مقبولاً من السعادة.

٤ - العدد السابق ص ٢٨.

٥ - العدد السابق ص ٣٠.

٦ - العدد السابق ص ٣٣.

٧ - عن صحيفة الرأي العام الكويتية.

٨ - الترمذي باب النكاح/ ١٠٠٤.

٩ - الترمذي باب النكاح/ ١٠٠٥، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وأبو حاتم المزني له صحبة ولا نعرف له عن النبي - صلى الله عليه وسلم - غير هذا الحديث.

١٠ - سورة الروم: ٢١.

١١ - الفرقان: ٧٤.

١٢ - رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود.

١٣ - رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وابن ماجه وصححه البيهقي في السنة، وقال الهيثمي: إسناده حسن.

١٤ - رواه البيهقي في السنة الكبرى.

١٥ - رواه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي.

١٦ - النور: ٣٢، والأيامى جمع أيم، من لا زوج له، ذكراً أو أنثى.

١٧ - الطب الوقائي في الإسلام، د. عادل بربور وآخرون، ص ١٧٦.

بقلم: محمود عزي بن حسن

هل العقاب والثواب وسيلتا إصلاح تربوي؟

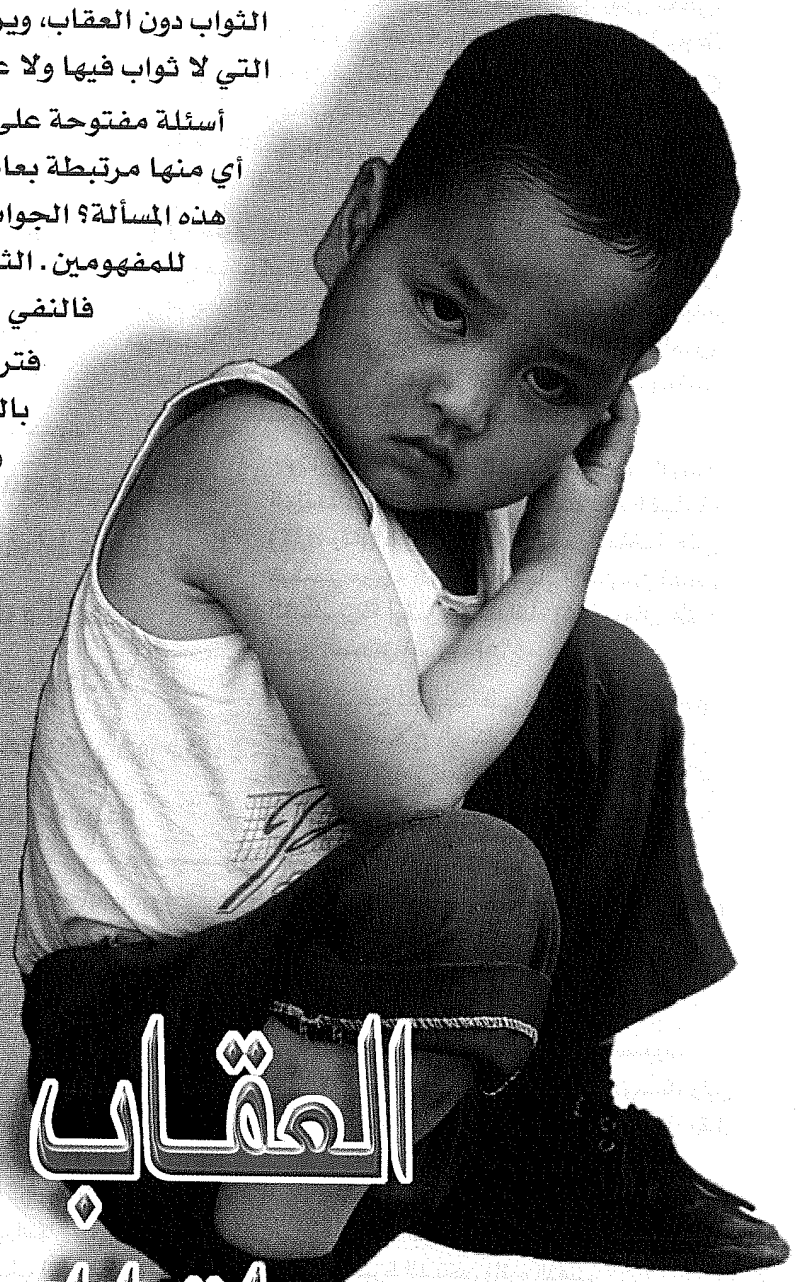

الآراء تتضارب بين أوساط المربين والمختصين، فريق يعتقد أنه يجب الإكثار من العقاب والإقلال من الثواب، وآخر يرى الإكثار من الثواب والإقلال من العقاب، وثالث يجزم بضرورة الثواب دون العقاب، ويرجح الرابع أن التربية الحقيقية هي التي لا ثواب فيها ولا عقاب.

أسئلة مفتوحة على بساط البحث وترجيح الكفة لصالح أي منها مرتبطة بعامل الزمن... ولكن ما موقف التربية من هذه المسألة؟ الجواب: كتب ومقالات تحوي أفكاراً للمفهومين. الثواب والعقاب. إلى المرض الشامل لهما، فالنفي القاطع.

فتربية الطفل لا يمكن أن تتكامل إلا بالتعاون المثمر بين البيت والمدرسة والمجتمع، والتعاون السليم بين هذه الأقطاب الثلاثة يؤدي حتماً إلى إعداد المواطن الصالح الذي قال فيه رب العالمين: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) التوبة :٤

صدق الله العظيم.

فالأسرة هي المهد الأول لنشأة الطفولة المبكرة، وأن مجمل علاقاتها تنعكس سلباً أو إيجاباً على سلوك أطفالها في أبسط علاقاتها وإيماءاتها الحيوية، فالأطفال كائنات إنسانية ذات عواطف وانفعالات وحاجات تحيا، تسرّ، وتتألم... مجموعة من القوى التي يجب صيانتها لتبقى حية تنمو وتعمل بنشاط وفعالية ضمن أسرها المتعددة الأنماط. فذكريات الطفولة هي العامل الأكبر في تكون شخصياتهم المستقبلية، وإن السنوات الخمس الأولى هي التي يعول عليها في أن يكون رجل المستقبل في الناس شجاعاً صادقاً أو مارقاً ضئيل الشأن محدود القوى، وتجارب هذه السنوات وذكرياتها تظل في الخفاء وتبقى ماثلة في اللاوعي. فلا شيء يضيع في النفس، والذاكرة تحتفظ بجميع الآثار التي علقت بها من تجارب الماضي وانفعالات الطفولة بكل ما فيها من نواة وإكراه أو تعامل ومحبة، فإذا احترمنا في الطفل إنسانيته سيشب على احترام نفسه ويحتفظ بطابع الاحترام للآخرين في الإقامة، وإن رأيناه كتلة من السخافات فسيكون حزمة من التفاهات.

ومن هنا كان التوازن في المعايير السلوكية تجاه الأطفال كالثواب والعقاب من صميم الحياة التربوية الحسنة، ثم الاعتدال في المعاملة وإشعار الطفل بالعطف والتقدير ومنح الحرية لرغباته الأساسية أو الاعتماد عليه في أداء الواجبات كنوع من المسؤولية واللجوء إلى التسامح والتواضع في المعاملة من صميم التربية الناجحة، فالحياة الأسرية مليئة بالواجبات البسيطة والالتزامات العادية وكثيراً ما يتعرض الطفل في سن طفولته المبكرة لأداء بعض منها كأوامر صادرة إليه يفسرها بمضمونه البسيط كعقاب ضمني، فيعمد إلى تنفيذها تحت ستار من الكبت تظهر ردود أفعالها في حياته المستقبلية ثم التشبث بأقواله. ومن الخير أن نحول هذه الأوامر إلى مطالب توحي ولا تقيد «كقولنا إن التخفف من الملابس مفيد عند النوم فمن يسبق منكم الآخر»، وأن ما يميز الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة ميلهم الكبير إلى الحركة والنشاط وإحداث الضجيج المستمر والصخب ثم الثرثرة المتواصلة لحد الانفعال. الأمر الذي يثير حفيظة الأهل بإعادة الهدوء إلى جو البيت بالتلميح أو الإكراه، «فالصخب والانفعال من دعامات شخصية الأطفال وكل حياة تقوم على السكينة والهدوء جامدة لا تقر شيئاً... أما الحياة الصاخبة المتفجرة بالحماسة والتفاعل فهي عميقة تتصل بالحياة بوجهها العابس والمشرق، واستخدام أساليب قمع الحيوية والتفاعل والغضب بأساليب جبرية تزيد من حدتها وتخرجها من قاعدتها. وكل ما ترجوه من حالات الغضب أن ندع أطفالنا يتقبلون المضايقات بأدب ويستقبلون التعاون بلطف والنصح بوعي وأن يؤجلوا مطالبهم عن رضى، فالأولاد ثمرة الحياة بهم تحيا المنازل وتغمر جوانبها الغبطة والسرور وكل جهد في سبيلهم محبب وكل غناء في تحصل أرزاقهم يطيب ويعذب، نسهر لينامو في رضى وبشر، ونتعب ليشبعوا ما تعاقب الليل والنهار، نحوطهم من مزالق الحياة بالمهج والأرواح، لأن حياتهم امتداد لحياتنا، وحين سأل موسى عليه السلام ربه «أي الأعمال أحب إليك؟ قال: «إلطاف الصبيان فإنهم فطرتي، فإذا ماتوا أدخلتهم جنتي» صدق رب العالمين فهم ودائع ينبغي أن ترعى وأمانات لا يشتغل بملاذه وشهواته عنها إلا من فسدت فطرته وخلف دينه واستوجب الجحود في خريف العمر حين يتطاول إلى بر الأولاد وصلى الله على من قال «رحم الله والداً أعان ولده على بره».

وأبعد الناس عن شرف الأمومة تلك التي تضيق ذرعاً فتسرف في زيارات لا فائدة منها ويدعن أغلى كنوزهن للخدم يصنعون بهم ما يريدون ولنا في رسول الله أسوة حسنة حين تدخل عليه فاطمة الزهراء فيقوم لها ويأخذ بيدها ويقبلها ثم يجلسها مكانه، وكان يحمل أمامة بنت زينب «ابنته» وهو يصلي الفريضة، فإذا سجد وضعها وإذا قام رفعها، هذا الدستور النبوي النابع من صميم الحكمة الإلهية يقر بلا منازع مكانة الطفولة السامية والأخذ بالرفق واللين والتعاطف الحاني في بذل فيض المحبة والاعتناء الكبير لهذا النشء البكر كواجب إلهي وسمو خالد لا جدال فيه، فلنحسن تربيته وإعداده للحياة كما في قوله صلى الله عليه وسلم «من حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه وأدبه وكنيته وأن يعفه إذا بلغ، وأن يعلمه كتاب الله والسباحة والرمي»، فالإكراه والعنف وسائل مرفوضة كعملية تربوية وغرس الفضائل والسجايا الحميدة ضرورة تربوية ملحّة وواجب ديني ودنيوي لإعداد جيل متسلح بالخلق الكريم والبنية القوية، وما أكثر ما يترامى إلى الأسماع من أنباء تفاهة بعض الأبناء وانحرافهم عن الصواب في كثير من وجوه الحياة ومنبع ذلك الأسرة الفاسدة التي اتخذت اللامبالاة والإكراه أسلوب تعامل، حيث التمرد والعصيان في نهاية المطاف لتكون الثمرة الفاسدة التي تعطب شرايين الحياة الاجتماعية برمتها.

فالعطف والرعاية الصحيحين من صميم التربية الحسنة، والتحمل والصبر للأسرة الناجحة صفة بارزة للأب الرؤوف وللأم الرؤوفة، وثوابها كبير عند الله عز وجل، قال صلى الله عليه وسلم: «من كنّ له ثلاث فصبر على لأدائهن - وضرائهن «بما يسببنه من هموم ومتاعب» وسرائهن أدخله الله الجنة برحمته إياهن. فقال رجل واثنتان يا رسول الله قال: واثنتان، قال رجل: يا رسول الله وواحدة. قال وواحدة» المنذري ج٣ ص ٦٨ - ٦٩.

فالتوجيهات الرشيدة منذ بكرة الصبا أمنع سياج لجيلنا الصاعد ممن لا يجدون الرعاية بل الإهمال الأسري... ويأتي دور المدرسة كعامل فعّال في ترسيخ مبادئ الخلق والمعرفة لدى الأطفال خلال سيرتها الزمنية الطويلة نسبياً. فمدرسة القرون الوسطى تبنت مفهوم الطاعة العمياء، كهدف أسمى وسلاحها التربوي «العصا» كعقوبة جسدية دائمة. وفيما ظهرت مدارس أخرى، تبنت مفهوم الحرية وفضلت العقاب الخفيف، «عقوبات مهنية «ارتداء القناع - الوقوف في آخر الصف، الجلوس في غرفة مظلمة»، وأما الثواب لديها «مزايا وهدايا وشهادات تقدير»، وأما الهدف من وراء ذلك، هو إثارة روح التنافس، مما فرز مجموعتين من الطلاب «مطيعة ومحبوبة - وعصبية ومزاجية» حيث أخلّت بمبدأ التوازن بين «العقاب والثواب».

وهذا التقسيم الطفلي لا يمكن إلا أن يكون وسيلة قسر وتفريق بين الأطفال وزرع مشاعر الخوف والشماتة، وأنه يجب نسف هذا المفهوم الأخلاقي السلبي.

ومن المفضل أن يسعى المربي لأن يصبح العقاب والثواب غير ضروريين «د. أوشنسكي» لأن فكرة التربية الصحيحة هي التي تخلو

من كلا المفهومين لتكون العلاقات المتبادلة في تناغم مثالي بين المدرّس والتلميذ اللذين يسعيان إلى هدف واحد هو معرفة الخير والجمال وعلى المعاقب أن يهدف إلى إبعاد العقاب. وعن مفهوم الثواب والعقاب كوجهين لعقل واحد هو «التحفيز». وأكد بعضهم إلى وحدة وظائفهما كوسيلتي تربية في ضم الأحاسايس المرضية وغير المرضية فلا يجوز ممارسة إحداهما دون الآخرى، لأنه في مثل هذه الحال تحصل أحادية مختلفة لأحاسيس مُتشابهة «فارماكوفسكي»، فالثواب يدفع الطفل للقيام بمجهود ويعطيه دفعاً نحو جهود جديدة، والنشاط ذاته والجهود العملية تعتبر حافزاً أساسياً، والعقاب يستخدم لكبح جماح السلوك غير المرغوب فيه للمساعدة في إبقاء الطفل ضمن معيار معين للمطاليب وكلما كانت المعايير الأخلاقية المعممة موجودة بشكل أكثر، كلما كان المربي والجماعة الطفلية المنبثقة من المدرسة صارمين في استخدام الثواب والعقاب.

والشروط الأهم لتصور الحافزية الذاتية في استخدام الثواب والعقاب يعتبر التزام المرء بالحدود المرعية، ومن الصعوبة القول: إن الأكثر ضرراً في التربية «الإطراء - استخدام الثواب المفرط والإدانة المفرطة اللتين تستخدمان بشكل يومي كتأثيرات عادية على التلاميذ، فإن الثواب والعقاب كوسيلتي تربية يخالف عكساً كثافة استخدامهما ويجب اللجوء إليهما إذا ما فرضت الحالات المعقدة التي تتميز بضوررة إحداث تغيرات في حقوق وواجبات التلاميذ ضمن الجماعة الطفلية وفي علاقاتهم المتبادلة.

ويتجلى المضمون الأخلاقي لكلا المفهومين من خلال علاقات الطفل المتنوعة والتي تميز هذه الحال أو تلك بالإشارة إلى العلاقات بين المربي والأطفال وبين الأطفال ذاتهم ومواقفهم من هذا النشاط أو ذاك. المنظم للعملية التربوية. ومواقفهم من أنفسهم وتتجسد في التقويم الذاتي والحالات النفسية الداخلية، فالبنية السيكولوجية لكلا المفهومين تستأثر بكل النشاطات والفعاليات النفسية الأساسية للشخصية المتكونة، وأن بلوغ النتائج التربوية المنشودة والمجال الدافعي والانفعالات والوعي والنشاط والمواقف التي تظن خلالها معتمدة على مهارة المربي الشخصية والعمرية لضبط مواقف التلاميذ انفعالياً في كل حالات الثواب والعقاب وأن يأتي التعرف على أنواع وأشكال العقاب والثواب والتدابير الإجرائية لكل منها، كضرورة منهجية وتربوية لفهم حالات الحياة المختلفة وخلق تصور وتدابير أكثر نموذجية لدى المربين والمختصين كعينات انتقاء ودمج لتكوين السلوك الأفضل لدى المراهقين والأطفال.

إذ ينخرط المربون في علاقات رفاقية متبادلة ووثيقة وتعامل ودي كقيمة ثمينة خلاّقة وتقارب روحي من خلال العلاقات السامية مع التلاميذ... ونشير هنا إلى بعض التلاميذ ومن يسيؤون بسلوكهم إلى المدرسة والجماعة الطفلية باتباع إجراءات سلوكية تربوية من مثل:

١ - التنبيه في صيغة الاحترام الرسمي وبشكل صارم.

٢ - الإخراج من الصف إذا تصرف التلميذ بسلوك غير ناضج مهين للمدرس والجماعة.

٣ - الإنذار كتدبير قصاصي وإدانة أخلاقية وخاتمة لمناقشة الإدارة والمجلس التربوي.

٤ - النقل إلى مدرسة أخرى إذا كان التدبير سيؤدي إلى نتيجة تربوية.

٥ - الفصل في حالات عدم الانصياع وبخاصة للبالغين والجانحين منعاً واتقاء من التمادي في الإساءة.

ولما كانت المدرسة امتداداً مهماً مثمراً لتفكير تربوي وعملي معترف به فإن مناهجنا المدرسية وأساليب التوجه فيها أكثر ارتباطاً بعمليات الحياة وحاجاتها من أي وقت مضى - الآن - وقد قدر لهذا أن ينمو ويزدهر خلال التجارب الناجحة المستمرة التي تجري في جميع مستويات الحياة وميادين التعليم وجميع قطاعات المجتمع سواء كان محلياً أو إقليمياً أو دولياً.

والحاجة التربوية الملّحة لمواجهة مشكلات المجتمع «كالجهل والجشع والاستهتار والتأخر الاقتصادي والحضاري عموماً مسائل عصرية مطروحة أمام جيل المستقبل وعليه مواجهتها!

وبتنمية الرغبة النابعة والإحساس العميق بالمسؤولية التي ينبغي أن يتحملها كل منهم ثم تزويدهم بالمعارف والمهارات التي يحتاجون إليها في العمل والحكم الصائب وكيفية تخطي الصعوبات التي يواجهونها في الميدان الاجتماعي ثم التدريب على نواحي النشاط المثمر الخلاّق في الجماعة المدرسية وتنمية روح الولاء المطلق للعمل الديموقراطي المنظّم وتطبيقاته بروح بعيدة عن القسر والإكراه ونابعة من الولاء القائم على الإدراك والبصيرة تجاه مجتمعهم لوقف التيار الجارف لكثير من النماذج الغازية الفاسدة، والتصدي لها كمسؤولية تربوية وطنية.

الآراء ووجهات النظر تتفق من حيث المبدأ - حتى وقتنا الحاضر - على إقامة التوازن بين مفهومي العقاب والثواب كأولية تربوية ومسؤولية أخلاقية والرعاية التامة بتربية النشء كواجب إنساني محض وضرورة حضارية لجيل المستقبل.

هذا المبدأ أقرته الشرائع والقوانين العصرية، وأن أحادية الأخذ بجانب واحد تخل بعملية النمو السليم وتعكس آثارها السلبية في المستقبل. ثم فكرة رفض المفهومين بالأساس من العملية التربوية من منطلق الالتزامات والواجبات الطفلية أمر يصعب تداركه في مراحل الطفولة المبكرة... هذا ومازالت التجارب والبحوث الميدانية تسعى جاهدة في طرح بدائل مختلفة كخيارات عملية دون أن تستقر على رأي معين أو ترجيح الكفة لصالح أي طرف. ■

المصادر:

١ - العلاقة بين الآباء والأبناء: د. عدنان سبيعي - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - سلسلة الثقافة الشعبية.

٢ - آباء وأبناء: المؤلفان: كامل بنقسلى - خالد قوطرش. - مطبعة الجمهورية.

٣ - الإسلام والأسرة: تأليف: معوض عوض إبراهيم - دار النشر للجامعيين - سلسلة الثقافة الإسلامية.

٤ - المدرسة والمجتمع: أدوار أولسن. ترجمة: أحمد زكي - مؤسسة المطبوعات الحديثة - القاهرة.

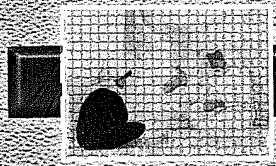

بقلم: محمد رشيد العويد

حتى لا نفقد السكن

لو كانت زوجتي ضدي!

قال شقيق البلخي لامرأته: «لو أن أهل بلخ كلهم معي، وأنت عليَّ، ما قدرت على حفظ ديني»

ما أعظم هذه العبارة، وما أوجزها، وما أبلغ دلالاتها، وما أحسن ما تعنيه من أهمية وظيفة المرأة في الحياة وخطرها وأثرها!

وأحسب أنها لسان حال كثير من الرجال، لسان حال القائد العسكري: «لو أن الجند كلهم معي، وأنت عليَّ، ما قدرت على حفظ ديني»، ولسان حال الطبيب: «لو أن كل من في المستشفى من أطباء وممرضين معي، وأنت عليَّ، ما قدرت على حفظ ديني»، ولسان حال المدرس: «لو أن جميع طلابي وتلاميذي معي، وأنت عليَّ، ما قدرت على حفظ ديني»، ولسان حال المهندس: «لو أن جميع من يعمل عندي من مساعدي مهندسين وعمال... معي، وأنت عليَّ، ما قدرت على حفظ ديني»... وهكذا كل رجل في الحياة، لا يقدر على حفظ دينه، إذا كان كل من يعمل عنده، وتحت إمرته، يقف معه... لكن زوجته تقف ضده.

أرأيت أهمية ما توفرينه من سلام في البيت، ودوره في حفظ دين زوجك، بل دينك ودين أولادك أيضاً؟!

كل من هو خارج البيت، بل كل من في العالم، لايمكن أن يساعدوا زوجك على حفظ دينه... كما يمكن أن تساعديه أنت على ذلك.

وإذا لم ينجح الرجل في حفظ دينه، فلا أمل يُرجى في حفظ غير دينه أيضاً، فقد يهمل في عمله، أو يضعف في أداء مهامه، أو يخفق في التقدم فيه، أو في الحياة كلها.

أليس الرجل الذي يحفظ دينه هو الذي يحفظ سرّ بلده، ويتقن عمله، ويحفظ حقوق العبادة»؟!

أليس الرجل الذي يحفظ دينه هو الذي يقوم بالخلافة التي جعله الله تعالى لها في الدنيا... كما أمره سبحانه ورسم له؟

ومن ثمَّ، أليس من حق المرأة أن تكون شريكة في كل نجاح يحققه زوجها في الحياة؟ لأنها هي التي وفَّرت له السلام البيتي والنفسي... الذي ساعده على تحقيق ذلك النجاح!

وكذلك، فقد تكون المرأة شريكة في كل إخفاق يلحق بزوجها في الحياة، لأنها جعلت البيت ميداناً لمحاربة زوجها، وتنغيص عيشه!.

أعود فأقول: إن هذا يزيدنا إدراكاً لما أراده النبي - ﷺ - في قوله: «فاظفر بذات الدين تربت يداك»، فلولا أنها وفّرت له السلام في البيت، والطمأنينة في النفس، والراحة في الجسم والأعصاب، لما قام بما يقوم به، أو لما أتقن القيام بما يقوم به من حفظ لدينه، وأداء لعمله، ولهذا كان لها من الأجر على ما يقوم به الرجل، مثل ما له تماماً.

وأرى أن نقف عند هذا المعنى المهم الوقفات التالية:

أولاً: للمرأة المسلمة، بعد هذا، أن لا تبخس عملها في رعاية زوجها وتربية أولادها، وفي توفيرها جو الأمان والاطمئنان في بيتها، لأن هذا العمل، معادل عند الله تعالى، لما يقوم به الرجل خارج البيت، مهما كان عظيماً، ومهما كانت آثاره كبيرة، كما أن ثوابها عليه مساوٍ لثواب الرجل على عمله، حتى لو كان عبادة مثل الجمع والجماعات، أو حتى جهاداً في سبيل الله بالسيف والسنان.

ثانياً: ليس للرجل، زوجاً كان أو غير زوج، أن يحقّر من عمل المرأة في البيت، كأن يقول: «ماذا تفعلين أنت... تطبخين؟ المطاعم زاخرة بما لذّ وطاب! تغسلين الثياب وتكوينها؟! بدراهم قليلة أغسل ثيابي وأكويها في أي محل يغسل ويكوي على البخار... أحسن غسيل وأحسن كي!».

هذا التجريد لعمل المرأة بخس له، وتقليل من شأنه، بفصله عما تقوم به المرأة عامة في البيت.. مما يوفر في مجموعه سكناً للرجل لا يجده إلا في بيت ترعاه زوجته أو أمه أو أخته.

ثالثاً: أرجو ألا أكون مخطئاً إذا رأيت - قياساً على ما سبق - أن من حق المرأة أن تحصل على نصف ما يحصل عليه الرجل من أجر على عمله خارج البيت، أو ما يحققه من ربح في تجارته، ما دامت تحصل على ثواب مساوٍ لثواب الرجل على ما يقوم به من عبادة وجهاد.

لكنني أستدرك فأقول: إنه مادام الرجل ينفق على زوجته، ولا يبخل عليها مما آتاه الله من فضله، ويوفر لها ما ترغب فيه وتشتهيه من وجْده وملكه، فإنه كمن يعطيها نصف ما يناله من أجره، أو يحصل عليه من مرتب، أو يحققه من ربح. ■

بقلم: أشرف سعد

اللجلجة عند الأطفال

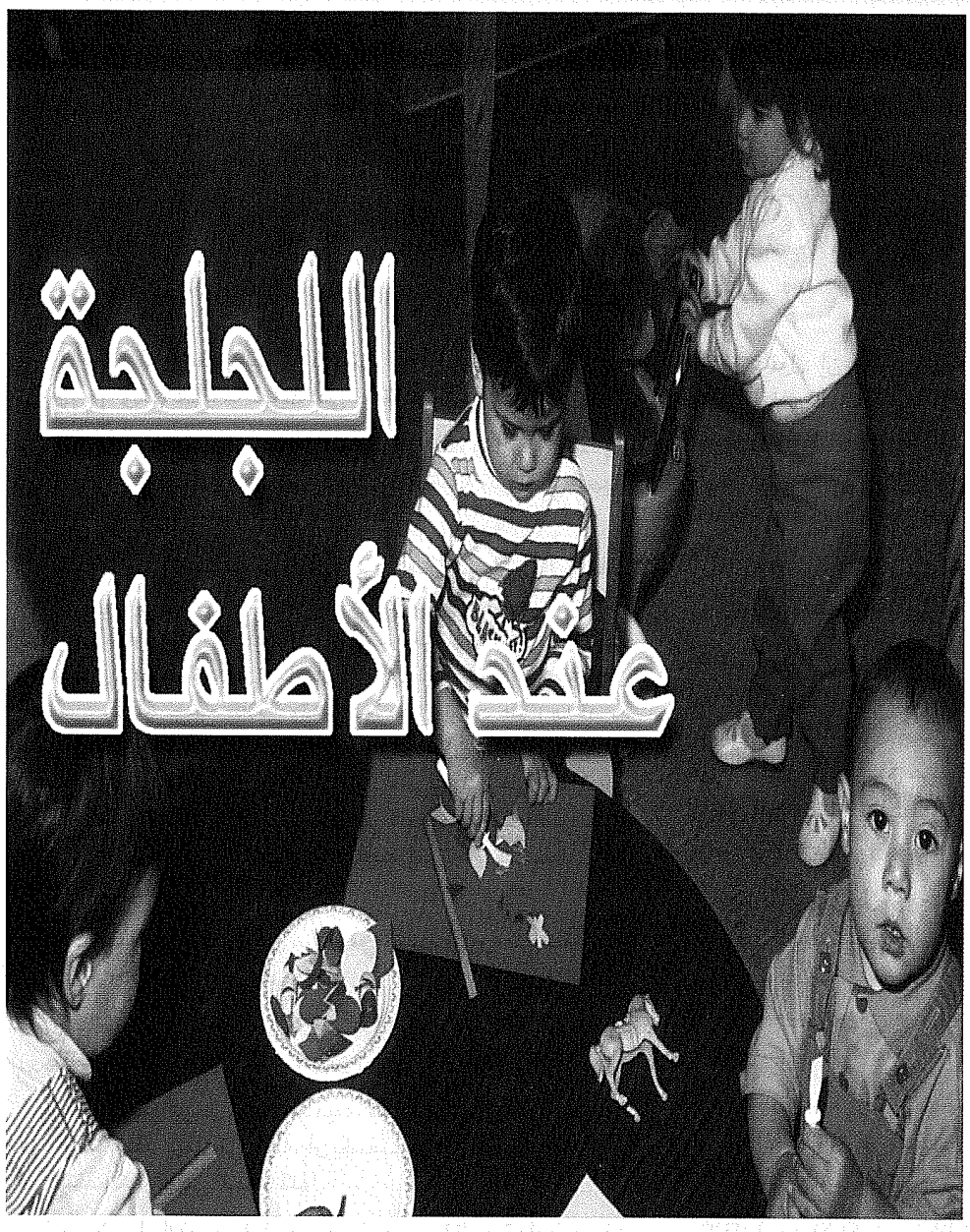

لاشك أن النطق من أهم وسائل الاتصال الاجتماعي، ومن ثم فإن أي عطل فيه يعوق صاحبه من أداء واجبه ويؤثر في نموه الفردي الاجتماعي.

واللجلجة اضطراب في إيقاع الكلام وطلاقته يتميز بالتوقف والتكرار أو الإطالة في الأصوات أو الكلمات، والطفل الذي يعاني من هذه المشكلة يعرف ما يقوله تماماً، ولكن تحدث له إعاقة في النطق يصعب ملاحظتها.

أعراض اللجلجة:

- الميل إلى التكرار حيث يكرر الطفل بعض المقاطع أو الكلمات وأحياناً بعض الحروف ويكون ذلك مصحوباً بالتوتر النفسي.
- الإطالة ... يطيل الطفل المصاب باللجلجة في كلامه، وفي نطق الحروف الساكنة وهذا أهم ما يميزه.
- الإعاقة... ويبدو فيها الطفل عاجزاً عن إنتاج الصوت بالرغم من المجاهدة الكبيرة للتغلب على ذلك.
- الاضطرابات الحركية وهي من المظاهر المصاحبة للجلجة في رموش العينين، وارتفاع حدة الصوت وارتعاشات حول الشفاه كما تحدث حركة لا إرادية لليدين أو الرجلين.

١ - الأسباب النفسية التي تؤدي إلى اللجلجة.

يعاني الأطفال المتلجلجون من مقادير في اضرابات الشخصية وسوء التوافق الانفعالي والقلق والشعور بالإحباط.

٢ - الأسباب الاجتماعية.

من العوامل التي تساعد على ظهور اللجلجة الخلافات الأسرية وشعور الطفل بأنه غير متقبل من جانب أفراد أسرته.

وأحياناً تبدأ اللجلجة عند بدء التحاق الطفل في المدرسة، وبذلك تكون المدرسة في بعض الأحيان هي السبب في ظهور اللجلجة عند بعض الأطفال، وذلك يرجع لعدم ملاءمة المواد الدراسية لقدراته العقلية أو لعدم مقدرته على مسايرة زملائه في التحصيل الدراسي، ويزيد الخوف من التوتر النفسي عند الطفل ويكون السبب وراء ظهور اللجلجة، كما يساعد على ظهورها توبيخ الطفل أمام زملائه في الفصل إذا أخطأ في إجابة على بعض الأسئلة.

٣ - الأسباب العضوية.

يرى «فان رايبر» أن الأسباب العضوية في مجملها عبارة عن أسباب استعدادية، وأكد بعض علماء النفس أن اللجلجة ترتبط بالوراثة وهي توجد في بعض العائلات في أجيالها المتعاقبة مما يوحي بأنها وراثية.

ومن ذلك يتضح أن اللجلجة ظاهرة مركبة. وتختلف أسباب اللجلجة من طفل إلى آخر، ولكن تتداخل الأسباب معاً وهي نتاج لعوامل كثيرة.

كيف نتصرف إزاء الطفل المتلجلج؟

- يجب أن نجعل الطفل يثق بنفسه ويثق بمقدرته في التخلص من عيوبه.

- تقليل التوتر النفسي ببث الطمأنينة في نفس الطفل نظراً لأنه يكون حساساً لعيوبه في النطق.

ويمكن تحقيق ذلك بخلق جو يسوده الحب والود والتفاهم والثقة المتبادلة.

- لا نوبّخ الطفل أنو نسخر منه، وذلك لأن اللوم والنقد يفقدان الطفل ثقته بنفسه ويؤديان إلى اضطرابه الانفعالي وشعوره بالنقص.

- عدم الإصرار على سرعة مخارج الحروف والكلمات من الطفل المتلجلج لأن ذلك يزيد من المشكلة ويعقدها.

- الاهتمام بالإصغاء لحديث الطفل المتلجلج وتشجيعه، فالطفل المتلجلج يجد في إنصات والديه ومعلميه إثباتاً لذاته ويزيد ثقته بنفسه.

- ينبغي عدم مقاطعة الطفل عند الحديث أو تصحيح ألفاظه عندما يتحدث. لأنه بنفسه بعد فترة سيدرك أخطاءه ويبدأ في تصحيحها.

- ترك الطفل يتحدث ويعبر عن نفسه ومشكلته حتى نقلل الضغط النفسي الموجود في داخله.

علاج اللجلجة

أولاً: العلاج النفسي

ويفضل البدء بالعلاج النفسي لتقليل التوتر النفسي عند الطفل وتنمية شخصيته وإشعاره بالأمان في البيئة التي يعيش فيها ويجب أن يساعد الوالدان الطفل في الاعتماد على نفسه وإشعاره بالحب والأمان لأن لذلك دوراً كبيراً في العلاج ومع ذلك نبعد عن التدليل حتى لا يحدث للطفل تثبيت لظاهرة اللجلجة.

ثانياً: العلاج العضوي

لابد من التأكد من أن الطفل لايعاني من أمراض عضوية تؤدي إلى حدوث اللجلجة، مثل اضطراب الأعصاب المتحكمة في الكلام أو إصابة، المراكز الكلامية في الفم بتلف، لذلك يجب علاج عيوب الجهاز الكلامي إذا كان السبب من الشفاه، فلربما يكون الطفل مصاباً بأرنبية الشفة وهو عيب خلقي وله تأثيره على الكلام، لذا يجب علاج هذا العيب الخلقي، ويرى فريق من علماء النفس أن من أهم الأسباب العضوية للجلجة هو عامل الوراثة، فمعظم المتلجلجين تنتقل إليهم اللجلجة عن طريق الأمهات.

ثالثاً: العلاج الكلامي

ويتلخص في تدريب المريض عن طريق الاسترخاء الكلامي والتمرينات الكلامية وتعليم النطق مع التدريج من الكلمات والمواقف السهلة إلى المواقف الصعبة، ثم تدريب المريض لتقوية عضلات النطق لدى الطفل المتلجلج.

رابعاً: العلاج البيئي

ويعتمد العلاج البيئي على توفير جو اجتماعي ينشأ فيه الطفل، وإدماجه في أنشطة اجتماعية وجماعية تدريجياً لتتاح له فرصة التفاعل الاجتماعي، ويعالج من خجله وانزوائه وعدم انسجامه الاجتماعي ويفضّل العلاج باللعب لأن الطفل من خلال لعبه يتكلم ويعبر عما يجول في داخله من انفعالات وإحباطات.

وعموماً يجب تعاون الآباء والمدرسة لخلق الجو النفسي الصالح لنمو الطفل في المدرسة والمنزل، وبذلك ننجح في علاج الطفل المتلجلج ونوفر له البيئة الصالحة لنموه. ■

الآبـاء والأبنـاء

قال الابن لأبيه: ماذا فعلت لي حتى أطيعك، الطاعة العمياء؟!

قال الأب لابنه: لقد أنجبتك، أتيت بك إلى هذه الدنيا، ردّ الأبن: ولأجل هذا تستبعدني!! عقّب الأب: من أجل هذا ستظل امتداداً لي..

اعترض الابن: مضى هذا الزمن، لن أطيعك إلا عندما أقتنع، أما زمن الآباء والأجداد، زمن الطاعة العمياء، فقد انتهى.

صاح الأب: لا... الزمن يسري في كياني وكيانك إنه ديمومة متدفقة.

صاح الابن: لا، نحن أبناء هذا الزمان، الزمان الذي يتحرك ويتقدم إلى الأمام ولن يتأخر أو يتقهقهر ويتراجع إلى الوراء ليعيد الدورة مرة ثانية.

قال الأب في حزن وأسى: لقد حملت هذه البذرة في النخاع سنوات، وعند ارتعاشة الجسد وضعتها في رحم الأرض الطيبة، رويتها بدمائي وعرقي وجهدي وصبري... نبتت ونمت وأينعت وازدهرت... وكنت أنت الثمرة المباركة التي كنت أحلم بأن تكون على شاكلتي، صورة صادقة للمستقبل الذي نأمله وامتداد لا ينقطع لي.

تنهد الأب بمرارة وواصل حديثه بصوت خافت كأنما يحدّث نفسه: الآن، عندما نطل على الحقيقة يتبدل ويتغير كل شيء... كل شيء.

قال مواسياً: محال أن تمسك بخيوط الزمان في يديك، فلن تطويه أو تجذبه لصالحك... وتتحكم في الأجيال اللاحقة، سيطويك الزمان، ويغيّر وجه الأرض ولون الثمرة وطعمها ومذاقها، يغيّر كل ما كنت تتوق أن يكون، كل ما عشت من أجله وكافحت في سبيله، فلن تكون الثمرة صورة مطابقة للصورة التي عاشت في ذهنك لسنوات، تحلم بأن تتحقق... لكن، لك زمانك ولنا زماننا.

سأل الأب ابنه في حيرة وذهول: والمستقبل المنشود؟!، أجاب الابن: لن يكون لنا... سيكون لثمرة أخرى مختلفة تماماً عن الثمرة التي أنتجتها أنت وبذلت فيها الجهد والعرق والصبر.

قاطعه الأبن متسائلاً: وماذا يربطني بك إذاً؟!. أجاب الابن: الحب.

ردد الأب: الحب، رغم كل هذا الاختلاف بيننا...؟!.

قال الابن: نعم، الحب المتبادل بيننا، ذلك الرباط الخفي... أقوى من الزمان، أقوى من كل شيء، هو الذي يربطنا جميعاً في أن نسير في الدرب الطويل نفسه، وأن نكون معاً، وكل واحد منا يمتلك زمانه، والويل لمن يحاول أن يمتلك كل الأزمان... فلن يحصد سوى الحسرات. ■

عبدالستار خليف

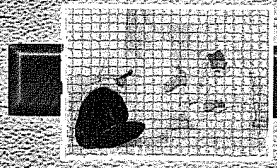

تحقيق: ناهد إمام

للغياب أسباب كثيرة منها طلب الرزق أو السفر أو مصاحبة الأصدقاء... وحينما يغيب الزوج فإن كل شيء في البيت يتجمد... بل إن رابطة الزوجية نفسها تتهدد ... فغياب الزوج وخصوصاً بسبب السفر يفرز نمطاً جديداً من التعامل داخل الأسرة بين الزوجين والأبناء... وفي كل الأحوال، فإن للغياب فاتورة باهظة يسددها الزوج... الزوجة... الأبناء «الخاسر الأكبر»!

فهل يهدِّد غياب الزوج وجود الأسرة؟ ولماذا تكون المشكلات الزوجية هي القاسم المشترك لغياب الزوج؟ وكيف يغير السفر و«الغربة» من الأزواج والزوجات؟ وما أثر ذلك على الأبناء والعلاقة المقدّسة بين الزوجين؟!

حصاد الغياب!

لايجتمعان!

«كل ذلك من أجل أولادي وأسرتي» هكذا بدأ محمود عبداللطيف «مهندس وصاحب أحد المشروعات الخاصة حديثه» قال: في بداية زواجي اكتفيت بعملي كمهندس، ولكن بعد أن رزقني الله بثلاثة أطفال، أحسست أنني بحاجة لزيادة موردي المالي لتغطية مصاريف أسرتي وتوفير حياة كريمة تليق بوضعي الاجتماعي والثقافي، ففكرت في مشاركة أحد زملائي في إدارة مشروع خاص، وتحدثت إلى زوجتي عن ذلك فشجعتني وتحمست، ودارت عجلة العمل، وحققت ربحاً فوق المتوقع، وسعدت بنجاح المشروع، ولكن على الجانب الآخر، نغصت سعادتي مع زوجتي حيث العمل المتواصل، ومن ثمَّ فأنا دائماً مقصّر ولا أجد سوى اللوم والتذمر والنكد، ومازلت حائراً

أسماء سمير: «سيدة في الثلاثين من عمرها» تقول: لا شك أن المال قوة وهو عصب الحياة، وخير قرار يتخذه رب الأسرة المسؤول هو تأمين المستقبل، ولكن هذا لا يعني إهمال الجانب الأسري والابتعاد عن البيت... إن زوجي يعمل ١٥ ساعة في اليوم وما أن ينتهي من ساعات دوامه الرسمية، حتى يلتحق بعمل آخر، ويكتفي بقضاء أحد أيام الأسبوع معنا، وكل يوم يعود مرهقاً، ثم يتشاجر معي لأتفه الأسباب... لا يستقبل ضيوفنا، ولا يتابع أولادنا، ويكتفي بدس المال في يديّ لأتصرف في تدبير أمور المنزل والأولاد... فهل هذه حياة أسرية رضية؟!

عصفور السعادة!

سلوى عبدالله «ربة بيت»: تقول: أتمنى لو يعلم الأزواج معنى الغياب عن المنزل... فالمرأة تنظر إلى زوجها على أنه كل حياتها، وتريده أن يبقى بجوارها، يطيِّب خاطرها، ويمسح بكفه عناء ومشقة ما تواجهه، وهي تسعى لإرضائه وإراحته، ولكنها تريده أن يشاطرها الحب، والحنان، والمودة، وترى في ابتسامته سعادة الدنيا، وهناءتها، فتربية الأبناء لا تنجح إلا بمشاركته، وشمل الأسرة لا يلتئم إلا بوجوده... فلماذا لا يعي الأزواج ذلك ولا يقدرون مشاعر زوجاتهم؟!

أساتذة الاجتماع: غياب الزوج من أكثر المشكلات انتشاراً في مجتمعاتنا وخطورتها في آثارها النفسية

نادر محمد علي: «مُدرِّس في العقد الرابع من عمره» يقول: اعترف أن عصفور السعادة قد غادر منزلنا إلى الأبد! نعم لقد أوشكت أن أفقد أسرتي وسعادتي، فهاهي زوجتي قد غادرت منزلنا إلى بيت والدها، وما ذلك إلا لأنني أردت أن أسافر للعام الثالث بعد أن سافرت عامين كنت أعود إليها لقضاء شهر الإجازة الصيفية، ولكن زوجتي كانت دائمة التذمر والغضب ، وصرحت لي بأنها ضاقت ذرعاً بحياتها معي، فماذا أفعل؟ هل أبقى مع أسرتي والعودة لسياسة ربط الحزام وشظف العيش؟ أم أسافر وستضمد الأيام جراح زوجتي عندما أعود إليها محملاً بالهدايا، ومحاولاً تأمين حياتنا، وتحقيق أحلامنا؟ ففي أيهما الهناءة؟ لا أدري!!

الحب وحده يكفي!

عماد فتحي: «طبيب شاب» يحكي تجربته فيقول: رزقني الله بطفلة جميلة بعد زواج دام ثلاث سنوات... واستطعت الحصول على فرصة عمل في الخارج، فسافرت وأهلي وربطت بيننا لذة الكفاح والحياة الواحدة

بآلامها وآمالها... ولم تكن الرحلة هنيئة، فقد كانت لها مشكلاتها إلا أنها سرعان ما كانت تذوب في بوتقة واحدة يصهرها الأمان والحاجة إلى رفقة الآخر.

أما سامية أحمد «زوجته» فتبادله الأفكار نفسها... تقول: لم أكن أشعر بسعادتي مع زوجي لولا تجربة السفر سوياً... فأنا وزوجي مرتبطان ببعضنا بعضاً ولا يستطيع أحدنا التخلي عن الآخر، وبمشاركته في الغربة أصبح كل منا دنيا الآخر ومنتهاه وبلسمه الشافي!.

حسن الصحبة... لا الوحدة

الداعية الإسلامي محمد حسين يقول: لا شك أن ابتعاد الزوج عن أهله يسبب الكثير من المتاعب، فهو رب الأسرة، ودرع حمايتها من الأخطار لمن يعيشون دائماً في ظله من زوجة وأبناء... ولكن «الغياب» أو الابتعاد هذا تختلف أشكاله فمن الزوجات ممن يشكين انصراف الزوج إلى الأصدقاء وإهمال المنزل والأسرة وهن في هذا محقات إذا ما تجاوز الأمر حدود المعقول، ومنهن من يشتكين غياب الزوج في سفر قد يكون للنزهة أو طلب العلم أو الرزق.

والحياة الزوجية لا تستقيم بالفراق وإنما بالوئام وحسن الصحبة والوحدة أمر غير شرعي إن كان اختياراً ونحن نعلم قصة المرأة التي سمعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه تنشد حين كان يطوف في أحياء المدينة :

ألا طال هذا الليل أسود جانبه
وأرّقني أن لا حبيب ألاعبه

فوالله لولا الله لا شيء غيره
لزُعزع من هذا السرير جوانبه

مخافة ربي والحياء يكفني
وإكرام بعلي أن تنال مراكبه!

فلما كان الغد استدعى عمر المرأة وقال لها: أين زوجك؟ فقالت: بعثت به إلى العراق!! فاستدعى عمر بعض النساء فسألهن: كم مقدار ما تصبر المرأة عن زوجها؟

عدم اكتمال بناء الأسرة طوال فترة سفر الزوج يؤدي إلى اختلاف في أسلوب الرعاية بالنسبة للأبناء

فقلن: شهرين، ويقل صبرها في ثلاثة أشهر، وينفد صبرها في أربعة، فجعل عمر مدة غياب الزوج أربعة أشهر إذا مضت أعيد إلى أهله ووجه بقوم آخرين! ولابد أن يعلم كل زوج أن لربه عليه حقاً، ولنفسه حقاً، ولأهله حقاً، فليعط كل ذي حق حقه، ولا يجعل أهله يفتقدونه لطول غيابه عنهم فتدركهم الوحشة والملل!

أما الغياب «المقنن» في حالة الاضطرار لطلب العلم أو التعبد أو الرزق بالإنفاق والتراضي بين الزوجين فتنصح الزوجة الصالحة بالصبر وهي مأجورة بأجره.

نصف أسرة!

الدكتور عبدالخالق عفيفي «عميد معهد الخدمة الاجتماعية» تحدث في هذا الموضوع قائلاً: من الضروري جداً أن يتفق الزوجان

الزوجات : غيابه لا يعوضه كنوز الدنيا ويؤثر على الأبناء الأزواج : نريد تحسين دخلنا وتأمين المستقبل

على أسلوب حياتهما، ويناقشا أمورهما بهدوء وعقلانية وتفهم ومشكلة غياب الزوج من أكثر المشكلات انتشاراً في مجتمعاتنا - بكل أسف - وعادة ما يصل طرفاها إلى طريق مسدود ما لم يكن الاتفاق والتنظيم أساساً لتعايش الزوجين.

ولعل أشد صور غياب الزوج ضرراً: هو غياب الزوج بسبب السفر إذ تنشطر الأسرة إلى نصفين، وتنشأ الكثير من المتاعب أبرزها التكيف مع الأوضاع الجديدة، وتغير شكل الإنفاق، لتغير قيمة الدخل، وما يرتبط به من إسراف أو بخل وتنازع في أوجه الإنفاق الأمر الذي يؤدي إلى اضطراب في البناء الأسري ما لم تتوحد الرغبات والتطلعات.

ويحذر الدكتور عفيفي من الآثار النفسية المترتبة على ذلك، فيقول: لا شك أن عدم اكتمال بناء الأسرة طوال فترة السفر يؤدي إلى اختلاف في أسلوب الرعاية والتوجيه وخصوصاً بالنسبة للأبناء ما يؤدي إلى فراغ عاطفي، ونفسي، واجتماعي بين الزوجين!.

و«الغربة النفسية» بين الزوجين هي أخطر ما يواجه الحياة الزوجية إذ تجف عواطف كل طرف تجاه الآخر، ويحدث فتور في العلاقة بينهما ويألف كل منهم حياة العزوبية، وعندما يعود لحياة الأسرة يكون من الصعب عليه ذلك، وقد لا نستطيع عندها إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل السفر.

لا... للتفكك الأسري !

الأستاذة رضا عبدالستار - باحثة تربوية - تقول: هناك بعض الرجال تدفعهم الدوافع المادية للغياب عن المنزل ولفترات طويلة وهذا، يدفعهم لإثبات ذواتهم، وتحقيق قيم شخصية لأنفسهم ومن ثمَّ يجدون من خلالها ذاتهم في النجاح بما كانوا يحلمون به... ولكن من المفترض أن يكون المنزل والزوجة والأبناء في المقام الأول، ينبغي أن يضعهم رب الأسرة نصب عينيه مهما تكلَّف ذلك من مشقة وعناء قد يتكبدهما إزاء محاولته التوفيق بين عمله وأسرته ففي النهاية سيجد المتعة في أن يكون النجاح الأسري حليفه، وينأى بها عن

التفكك والضياع.

وتؤكد الاستاذة رضا عبدالستار أن للرجل دوراً مهماً في تهيئة الأمور، وتوفير المناخ المناسب والصحي لحياة مشتركة مبدؤها التفاهم، والود، والتقدير حتى تسير عجلة الحياة، وينعم الزوجان بالاستقرار النفسي... ففي حال «الزوج المستهتر»، الذي يتغيب عن أهله وبيته من أجل السهر والأصدقاء والسمر والسفر من أجل النزهة فإنه لا لوم على الزوجة عندما تعلن احتجاجها وتذمرها لإهداره حقوقها، وتحاول أن تقوّم من أسلوب زوجها بالتأثير غير المباشر وبعيداً عن الانفعال أو التجريح ففي كل الأحوال ينبغي أن يحرص الزوجان على ألا تخسر الأسرة احترامها... وفي حال اضطرار الزوج للغياب فعلى المرأة الناضجة أن تتحمل قليلاً طالما هي واثقة من أنها تعرف زوجها جيداً، وأنه يفعل ذلك لتوفير السعادة لكل الأطراف.

الزوجات أكثر تضرراً

كشفت دراسة حديثة أن الزوجات هن الأكثر تضرراً بسبب غياب الأزواج وبخاصة في حال الغياب بسبب السفر إلى الخارج... إذ يُصبن بعدد من الأعراض المرضية، ويتخذ موقف الزوجة في شكله المرضي المتطرف صورة أعراض نفسية تتمثل في الاكتئاب والتوتر، والنسيان، والمخاوف المرضية، أو أعراض جسمية سيكوسوماتية تظهر في شكل اضطرابات في الجهاز المعوي، والتنفسي، وضغط الدم، وقد تكون هذه الأعراض متفاعلة مع ظروف أخرى راجعة إلى معاناة الزوجة من افتقاد الزوج «العاطفي الجنسي».

وأوضحت الدراسة أن غياب الزوج لتحقيق آمال اقتصادية للأسرة يجعل الزوجة تقع في صراع بين تعاطفها مع ما يتحمله الزوج من مشاق لأجل ذلك، وبين تذمرها ورفضها لغياب الزوج، وقد يتخذ هذا الصراع صوراً مرضية من بينها توجيه العدوان للذات، أو الإفراط في المبالغة في الاهتمام بأبنائها، أو الشعور بالذنب!.

هدية قديمة

كانت أول زيارة لمجلس الأخوات بعد انقطاع طويل بسبب مشاغل الحياة. استقبلني الجميع أحسن استقبال وكان حديثنا كعادته مليء بالخير اطمأننت منه على أخبارهن ثم ذكرن لي أنهن يحضرن درساً دينياً لإحدى الأخوات، وأشرن عليّ أن أحضر الدرس المقبل معهن وسأجد كل الخير والاستفادة، ولم أمانع بالطبع فقد كنت في شوق لمثل هذا... وفي الموعد المحدد ذهبت إلى المكان واتخذت مكاني في المجلس وحضرت الأخت وأخذت مكانها، وحدقت في وجهها فلم يكن هذا الوجه غريباً عني أبداً ولكني لا أتذكره، وتطلعت أكثر فأكثر وحاولت التذكر حتى بدأت الحديث فكشفت نبرات صوتها ستار النسيان عن ذاكرتي...

يا إلهي... إنها هي... هل يمكن هذا... منذ زمن بعيد لم نلتق... نعم منذ زمن بعيد جداً ولكني أتذكرها الآن جيداً لقد تغيّرت كثيراً تغيرت عن آخر لقاء بيننا بل تبدلت إني أتذكر هذا اليوم جيداً عندما جاءت لزيارتي في منزلي بعد زواجي مباشرة جاءت مهنئة، ولكني لم أسلم من سخريتها وتورياتها اللاذعة: عن تواضع منزلي وأثاث بيتي بالنسبة لبيتها، ومكانة زوجي بالنسبة لزوجها وثرائه، وعندما قلت لها إنني اخترت في زوجي الدين والصلاح وحسن الخلق لم تبد اقتناعاً وتصورت أنه مجرد ردّ على كلامها... لقد تغيّرت كثيراً عن ذلك اليوم حتى وجهها تغير لا أعني ذلك الأثر الذي تتركه السنون على الملامح وإنما أرى وجهاً يعلوه النور بدلاً من تلك المساحيق التي كانت تصبغ وجهها بكل لون، ويفوح منه الرضا بدلاً من أغلى العطور الفرنسية كم أزعجني يومها حديثها معي حتى أنني أخبرت زوجي عند عودته بما كان منها فحاول تهدئة غضبي وقال التمسي لها العذر فإنها تجهل معنى السعادة الحقيقية، واطلبي لها الهداية، ولكن كلمات زوجي لم تقلل من غضبي عليها وعلى طريقة حديثها معي، وتساءلت في نفسي، هل يمكن لمثل هذه المرأة أن تهتدي وتعرف طريق الحق؟ وهي التي تؤمن أن المرأة العربية لابد وأن تحاكي مثيلاتها الغربيات في الأخذ بمظاهر المدنية والتحضر والتحرر، حتى لو دفعها ذلك إلى التخلي عن حشمتها ومبادئها الدينية؟ تساءلت هل يمكن أن يأتي اليوم الذي تتأكد فيه من خطأ نهجها في الحياة؟ لقد كنا زملاء في الدراسة الجامعية ورغم الاختلاف بيننا إلا أنني كنت أتعهدها بالنصيحة لتوسمي فيها الخير وكانت كثيراً ما تبدي ضيقها بنصيحتي لها، أما بعد هذا اللقاء الأخير فقد قطعت كل صلة بيني وبينها، بل كنت أتأفف من أن أدعوها صديقة إذا ما ذكرها أحد أمامي، وإنما كنت أقول إنها مجرد زميلة دراسة، ولكني مقتنعة الآن أنني كنت مخطئة لأن غضبي منها وانقطاعي عن نصيحتها لم يكن أبداً غضب لله وإنما كان انتصاراً لنفسي، كل ما دار بخاطري في هذه اللحظات لم يمنعني من متابعة حديثها، لقد كان حديثاً رقراقاً عذباً ليناً، يقع على الأذن فيلمس القلب ويفيض بالعلم الغزير ملك لبّ كل من حضر المجلس وانتهى المجلس وهممت بالانصراف، ولكنها استوقفتني وسلمت عليّ بحرارة وطلبت مني أن أكون على اتصال دائم بها ووعدتها بذلك، وعندما مالت عليّ إحدى الأخوات وسألتني هل تعرفينها؟ قلت: نعم! إنها صديقة... صديقة قديمة.

بقلم : منى السعيد الشريف

بقلم: د. زيد محمد الرماني

النمط الاستهلاكي للأسرة

المعروف عن الفرد المستهلك أنه لايتصرف بدخله كفرد اقتصادي، بل كفرد مقلد، وإلى الحد الذي يجعله مرتبطاً بشكل من أشكال الاستهلاك وهو النمط الاستهلاكي.

وفي عصرنا هذا تغيرت الكثير من المفاهيم، وتغيرت معها أطباع الناس وتصرفاتهم، وتبع ذلك تغيّر في النمط الاستهلاكي للأسرة، في نوعه وسرعته ومداه ومؤشراته.

موجةٌ عارمة وغامرة تكتسح حياة الأسرة من ألوان الاستهلاك المستحدثة، تحاصر الفرد في طعامه وشرابه وأثاث بيته وطابع مدينته.

البيت تخلّت عنه تقاليده التي كانت تربطه ببيئته وطبيعتها في البناء والأثاث، بل العادات.

وفي الأثاث كان الاتجاه إلى الإنتاج الكمي والنمطي واستيراد الماكينات ومعها التصميمات الأجنبية حتى الخامات التي تستخدم في صناعة الأثاث.

والخبز ـ ألصق الطعام بالأسرة ـ تغيّر نمط استهلاكه، تقول نعمت أحمد فؤاد في كتابها «أزمة الشباب وهموم مصرية»: «شاع أكل العيش (الفينو) مع أن خبزنا البلدي أصح منه، وخبزنا الريفي «البتاو» أصح منهما».

وانسحب تغيير النمط الاستهلاكي على الملبس بعد أن غُمرت أسواق الدول النامية بكميات رهيبة من الخيوط الصناعية وملابس مختلفة الأشكال والأنواع والرسومات والألوان الزاهية للاستهواء، وأصبحت الأسرة تلبس الألياف الصناعية بعد عزوف أوروبا عنها، إذ أثبتت الدراسات أخطارها على جلد الإنسان.

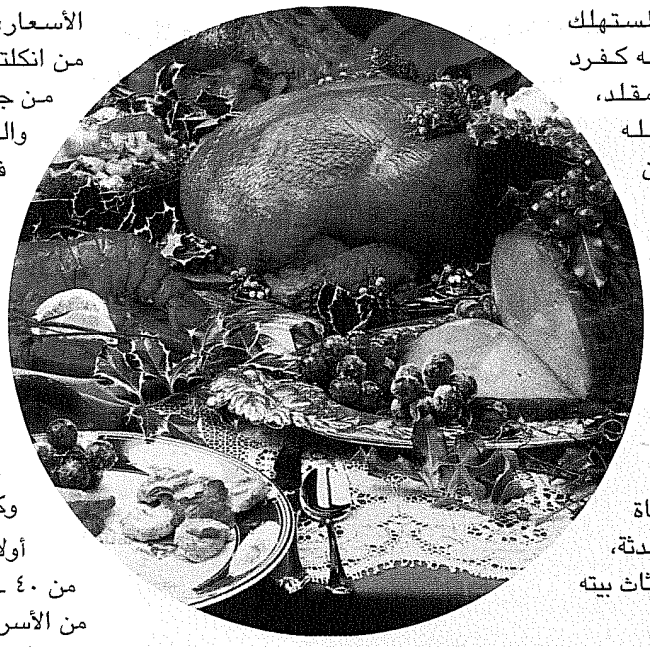

يقول الدكتور سمير طوبار في كتابه «التضخم في مصر»: «الإسراف والفاقد في ميزانية الأسرة ينشأ عنهما انخفاض في مستوى معيشتها وتضاؤل مدخراتها، ويترك ذلك انعكاسات على زيادة الطلب في السوق ونقص مصادر التمويل، وينتهي بقصور جهاز الإنتاج المحلي عن الوفاء بمتطلبات هؤلاء الأفراد واستيراد الكثير من السلع...».

إن الاندفاع الاستهلاكي له انعكاسه الواضح على سلوك الأفراد وشدة تطلعهم إلى اقتناء وسائل الحياة المادية الحديثة في الملبس والمسكن والترفيه والحياة حتى أنهم في إنفاقهم، يقدمون الكثير من هذه المتطلبات الثانوية على ضرورات الحياة مثل الغذاء أو الصحة.

يقول الدكتور صلاح الدين نامق في بحثه المعنون بـ«التضخم النقدي وارتفاع الأسعار»: «إن المراجع الاقتصادية في كل من انكلترا وأميركا ذكرت أن الرغبة القوية من جانب المستهلك في طلب السلع والخدمات والتي تتضمن كذلك رغبته في الاقتراض للإنفاق كانت دائماً عاملاً مؤثراً على الاقتصاد القومي في تضخم الأسعار منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم...».

وقد أجرت إحدى الجامعات الأميركية أخيراً بحثاً عن «الاستهلاك» على عينة تمثل مختلف شرائح المجتمع الأميركي وكان من نتائج هذا البحث:

أولاً : أنه بالإمكان اختصار ما يقرب من ٤٠ ـ ٥٠٪ من النفقات التي تنفقها كثير من الأسر.

ثانياً : أدلى أفراد عيّنة البحث برأي قالوا فيه إنهم لا يقررون الشراء في كثير من الأحيان بناء على حاجة حقيقية وإنما بناء على رغبة مطلقة في الشراء وهوس استهلاكي غير مبرّر.

ثالثاً : اتضح أن نسبة كبيرة من الأسر تلجأ إلى الاستدانة والاقتراض بفوائد مرتفعة لتلبية حاجاتها مما يجعلها تدفع المزيد من دخولها كفوائد.

رابعاً : وهو أهم ما توصلت له الدراسة هو أن الأسر التي تحظى بإنفاق مرتفع، تزداد فيها بالمقابل نسب الطلاق والتصدع الأسري وخلافات الأبوين وكذلك الانتحار.

إنّ تغيّر النمط الاستهلاكي ونوعية هذا التغيّر وسرعته ومداه ومؤشراته هو نتيجة لتغيرات حضارية، ومن ثمَّ فنحن بحاجة إلى استيراد وسائل الإنتاج غير ناتجة من المواد الاستهلاكية، وبحاجة إلى إنتاج ما نستهلكه. ■

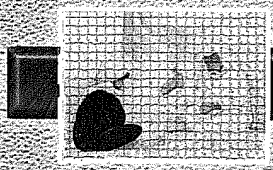

بقلم: عابدة المؤيد العظم

عبارات خطيرة! 6

ثمة عبارات موروثة ترددها الأمهات أمام صغارهن للحصول على منافع عاجلة ومصالح موقتة، ولكن كثيراً من العبارات تلك تتضمن معاني غير محبذة، وتعطي آثاراً سلبية وربما مفعولاً معاكساً، وهي قد تؤثر على المفاهيم والقيم فتؤدي إلى ما لا تحمد عقباه. فلننتبه لما نقوله لأولادنا حفاظاً على دينهم وخلقهم.

سمعتها تردد هذه العبارة: «لم أعد أستطيع السيطرة على ولدي» فحسبتها أماً لمراهق مشاكس معتد بنفسه يحاول إثبات شخصيته وإظهار نفسه، ولما حاورتها وسألتها لأحاول مساعدتها تبين أن ولدها هذا لم يتجاوز السابعة! ثم رأيته واقفاً خلف الباب يستمع شكوى أمه منه بمرح زائد وغبطة، لكنه كان يتصنع الجد وعدم الاكتراث، ثم لمحته وهو يلوح بيديه لأمه مهدداً متوعداً وكأنه يقول: «سترين المزيد من مشاكستي»، وكانت الأم ترمقه بقلق وهي تتابع حديثها: «لا أدري ما أفعل معه، لقد خرج الأمر من يدي، ولم أعد أستطيع توجيه ولدي!».

هذا المشهد يتكرر أمامنا على الدوام، فنرى أمهات كثيرات يشتكين أطفالهن المتمردين والمشاكسين، وأضحينا نسمع كثيراً هذه العبارات: «هل الجيل مختلف، إنه صعب ومتعب»، «هذا الجيل عنيد متمرد، لا يمكن السيطرة عليه»، «إنه جيل ذكي قوي لا يمكن ضبطه»... أو تصف الأم ولدها بأنه «شيطان» أو «عفريت»... كناية عن تعذر قيادته، كل هذا يُقال والأطفال جالسون معنا يسمعون ويشاهدون أمهم عاجزة عن ضبطهم! فيسعدون بأن الناس تتحدث عن بطولاتهم، ويفرحون بأنهم لافتون للأنظار، وأنهم أضحوا حديث المجالس! فتأخذهم العزة بالإثم، ونكون وكأننا منحناهم القوة ودفعناهم إلى التحدي والاستمرار في هذا السلوك، وهنا تكمن

لم أعد أستطيع السيطرة على ولدي!

الخطورة الأولى لأمثال هذه العبارات، فعبارة «لم أعد أستطيع السيطرة على ولدي» تبدو للطفل الصغير وكأنها مديح فيغتبط به ويميل إلى الاستزادة منه بكل طريقة ممكنة، وكيف لا يكون مديحاً وقد استطاع الصغير الذي لا حول له ولا قوة تعجيز والدته الكبيرة العاقلة ودفعها إلى الشكوى منه؟! فيصبح بعدها أكثر إزعاجاً وتمرداً ويبتدع ويبتكر أساليب جديدة للمشاغبة، ليلفت الأنظار ولينال المزيد من الإطراء.

إن الطفل الصغير بحاجة فطرية إلى سلطة تضبطه وتوجهه، وانعدام السلطة الضابطة يسيء إلى الطفل إساءة بالغة ويقلقه ويوتره، ويحرمه من حقه في تربية سليمة ومستقرة ومتزنة، ويفوت عليه معرفة الخطأ من الصواب والحلال من الحرام... يقول د. سبوك: «إن الطفل يريد أباً قوياً، يريد أماً حازمة، لا يرضى لكبريائه بأن يكون والداه من النوع «الخنوع»، ويعرف الطفل أن قسوته على أحد والديه ليست هي الأسلوب السليم لمعاملة الابن لأبيه أو أمه، لذلك يتمنى في أعماقه أن يضع أحد الوالدين حداً لهذا السلوك غير السليم، لذلك أيضاً يتمادى في القسوة ليزيد من التنبيه بالغضب والعنف بأنه لابد أن يتحرك الأب أو الأم ليمنعاه من التمادي في السلوك الخطأ... فالطفل يحتاج من يقول له «لا» عند الخطأ شرط أن نقولها بالحنان وبالحزم».

ورغم حاجة الإنسان إلى سلطة ضابطة إلا أن التمرد طبع أصيل فيه، ويلاحظ المربون على الأولاد البالغين مزاحمتهم لوالديهم ومقارعتهم لهم مقارعة الند للند، فهم يتوقون إلى الحرية والتخلص من سلطة الآباء، وهذه العبارة «لم أعد أستطيع السيطرة على ولدي» تسهّل على الطفل التمرد وتعينه على العصيان، وكأن أمه تقول له: «بإمكانك أن تتمرد وأن تفعل ما تشاء، فأنا ضعيفة وعاجزة عن تربيتك وتقويمك، ولا أستطيع أن أفعل شيئاً تجاه سلوكك فضلاً عن عقابك، وليست لي أي سلطة عليك، ولذلك سأتوقف عن إصدار الأوامر والنواهي، وسأكف عن توجيهك فأنت قوي ولا يمكن قيادك»، ومن

الطفل بحاجة فطرية إلى سلطة تضبطه وانعدام السلطة الضابطة يسيء إليه إساءة بالغة ويقلقه

الخطأ الفادح أن تعترف الأم بفشلها أمام طفلها، ومن الخطأ أن تدله على نقاط الضعف عندها، لأن هذا يدفع الطفل إلى استخدام ضعفها في تحقيق رغباته كلها، فالأطفال أذكى مما نتصور وهم يختبروننا حتى يميزوا قوتنا من ضعفنا ثم يتصرفوا على هذا الأساس ويسلكوا السلوك الذي يناسبنا ليحصلوا على كل ما يريدونه منا.

الحقيقة أن الأم - ولو ظنت في نفسها الضعف - تبقى أقوى من الطفل الصغير، وأنا أعرف بعض هؤلاء الأمهات اللاتي يدعين الضعف وقد لمست عندهن القوة والقدرة على التربية والتوجيه، ولكنهن عاطفيات رقيقات القلب، ولذلك آثرن تدليل أولادهن على الحزم معهم، وفضلن الانصياع لرغباتهم على تعليمهم وتوجيههم، ورأين ترفيه الجيل وتنعيمه بدلاً من تعريفه قسوة الحياة وصعوبتها... ولهذا كن ينتحلن سبباً يبررن به نكوصهن عن توجيه الجيل، ويبحثن عن علة يعلقن عليها تقاعسهن عن السيطرة على أولادهن، ليقنعن أنفسهن بأنهن غير مقصرات

الطفل يحتاج من يقول له «لا» عند الخطأ شرط أن نقولها بالحنان وبالحزم»

ولا مخطئات في تربيتهن، إنما الجيل هو المختلف وهو المتفرد، فهؤلاء الأمهات لما وجدن ذلك العذر سررن وقعدن عن توجيه الجيل.

وأسلوب «التبرير» ثم «الإسقاط» (اللذان تعلل بهما الأم سلوكها) أسلوبان معروفان في علم النفس، وهما من الحيل الدفاعية التي يفسر بها الإنسان أفعاله بحيث تبدو صحيحة ومقبولة، وبحيث ينسب عيوبه ونقائصه إلى الناس لا إلى نفسه، وبهذا يجنب الفرد نفسه ما قد يصيبها من عذاب الضمير أو الشعور بالإثم والتقصير، أو الشعور بالفشل، فالأم هنا مقصرة وهي تنتحل أعذاراً لهذا التقصير لتدافع بها عن نفسها، ثم نراها تستعمل أسلوب الإسقاط فتنسب فشلها إلى تغير الجيل لا إلى أسلوبها الخاطئ في التعامل مع أبنائها، وهنا تكمن الخطورة البالغة إذ أقنعت الأمهات أنفسهن بأنهن عاجزات فتقاعسن عن توجيه النشء، فمن سيربي الجيل إذن ويوجهه ويرشده إلى الخير؟ وإذا فشلت الأم في السيطرة على طفل صغير ضعيف، ولم تستطع توجيهه وإخضاعه لتربيتها، وعجزت عن فهمه وقيادته، فهل ستنجح في التعامل معه عندما يصبح مراهقاً مشاكساً؟! وكيف سيكون حال المجتمع بد سنوات عندما سيصبح أفراده هؤلاء المتمردين الذين تستحيل السيطرة عليهم؟!

وبتأثير هذه العبارة تجرأ الأبناء على الآباء فصاروا يعبرون عن استيائهم وبطرق غير مؤدبة، ويظهرون غضبهم وبطرق بشعة، فالطفل يرفس اللعب ويكسر الأواني ويضرب أخاه حتى يحصل على مبتغاه، مخوفاً والدته، وطامعاً باستجابتها السريعة لمطالبه، ثم تطور هذا التمرد وهذا العصيان حتى طال شخص الأم وهيبتها ومكانتها العالية، فإذا بالولد يصرخ في وجه أمه ويرفع صوته فوق صوتها، وينصرف عن برها وطاعتها عامداً متعمداً.

ولقد زينت الأم بترديدها هذه العبارة السوء لأولادها، وحرضتهم على ترك الإحسان إليها، حتى كاد بعض الأمهات أن يوصلن أولادهن إلى العقوق الذي يورد صاحبه النار والعياذ بالله، أفرأيتن أماً تحب وليدها ثم هي تقوده - بحبها هذا إياه - إلى النار؟ ■

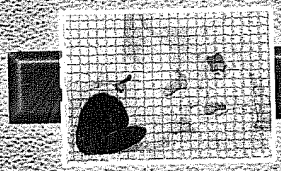

بقلم: محمد سلامة جبر

نحو أسرة مسلمة 1

من استطاع منكم الباءة فليتزوج

الحمد لله الذي وسعت رحمته كل شيء، واشتمل دينه على بيان كل شيء ولم يتركنا سبحانه نتخبط في تنظيم حياتنا، ولم يشقّ علينا في شيء.

وأشهد أن لا إله إلا الله، خلق لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها، وجعل بيننا مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون، وأصلي وأسلم على خير خلق الله، القائل: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم»

(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) النساء:١.

(ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) النحل:٨٩.

جهل أم استهانة

قلت: المحزن حقاً أن نجهل تلك القواعد الشرعية السامية، والأخلاق الإسلامية العالية، ثم نولي وجوهنا قبل المشرق والمغرب، نستجدي النظم لحياتنا ونستورد المقننين لتشريعاتنا، ونستعين بخبراء الاجتماع والاقتصاد لحل مشكلاتنا، أفجهل ذاك أم استهانة؟! أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله؟!

(وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) الزمر:٥٤ ـ ٥٦.

أقول هذا لأبيّن مكانة الزواج في الشريعة الإسلامية، ومقام الأسرة في المجتمعات الطاهرة النقية.

وأنكحوا الأيامى منكم

وأبدأ ببيان حرص الشريعة على تزويج كل أيّم، والأيّم كل من ليس له زوج من الرجال والنساء، ولقد حضنا سبحانه وتعالى على ذلك، حتى أمرنا بعون الشباب على الزواج، بل وعدهم على ذلك الغنى إن كانوا فقراء، وهذا بصريح قوله تعالى: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) النور: ٣٢

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير هذه الآية: رغبهم الله في التزويج، وأمر به الأحرار والعبيد، ووعدهم عليه الغنى فقال: (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله).

وقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ : «أطيعوا الله فيما أمركم من النكاح ينجز لكم ما وعدكم به من الغنى».

وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : «التمسوا الغنى في النكاح».

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء، والغازي في سبيل الله» رواه أحمد والترمذي.

والمكاتب هو العبد الذي يشتري حريته من سيده بمال، فيُعطى من مال الزكاة.

فإن قلت: وأين وعد الله الناكح بالغنى، ونحن نراه يزداد فقراً؟

قلت: صدق الله العظيم وكذب كل مبطل أثيم، ومن تناول الدواء على غير القواعد الطبية تضرر ولم يجد إلا أسوأ النتائج الصحية.

وكذلك الحال في وعد الله الناكح بالغنى، فإنه وعد «الناكح يريد العفاف» كما جاء بنص الحديث، ولم يعد الناكح يريد التفاخر بجمال زوجته وعلمها ووظيفتها، ثم لا يرضى هو وإياها إلا ببيت فيه من الأثاث والرياش والكماليات ما تغيظ به الزوجة الجارات والقريبات، وكذلك هو لا يبالي أي النساء يختار، وحسبه ذات الجمال والدلال إن أراد أن يختار، ولو أودت به إلى الخسار والبوار.

أفترون من هذا شأنه يحقق الله له وعده بالغنى إن تزوج؟! أم يرديه سوء اختياره، ثم لا يرى من جميلته إلا كل خلق أعوج وبيت أعرج؟!

الجواب ما نرى، لا ما نسمع. ونسأل الله العافية مما نرى ونسمع.

رحمة الله بعباده

والمقصود مما تقدم، أن نوقن بأن الله قد وعد من أقدم على الزواج بقصد التعفف عن الحرام ـ وبنيّة الحصول على ذات الشرف والخلق والإيمان ـ في محكم كتابه أن يغنيه من فضله، وأن يوسّع عليه رزقه وهذا يجعلنا ندرك إلى أي مدى تبلغ رحمة الله بعباده، حين يعينهم على قضاء شهواتهم المباحة، ويتفضل عليهم فوق ذلك بنعمه الكثيرة الممنوحة، فله الفضل سبحانه في الأولى والآخرة، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن الله غني حميد.

واجب الدولة

والزواج عند جماعة من علمائنا واجب على كل قادر عليه، أما العاجز، فعلى الدولة المسلمة أن تعينه من بيت مال المسلمين، بنص الحديث المتقدم «ثلاثة حق على الله عونهم» فإذا أضفنا إلى الحديث أمره تعالى لنا بتزويج كل من ليس له زوج من الرجال أو النساء، أدركنا خطر العزوبة على الجنسين، وضرر الحرمان والوحدة على الطرفين!

وليس كالإسلام من دين ولا نظام حياة يعلي من قدر الزواج، ويرفع من شأن الغريزة الجنسية، ويسمو بالحياة الزوجية إلى أسمى مقام وأعلى مكان.

نحمد الله على نعمه الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً، وكان ربك قديراً. ■

بقلم : محمد يوسف الجاهوش

فتنة الغرباء

تأتي إجازة الصيف، لتكون محطة راحة واستجمام من عناء عمل وكدح طوال ما سبقها من شهور العام، والناس - كشأنهم في كل شيء - مذاهب شتى في قضاء هذه الإجازة.

فمنهم: من يقضيها في بلده، بين أهله وأصحابه، قانعاً بما أتيح له من وسائل الراحة والهدوء.

ومنهم: من يشد الرحال إلى جهات متعددة، كل ينشد راحته ومتعته بالطريق التي تروقه وترضيه.

ويعود المغتربون إلى أوطانهم، ليسعدوا بلقاء الأهل والأحبة، والصحب والخلان، ويجددوا ما انقطع من عهود الوداد، ومجالس الوفاء، وذكريات الطفولة والشباب، فينسون عناء العمل، ومشقة الأسفار، ووطأة الاغتراب، فيرجعون خلقاً آخر، لا عهد له بتلك المتاعب والهموم.

ومن الغرباء: أناس «أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله»، وحرموا نعمة العودة إلى الأهل والديار، من غير ذنب ارتكبوه، ولا جرم اقترفوه، فهم - لذلك - في غربة دائمة، وهمٍّ مقيم، وشوق إلى الأوطان موصول، لا ينقطع ولا يُنسى.

لقد استعصى على الأيام أن تبدله، وتأبَّى على الأحداث أن تغيره، فهو في القلوب محمول، وفي الصدور مكنون، سواء - في ذلك - أظعن صاحبه أم أقام، سرَّه الدهر أو جاء بما يسوء.

وترى فريقاً منهم - لشدة الشوق والحنين - يشدون الرحال لزيارة الأقطار المجاورة لأوطانهم، يؤملون أن تصلهم نسمة من هوائها، أو نفحة من عبير ورودها وأزهارها، مما لا تستطيع الحدود حجبه، ولا القيود منعه وحبسه.

وصاحبنا «أبو البراء»: واحد من هؤلاء الناس الذين لم ينسهم طول البعد ولا رخاء العيش في المهجر ديار ولا أهلاً، وهذا ما دفعه لقضاء إجازته في قطر متاخم لمسقط رأسه، ومرتع شبابه، عساه يحقق بعض ما حرمت نفسه من واعد الأحلام وعذب الأماني!

حزم متاعه، واصطحب أسرته في سفر غير قاصد، وانطلق لوجهته، ولما حطت رحاله حيث يمم، قرر السكنى في أقرب موقع من حدود الوطن الحبيب، تحقق له ما أراد، فأقام في بيت ريفي متواضع، ولكنه جميل، يقع فوق تلعة مرتفعة، وحوله جنة زهت أشجارها، وعذب ماؤها، وطاب هواؤها.

لم يركن إلى الراحة والهدوء، بل كان يسير الساعات - ذوات العدد - بين الأشجار، في سهل الأرض وحزنها، وفي تلاعها والوهاد، يتأمل ملكوت الله عز وجل، ساهماً عما حوله، متوهماً أنه في وطنه ودياره.

كان كل شيء يرشح وهمه إلى الحقيقة: طبيعة الأرض، نوع الشجر، برودة الهواء، وجوه الناس، ملابسهم، لهجتهم، أصناف الثمر والخضروات، أنواع الطيور، طراز البنيان، ينابيع المياه، قطعان الماشية، حُداء الرعاء، غناء الحصادين، أهازيج الأعراس والأفراح، مراسم الدفن والعزاء، أرتال الشباب والشوابِّ غادين إلى الحقول أو رائحين، صور ومناظر، يشاهدها أنَّى سار، وحيثما أقام، يسعده مرآها، ويطربه تكرارها لا يسأم من استعادة المشاهد، ولا يملُّ من رجع الحديث.

إنه في لذة ونشوة، لم يجد لها مثيلاً منذ أمد بعيد، ولكم تمنى أن يدوم ما توهمه حقيقة، ليستكمل لذته ونشوته، ويقنع نفسه أنه قد تخطى الحدود، وحطم القيود، وعاد إلى الربوع التي نمته، والأهلين الذين ولدوه، والصحب الأولى افتقدوه.

وكثير ما كان يغمض عينيه ويردد :

مُنى إن تكن فهي أجمل المنى

وإلا فقد عشنا بها زمناً رغدا

وذات ليلة خرج من صلاة المغرب في المسجد المجاور لمسكنه، وهمَّ بالتوجه نحو بيته حيث الأسرة بانتظاره، لتناول

العشاء في ضوء القمر، فوق سطح المنزل كما جرت عادتهم منذ وصلوا مصيفهم.

لكنه شعر هذه الليلة - وكان القمر بدراً - بدوافع خفية تحثه على السير خارج البنيان، والتأمل في سكون الليل الساجي، وضوء القمر الزاهي، واستنشاق نسمات الشمال، وقد وصلت رخية عليلة من جهة الوطن والأحبة.

لم يستطع مقاومة خواطره ومشاعره، وانطلق يرقب سير القمر وانعكاس سناه على الصخور والأشجار، والأودية والهضاب، ولحظ تمايل ظلال الأشجار - مداً وجزراً - تبعاً لمداعبات النسيم وجهة هبوبه، فأثار هذا المنظر كوامن من اختزنت نفسه من عواطف، وما أجن صدره من هموم وأفكار، ومضى يدندن بكلام لا تكاد تسمعه أذناه: إن كل شيء متحرك ومتغير في هذا الكون: الليل يغشى النهار (يطلبه حثيثا)، والقمر قدرت منازله (حتى عاد كالعرجون القديم. والشمس تجري لمستقر لها. ذلك تقدير العزيز العليم) والنجوم مسخرات بأمر الله عز وجل.

الماء يجري في الأنهار، والموج يتدافع في البحار، والحَبُّ يشق الأرض صاعداً في نماء، الطير في الهواء، والسمك في الماء، وما ذرأ الله - تعالى من الأناسيِّ، والأنعام، والدواب، كله يغدو ويروح، في حركة دائبة، منتظمة، تجدد شباب الحياة والأحياء، حتى الهواء، فقد أبى مألف اتجاه واحد، بل تعددت مهبَّاته وأوقاته، ولولا ذلك لما عرفنا الصبا والدبور، ولا الشمال والجنوب.

نعم، إن كل شيء متحرك ومتغير وإلا همَّ قلبي، فإنه جاثم - في الصدر - لا يبرح مقيم بين الجوانح والحشا، لا يتحول، ولا يتبدل، توالت السنون بالبأساء والنعماء، وتعاقبت الأحداث بما سر وساء، وجد في الأمور أمور، تبدلت معها - القيم، وتغيرت المفاهيم، وساد الغمر، واضطهد العليم، توارى رؤوس الناس، وعلت الدُّنابي والفروخ، حصل كل ذلك - وغيره كثير - وما أقاسيه وأمثالي - من معاناة وهموم - ثابت، تزداد وطأته، وتشتد قسوته، ولا نُحس له بين هذه المتغيرات بموضع ولا مكان!!

سرح الرجل مع حديث النفس ونجواها، فلم يشعر بتعب ولا إعياء - رغم طول مسيره، ونسي أن الصبية وأمهم ينتظرونه على سطح المنزل، لتناول العشاء تحت ضوء القمر.

وقادته الخطى إلى تلْعة من تلك التلاع المتناثرة في الفضاء الرحب، تسلق صخورها حتى علا قمتها، وجلس فوق صخرة بيضاء ملساء، وحيداً بعيداً عن الناس والبنيان: القمر سميره، والنجوم جيرانه، ونسمات الشمال زاده وغذاؤه، استقبل جهة الشمال بوجهه، عسى أن يلوح له بارق، أو يبدو من معالمها علم شاهق، ولِمَ لا؟ إنه على مشارف الأوطان، وليس ثمة فاصل، إلا خط وهمي، سموه الحدود، وفعلاً، بدت له أنوار القرى والبلدان، واضحة جلية، يستطيع عدها، وحصر ما أدركه بصره منها، بسبب ما بين البلدة وجارتها من مسافة مظلمة.

أدهشه المنظر، وكاد ينعقد لسانه، وتمتم مردداً: يا إلهي، تلك قرانا وبلداتنا! يا لروعة المآذن! إني أراها متميزة بارتفاعها واختلاف ألوان أنوارها، نعم، إنها هي، لقد أصبحت بعيدة على قرب، قريبة على بعد، تصل منها نسمات الشمال رخية عليلة، يحمل هبوبها أنفاس الأحبة، ونشر حديثهم، وصدى مجالسهم، حتى لكأنه رأى عين، وسمع أذن، ومشاركة وجدان.

ألا ما أنداك يا رياح الشمال! وما أطيب ريَّاك، فأهلاً بك من زائر حبيب، وافى بأخبار الأحبة وحديث الأوطان على ظمأ وشوق لدى النائي الغريب!

خبرينا يا ريح الشمال - وقد اجتزت حوران والآل دونها - ما حال الأحبة على البعاد؟ أما زالوا على عهدنا؟ أم غيرهم النأي بعدنا؟ ما حال مدارج طفولتنا ومراتع شبابنا؟ أما زال خطُّنا بادياً في ثراها؟ أم طمسته الريح فانطمس ودرس؟ كيف الروابي والتلال؟ أما زالت تذكر فتياتها وهم يعانقون الأزهار في سفوحها، ويتسلقون الصخور على قُنَّاتها؟ ويجرون - مع الآمال في جنباتها؟ يرسمون المنى والغد المأمول على سوق أشجارها وينحتون واعد الأحلام في نقيِّ صفاها، كيف الأودية والسهول؟ أما زال الربيع يعتادها، ويلوّن بساطها بزاهيات الألوان ووشي الجمال؟

إني إلى تلك المغاني عاشق
فيها هيامي والحبيب الأكرم
فيها ودادي مع مناي وبغيتي
يقظان أذكرها وفيها أحلم
خلجات قلبي تستفيض بذكرها
والأذن تطرب والجوارح تنعم
والعين تذرف عبرة رقراقة
رمزاً لحبي والتشوق أعظم

سائليها يا رياح الشمال، أما اشتاقت لبنيها الذين كانوا صدوراً في مجالسها، وبدوراً في جنباتها، وأزهاراً في زاهي روضاتها؟ يزيدون جمالها جمالاً، وخيرها عطاء!

أما تساءل روضها الأغنّ عن سب غيابهم، وسر بعادهم؟ أترينه يحنّ إليهم كما يحنون إليه؟ أو يشتاقهم كشوقهم لماضي عيشه وسالف عهده؟

خبرينا عن الجداول والأنهار، والينابيع والسواقي، أمازال ماؤها عذباً زلالاً؟ أم ناله من التعكير والتكدير مانال سواه؟ أما اشتاقت مياهها للأيدي المتوضئة؟ أما حنَّت رياضها للركع السجود؟ يا رياح الشمال، قصيّ علينا أخبار البساتين والكروم، فعهدي بها تزهو جفناتها بعناقيد العنب، ويحاكي رمانها قناديل الذهب.

أما زال الأحبة - كسابق العهد - يهجرون المنازل والقصور ليتفيأوا ظلالها، ويسمروا تحت معرشاتها، وينعموا بصافي هوائها، وطيب جناها، ونغمات أطيارها؟

آه، كم تشتاق النفس إلى أريج أزهارها، وشذا ياسمينها، وعطر ورودها، ممزوجاً بأصوات المؤذنين، وتسبيحات الموحدين، وهم غادون إلى صلاة الفجر، ومنها عائدون.

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربا

وما أحسن المصطاف والمتربعا

ليت شعري أيصلنّ الدهر ما تصرم من ماضي عيشنا؟ وترجع عشياتنا بذياك الحمى؟ فنفترش القش ببيدر البلد؟ ونخوض في السواقي والأنهار، ونجني من جنباتها الحبق والريحان؟ ويعود لنوادينا روادها، ولمجالسنا أنسها وصفاؤها، ويلتئم شملنا بالأحبة مثل ما كنا: إذ العيش غص والزمان خصيب!

جنب الغدير مقامنا

نتفيّا غصناً زاهراً

والطير تصدح فوقنا

فتهيج حباً زاخراً

أيام عمر قد مضت

والقلب غفل ما درى

إن الزمان يخونه

ويجدُّ عيشاً آخرا

هل سيرانا القمر - من جديد - في تلك البساتين والحقول، نساهر النجم ونرعى مسيره ؟ كلانا ألف السهاد، وعاف الرقاد، ولم يكتحل جفناه بغمض أو منام.

كان القمر ينتظر الأفول، ونحن نرقب تشقق فجر جديد، تلوح معه بشائر الفرج والتمكين لرسالة الخلود.

إيه يا رياح الشمال، لقد جار دهرنا وقسا، حتى لكأنه طالبُ وَتْرٍ أضال غريمه، فلا هو مدرك بغيته، فيشفي غيظ صدره، ولا هو ناس ثأره، فيريح ويستريح، على أنه إن يكن ثمة جناية فلسنا جناتها، أو يكن هناك خيانة فلسنا أربابها، ولا أنصارها

لم نكن من دعاتها علم الله

وكلنا بحرها اليوم صالِ

إي والله، لسنا من جناتها، ولا من دعاتها، ففيم نُصلى بحرّها؟ وتنالنا - دون جناتها - آثار ضرها وشرها!

وجرم جرّه سفهاء قوم

وحل بغير جارمه العذاب

يا رياح الشمال، ما حال مساجدنا وروادها، ومحاريبها وعبادها؟ أما زال الأذان على منائرها بلاليّ اللحن، ووعظ منابرها سليم النهج؟ كيف شباب الدعوة وشيوخها؟ أما زالوا يطلعون في سمائها أنجماً زاهرات، ويموجون بين سواريها أبحر خير زاخرات؟ ألا ليت الأمر كما نحب! غير أن القلب - على البعد - يكاد يحسّ حزنها وأساها، ويسمع شجوها وشكواها، ولكأن هاتفاً من وراء السديم يجيب:

تغيَّر المسجد المحزون واختلفت

على المنابر أحرار وعبدان

فلا الأذان أذان في منارته

إذا تعالى ولا الآذان آذان

ويتجاوب مع رجع الصدى نبض قلبي، وعرام مشاعري، ويغلبني الأسى والذهول، لخفوت ألقها، وضعف صوتها، وعجز أهلها.

آسى لمحنتها أرثي لغربتها

الجرح دامٍ ودمع العين هتّان

وبينما هو مستغرق في تأملاته ومناجاته أحسّ بنسمة شديدة البرودة تلامس وجهه، تلفت من حوله فإذا القمر يتضيف إلى الغروب، والليل قد مضى شطره أو يزيد.

أفاق من شروده، وتنبه لما سببه غيابه من قلق لزوجه وأولاده، فعاد إليهم مسرعاً، ليجدهم ساهرين - مع بقايا ضوء القمر - ينتظرون مقدمه، كان القلق بادياً على الوجوه، وتحمل قسماتهم أكثر من سؤال واستفسار!.

بادرهم بالتحية، وأخذ مجلسه بينهم، وأطلق تنهيدة مجهد، وأنشد متمثلاً:

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا

بالرقمتين وبالفسطاط إخواني

وما أظن النوى ترضى الذي صنعت

حتى تُشافه بي أقصى خراسان

ما إن أتم كلامه حتى بادره ولده الصغير - وكانت له عليه دالة أكثر من سواه - قائلاً: لقد أبطأت بالعودة يا أبي، قلقنا عليك كثيراً، واشتد بنا الجوع أكثر، من طول الانتظار!! تبسم الوالد وضم إليه صغيره وقال:

فلا تعجب صغيري إن خطوي

على مقدار إيقاع الزمان

ويبدو - أيها الحبيب - أن إيقاع الزمان وألحانه بعيدة عما ألفته آذاننا، وعرفته أذواقنا، ولا بد من يوم يلحّن فيه الزمان نشيد الفطرة، ويوقعه حسب نغمات الأذان.

(ويومئذ يفرح المؤمنون. بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم). ■

إعداد : محمد هاني

الحركات الإسلامية والديموقراطية

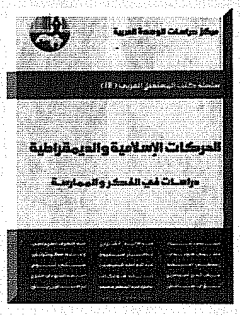

صدر كتاب عن مركز الدراسات العربية عنوانه «الحركات الإسلامية والديموقراطية». الكتاب دراسات في الفكر والممارسة لمجموعة من الباحثين ضمن سلسلة كتب المستقبل العربي ١٤، ويضم الكتاب عدداً من دراسات مختارة تبحث في جوانب الظاهرة الإسلامية ومفهومها واستشراف مستقبل الحركات السياسية الإسلامية ونظراً لما تشكّله الظاهرة الإسلامية من أهمية باعتبارها إحدى تغيرات النظام العالمي الراهن، وبخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي. يسلط هذا الكتاب الضوء على مكانة الإسلام الرئيسة في المشروع الحضاري النهضوي العربي، كما يبيِّن بلورة عناصره ومقوماته وآلياته من جهة، ويبرز الجوانب الخاصة من العلاقات بين الدين والتيار القومي، وذلك من خلال إيضاح العلاقة بين مبدأ الجهاد، والظاهرة السياسية في الوطن العربي من جهة أخرى، ويتضمن الكتاب ستة عشر فصلاً جرى تقسيمها إلى ثلاثة أقسام أساسية، يدور القسم الأول حول العلاقة بين الإسلام والسياسة، والثاني حول مجموعة من الدراسات التطبيقية للحركات السياسية والإسلامية، أما الثالث فيهدف إلى استشراف مستقبل الحركات الإسلامية السياسية.

أكذوبة الأصولية الإسلامية

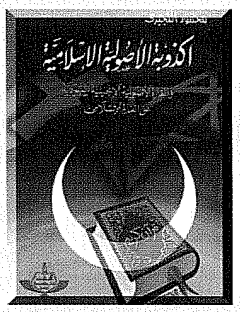

عن دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع في القاهرة صدر كتاب «أكذوبة الأصولية الإسلامية» للأستاذ محمود النجيري يقول مؤلف الكتاب في مقدم الكتاب: مصطلح الأصولية مصطلح غامض المعنى والمدلول، انتشر لتحقيق أهداف سياسية للغرب، وحتى الذين عرضوا لـ«الأصولية الإسلامية» من مثقفينا اعتبروها وعاء العصر ومهد النظام العالمي الجديد، والديموقراطية والإخاء البشري والتنوع الفكري والديني. والحقيقة تقول: إن إلصاق صفة الأصولية بكل ما هو إسلامي هي حلقة من حلقات الحرب المستمرة والمستعرة من جانب الغرب ضد الدول الإسلامية، فيما كان يعرف بـ«المسألة الشرقية» ولكن في ثوب جديد. والكتاب في الحقيقة يجيب على أسئلة في غاية الأهمية والخطورة تمس بصورة مباشرة الأمن القومي لدول العالم الإسلامي بلا استثناء، فالواقع يؤكد أن هناك أصولية مسيحية وأخرى يهودية تتعاونان لتمهيد كوكب الأرض للمجيء الثاني للمسيح، اعتماداً على نبوءات توراتية وإن اختلفت التفاسير، والمراد ضرب الإسلام ضربات متتالية تحت دعاوى محاصرة الإرهاب - وهم صانعوه - وتحت ستار ضرب الأصولية الإسلامية والترويج لعدائها لمجتمعاتها.

مجلة الأدب الإسلامي

جاء العدد التاسع عشر من مجلة الأدب الإسلامي عدداً خاصاً عن الشعر الإسلامي المعاصر.

وقد استهل العدد بعدد من المقالات كان أولها ما كتبه الأستاذ الكبير الدكتور محمد زغلول سلام عن سمات الشعر الإسلامي، وكان ثانيها عن الشكل في القصيدة الإسلامية للدكتور حسن الأمراني، ثم مقال عن جماليات التلقي في الشعر الإسلامي للدكتور طارق سعد شلبي، ويليه «تأملات في قصيدة كاملية الإسراء» للأستاذ محمد شلال الحناحنة، وأخيراً مقال الدكتور سعد أبو الرضا بعنوان «الشكل في الشعر الإسلامي - قراءة في بعض قصائد هذا العدد».

ولقد كان باكورة ما نشره مكتب البلاد العربية لرابطة الأدب الإسلامي مجموعة شعرية تضمنت أكثر من ١٠٠ قصيدة لنحو أربعين شاعراً من شعراء الرابطة، وكانت النية أن تصدر المجموعة الثانية في كتاب خاص، ثم اجتهدوا أن تصدر المجموعة في عدد خاص من مجلة الأدب الإسلامي لتكون أسرع انتشاراً بين الناس نظراً لأن ما يطبع من المجلة يتجاوز عشرة آلاف نسخة من كل عدد.

وقد أدى هذا الاجتهاد إلى أن تقل عدد النصوص ويزداد عدد الشعراء، وبخاصة أن الرابطة اشترطت أن يكون لكل شاعر نص واحد، كما اشترطت شرطاً جديداً، وهو ألا يكون هذا النص قد نُشر من قبل.

وهكذا ضم هذا العدد الخاص بالشعر الإسلامي واحداً وستين نصاً لواحد وستين شاعراً، معظمهم من شعراء الرابطة التي يحق لها أن تفاخر بأنها تضم تحت رايتها أكبر عدد من الشعراء العرب بالإضافة إلى الشعراء الإسلاميين من غير العرب الذين ينظمون بمختلف لغات الشعوب الإسلامية.

وكان من الاجتهاد الجديد أيضاً أن قسمت الرابطة النصوص الشعرية على ستة محاور وهي:

١ - من وحي الإسلام.
٢ - نبض الجهاد.
٣ - الشكوى واستنهاض الهمم.
٤ - زيف الحضارة.
٥ - اغتراب وحنين.
٦ - بوح الوجدان.

وتعيد الرابطة ما قالته في مقدم المجموعة الشعرية السابقة من أنهم يضعون هذه النصوص الشعرية بين أيدي النقاد «ليقول فيها النقاد المنصفون ما يشاؤون، وسيلقون من شعراء الرابطة آذاناً صاغية وصدوراً رحبة لا تضيق بالنقد البنّاء».

البـــدء في الإســـلام كلمـــة

صدر للكاتبة الصحافية المصرية عائشة رافع أخيراً كتاب جديد بعنوان: «البدء في الإسلام كلمة»، يقدم الكتاب رؤية جديدة لعلاقة الإنسان بالدين، ويوضح كيف تحوّلت في هذا العصر إلى أشكال سطحية لا تصل إلى جوهر الأشياء، فالإنسان بات ممزقاً بين اتجاهين متضادين تماماً، التقدمي والسلفي، وكلاهما يختزل الأديان في سلطات بعيدة عن عمقها، حيث يكرس الأول الدعوة إلى إشباع الميول المادية ونشاطات الإبداع التي يجب ألا تتوقف إلا بالموت.

أما الثاني فيركز الأديان في سلطة من نوع جديد في أيدي من يزعمون أنهم فاعلون باسم الأديان، فإما أن ينصاع لهم العباد حسب مخططاتهم أو يصبحوا كافرين يحق قتلهم.

ووصفت الكاتبة في الفصل الأول «الكلمة» بأنها معان متكاملة وحقائق تكشف للإنسان فترسم له نهجاً للبدء وطريقاً للسير والإثمار، فالكلمة تأتي أحياناً على صورة نور، وأحياناً أخرى في صورة العلم والمعرفة، وأحياناً في العقيدة والعمل الصالح فكيف يكون هناك تفاعل بين الإنسان ودينه ليثمر هذا الصراع بشكل إيجابي قائلة «إننا في حاجة إلى إدراك الجانب الروحي والمعنوي لدينا وكيف نتعامل معه بما لا يؤدي إلى انحرافه وهو ما يحتاج إلى علم بحكم طبيعته وهو ما تعلّمنا إياه الأديان، وموقف الإنسان من الحياة تحدده رؤيته لنفسه، وبخاصة أن ما يميزه كينونته التي هي ليست الذات، لكنها قبل هذه الذات وتبقى بعدها»، وتعني بها الكاتبة كلمة «الفطرة» أو «الطاقة النورانية» من منطلق أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي تتجلى فيه قدرة الخالق بإيجاد مخلوق قادر بإرادته الواقعية أن يفعل ويغير ويطور ويكشف أسرار الكون.

وتطرح الكاتبة في الفصل الثاني عدداً من الأسئلة توضح خلالها أن «القبلة» هي رمز يحمل في طياته جوهر ومظهر جميع الشرائع والعبادات، وبخاصة أن الإنسان يحتاج إلى وجود ملموس يرى فيه تجلّي الحق والحقيقة، ويتوجه الإنسان للبيت يعبّر عن أن جوهر الحياة هو أن يكون على صلة دائماً مع المعنى الحق الذي هو وراء هذا الرمز، فالقبلة تعبير عن قضية الإنسان على هذه الأرض، ولن يتأتى ذلك إلا بالتأمل العميق والصفاء والتعبد، ولا تكتمل استقامة معنى القبلة بمجرد العمل الإنساني، ولكن لابد أن يكون المرء مخلصاً فعلاً لوجه الله.

وترى الكاتبة أن الشريعة في كل الأديان عبارة عن منهج وأسلوب حياة ورسائل للإنسان دائماً يتجدد، وتؤكد ذلك في الفصل الثالث، حيث ترى أن العقيدة أساسها الفهم والإدراك ومن دونها يصبح الإنسان مقلداً ويلوك بلسان ما ليس له أي واقع داخله، فالشريعة ليست تطبيقاً أجوف لأشكال وطقوس وحركات، وإنما جهاد ووسيلة يتبعها الإنسان ليحقق ما هو مطلوب منه في عقيدته، والنية هنا تعد البذرة التي إذا حَسُنت كانت شجرة طيبة، فهي المعنى الذي يميز أي شيء أصيل وقيم ومؤثر وخالد وبين نقيضه، لأنها في العبادة تمثل الإيمان، وإن قيام النية في الإنسان يحتاج إلى فهم في ما يفعل، وهي تعلّمنا آداب ما بعد العمل حتى يصبح مثمراً، إذ إن كل علاقة في الحياة هي معطاة للإنسان ليقيم من خلالها علاقته بالله، وهكذا فاستقامة النية ممارسة وفهم دائم وليست كماً ثابتاً.

وتصف الكاتبة في الفصل السادس حياة الإنسان على الأرض بأنها رحلة بين الفهم والقيام تتجدد دوماً، وبالتالي يتجدد المفهوم والقيام وهذا هو دور الإنسان على هذه الأرض، وبالجهاد في أن يبسط المفاهيم العقلية على أرض الواقع، أما في الفصل السابع والأخير فتشير إلى أن التأمل في الأحداث التي مرت على الدعوة الإسلامية منذ ميلاد الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى رحيله بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة، هي أحداث تحمل معاني دائمة للإنسان وهو يمر في رحلة تحقيق العبودية لله.

أخبار ثقافية

● تنظم جامعة الأزهر في شهر يونيو المقبل مؤتمراً دولياً في مقر الجامعة حول «مصر في الآداب العالمية» يرعاه شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي، وسيشارك في المؤتمر أكثر من ١٥٠٠ عالم، وأستاذ جامعي من مختلف بلدان العالم، وسيناقش المؤتمر الدراسات والأبحاث التي تناولت مصر في جميع اللغات، سواء في الماضي أو الحاضر لعمل موسوعة تضم دراسات متخصصة عن مصر في مختلف المجالات، ودورها الحضاري والثقافي على مر العصور في نظر المؤرخين والجغرافيين والفنانين التشكيليين وعلماء الآثار والترميم والأدباء والشعراء إضافة إلى صورة مصر في وسائل الإعلام العالمية.

● ينظم اتحاد كتاب المغرب «فرع تطوان» بالتعاون مع المجموعة الحضرية لتطوان من ٢٣ - ٣٠ أبريل الجاري تظاهرة عيد الكتاب ويتضمن برنامج هذه التظاهرة معرضاً للكتاب تنظمه دور النشر وكبريات المكتبات وقراءات وتوقيعات للإصدارات الجديدة بحضور مؤلفيها.

● أوفدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الايسيسكو» خبراء متخصصين في تدريس اللغة العربية وتطوير مناهجها وتدريب مدرسيها إلى كل من طاجكستان وقيرغيزستان وسورينام والبوسنة والهرسك وبوركينا فاسو وتشاد وجزر فيجي، وذلك في إطار البرنامج المستمر الخاص بالتوسع في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وتطوير مناهجها والرفع من مستوى تدريسها.

الجواد المهاجر

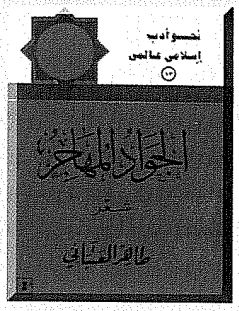

في إطار أدب إسلامي ملتزم بقضايا الأمة صدر كتاب «الجواد المهاجر» للشاعر طاهر العتباني، يضم الكتاب بين دفتيه عشرين قصيدة شعرية، تعبر عن أحاسيس الشاعر تجاه قضايا أمته ومنها: قادم، الفارس الذي ضل، من قراءات الجود، رسائل إلى أبي الهول، صهيل الروح، يقع الديوان في نحو ١١٥ صفحة من القطع الصغير، قامت بنشره دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع في المنصورة في «جمهورية مصر العربية».

جائزة السلطان حسن البلقية العالمية إلى الشيخ أبي الحسن علي الندوي

منحت جائزة السلطان حسن البلقيه في الدراسات الإسلامية في موضوعها للعام ١٩٩٨م «سير أعلام الفكر الإسلامي» إلى الشيخ أبي الحسن علي الندوي رئيس دار العلوم، «ندوة العلماء في الهند».

ولد الشيخ أبو الحسن علي الندوي في الهند العام ١٩١٤م في أسرة عريقة وهو الآن من أبرز علماء المسلمين المعاصرين. بلغت مؤلفاته في اللغات العربية والإنكليزية والأردية نحو خمسين كتاباً ومن أهمها كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» وله سلسلة من كتب سير أعلام التاريخ الإسلامي بعنوان «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» التي تشمل سير الصحابة ورواد الفكر الإسلامي. حاز الشيخ الندوي على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام العام ١٩٨٠م، كما أعلن في دبي في نهاية شهر رمضان المبارك عن اختياره الشخصية الإسلامية لعام ١٤١٩هـ. والشيخ الندوي الرئيس المؤسس لمجلس أمناء مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية، ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضو مجمع اللغة العربية في دمشق، وعضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وعضو مؤسس لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وعضو اللجنة التنفيذية لرابطة الجامعات الإسلامية في الرباط، وعضو مجمع اللغة العربية في عمان.

إصدارات للصندوق الوقفي للثقافة والفكر

عن الصندوق الوقفي للثقافة والفكر في الأمانة العامة للأوقاف في الكويت صدر كتابان الأول بعنوان: «المستكشفون الثلاثة» وهو عبارة عن قصة للكاتبة «أمل الغانم» وتتناول فيها قيماً كثيرة أهمها: ارتباط الطفل بالبيئة والمحافظة عليها، أما الثاني فحمل عنوان «القراءة المسموعة» وهو ترجمة لبعض ما جاء في كتاب (The Read aloud haud bod) لمؤلفه «جيم تريليس» والذي لاقى نجاحاً كبيراً في الولايات المتحدة الأميركية وكندا، وذلك أملاً في تحقيق وعي عام لدى الأسرة والمجتمع، بدور القراءة في صقل شخصية الأبناء، إضافة إلى نشر الثقافة التربوية وتوعية الأسرة والوالدين بأهمية القراءة للأبناء.

حقيقة الإسلام

صدر عن أفريقيا الشرق كتاب لعبدالهادي بو طالب عنوانه «حقيقة الإسلام» وعن أسباب صدور الكتاب يقول المؤلف: يكاد يكون للإسلام كلما جرى ذكره على أي لسان أو قلم مفهوماً مغايراً، حتى يبدو في شكل «إسلامات» أو نزعات لا تلتقي في حد مرسوم، ومردّ ذلك إلى أن الإسلام يعاني من جهل الكثيرين له، وحتى من عدد من المسلمين أنفسهم أو ممن تعمد من البعض تقديمه على غير حقيقته، فصوروا الإسلام في صورة الدين الجامد، الحقود المتطرف، الداعي للعنف، وبالتالي فالتمسك به والدعوة إلى العودة إلى ينابيعه في عصر التطور والتقدم يُعد رجعية ممقوتة ونكسة إلى الوراء، أسهم الكتاب في تقديم الإسلام في صورته الحقة، صورة الإسلام المسالم الذي تطبع تعاليمه الرحمة والعدل، وتناهض العنف والعدوان وقتل النفس بغير حق، وتدعو إلى التعايش السلمي بين الديانات والحضارات والمجتمعات على اختلاف وجهات نظرها.

دليل جامعات العالم الإسلامي

- صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «ايسيسكو» طبعة جديدة من (دليل جامعات العالم الإسلامي» بالعربية والإنكليزية والفرنسية في ٥٤٧ صفحة من القطع الكبير، ومن جانب آخر، وقعت المنظمة على محضر برنامج للتعاون المشترك بين الايسيسكو والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية التي يوجد مقرها في الكويت، وذلك في إطار اتفاقية التعاون المبرمة بين المنظمتين في شهر نوفمبر سنة ١٩٩٦م.

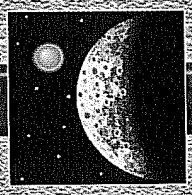

المواطنون ٧٥٨٩٤٢ والوافدون ١٤٤٩٨٤٨

مليونان و ٢٠٠ ألف نسمة عدد سكان الكويت في ١٩٩٧م

قالت نشرة إحصائية متخصصة إن إجمالي عدد السكان في الكويت في العام ١٩٩٧م ٢,٢٠٨,٧٩٠ نسمة منهم ٧٥٨٩٤٢ من الكويتيين و١٤٤٩٨٤٨ من غير الكويتيين، وذكرت النشرة الإحصائية الخاصة بالسكان لعام ١٩٩٧م الصادرة عن قطاع الإحصاء والمعلومات في وزارة التخطيط أن إجمالي الذكور في الكويت بلغ ١,٣٤٩,١٠١ منهم ٣٧٥,٨٣٨ كويتياً و ٩٧٣,٢٦٣ غير كويتي، وأضافت النشرة أن إجمالي عدد الإناث في الكويت بلغ ٨٥٩,٦٨٩ منهم ٣٨٣,١٠٤ كويتيات و ٤٧٦,٥٨٥ غير كويتيات.

وأفادت النشرة أن إجمالي عدد السكان في محافظة العاصمة بلغ ٣٣٧,٣٧٩ منهم ١٦٢,٣٠١ من الكويتيين و٢١٧,٠٣٦ غير كويتيين، مبينة أنه في محافظة حولي بلغ الإجمالي ٦١٧,٨٨٢ منهم ٢١٥,٢٠٢ من الكويتيين و ٤٠٢,٦٨٠ من غير الكويتيين.

وبالنسبة لمحافظة الأحمدي أشارت النشرة إلى أن إجمالي عدد السكان فيها بلغ ٣٦٣,٥١٦ منهم ١٥٥,٨٧٥ كويتياً و ٢٠٧,٦٤١ غير كويتي موضحة أن إجمالي السكان في محافظة الفراونية بلغ ٥٦٨,٢٣٢ منهم ١٤٧,٧٩٨ كويتياً و ٤٢٠,٤٣٤ غير كويتي. وأفادت النشرة أن إجمالي السكان في محافظة الجهراء بلغ ٢٧٥,٢٣١ منهم ٧٧,٦٠٩ من الكويتيين و ١٩٧,٦٢٢ من غير الكويتيين.

الفئات العمرية

وحول الفئات العمرية للسكان في الكويت بيّنت النشرة الإحصائية أن إجمالي الفئة العمرية من ٤ سنوات بلغ ٢١٠,٥٩٣ منهم ١٢٧,٠٧٠ كويتياً و ٨٣,٥٢٣ من غير الكويتيين.

مبينة أن إجمالي الفئة العمرية الخاصة بسن خمس سنوات إلى تسع سنوات بلغ ١٨٨,٦٦٦ منهم ١٠٨,٧٨٢ من الكويتيين و٧٩,٧٩٤ من غير الكويتيين.

٦ ملايين لغم في الكويت

ظهر تقرير أعدته منظمة «هانديكاب» وهي واحدة من المنظمات الناشطة في مجال مكافحة الألغام المضادة للأفراد، أن هناك نحو مئة مليون لغم مزروعة في ٦٤ بلداً، تقتل أو تشوه ألفي شخص شهرياً.

وجاء في التقرير أن هناك ٢٧ مليون لغم في بلدان الشرق الأوسط، منها ٦ ملايين لغم في الكويت وحدها، والمعروف أن هذه الألغام زرعتها قوات النظام العراقي إبان احتلالها للكويت.

وتقدر هذه المنظمات كلفة إزالة الألغام في العالم بنحو ٣٠ مليار دولار.

(١,٢٤٨٠٠٠) مليار نسمة سكان الصين

ذكر مصدر رسمي أن عدد سكان الصين بلغ (١,٢٤٨٠٠٠) مليار نسمة في نهاية العام الماضي، أي بزيادة نسبتها ٠,٩٥ في المئة عن عددهم في نهاية العام ١٩٩٧م.

والمعروف أن الصين الأكثر اكتظاظا بالسكان في العالم. وذكر المكتب الوطني للإحصاء أن نسبة النمو السكاني كانت العام الماضي أقل بـ ٠,٠٥ في المئة من نسبة النمو في العام ١٩٩٧م، وذلك بسبب سياسة تحديد النسل التي تتبعها الصين منذ السبعينيات.

ملك جديد لماليزيا

اختارت ماليزيا ملكاً دستورياً جديداً هو سلطان سلطنة سيلانغور خلفاً للملك فوانكو جعفر الذي انتهت ولايته في ٢٥ أبريل الماضي.

وأعلن رئيس الوزراء الماليزي مهاتير محمد اختيار السلطان صلاح الدين عبدالعزيز شاه الحاج في أعقاب اجتماع استثنائي للرؤساء التقليديين لتسع من ولايات ماليزيا الثلاث عشرة.

وذكر محمد أيضاً أن سلطان تيرينغانو اختير لخلافة سلطان سيلانغور في منصب نائب رئيس الدولة لولاية تمتد خمس سنوات.

ويتألف الاتحاد الماليزي من تسع سلطنات وأربع ولايات غير ملكية.

وينتخب الملك الجديد كل خمس سنوات من بين السلاطين التسعة لأن حكام الولايات الأربع الأخرى لا يمكن انتخابهم.

الكويت ترعى الأيتام في اندونيسيا

أعلن سفير الكويت في اندونيسيا جمال الانصافي أن حكومة الكويت ستقدم مساعدات لرعاية ٢٠٠٠ من الأيتام في إندونيسيا الذين يسكنون في الشوارع، لتمويل برامج لتعليمهم، وستقدم المساعدات لهم من خلال دار الأيتام الإسلامية في جاكرتا.

وكانت الكويت قد تبرعت بنصف مليون دولار أميركي لمؤسسة الإرشاد لإنشاء معهد عالي للدراسات الإسلامية.

٣١ مليون طفل ضحايا الصراعات المسلحة في عشر سنوات

طبقاً لما تقوله الأمم المتحدة فإن أكثر من مليون طفل قتلوا في صراعات مسلحة في خمسين بلداً خلال السنوات العشر الماضية، وشرد ما يقدر بنحو اثني عشر مليوناً، وفقد مليون من الأطفال أحد والديهم وأصيب ستة ملايين بجراح خطيرة وبإعاقات دائمة، فيما يعاني عشرة ملايين من آثار نفسية حادة.

وفي خلال اجتماع لمجلس الأمن في شأن موضوع الأطفال والحرب قال أولارا أتوتونو الممثل الخاص للأمم المتحدة إنه لا دور للأطفال في الحرب وإن على مجلس الأمن أن يعود إلى موضوعهم بشكل منتظم.

وكان رئيس مجلس الأمن ندد باستهداف الأطفال في الصراعات المسلحة بما في ذلك إذلالهم وخطفهم وتشريدهم وتجنيدهم واستغلالهم في الأعمال العدائية في انتهاك واضح للقانون الدولي.

ولا تزال الأمم المتحدة تتذكر أورالا أوتونو سفير أوغندا السابق لديها لزعامته في كسر المأزق العام ١٩٨١ عندما لم يتمكن كورت فالدهايم النمساوي وسالم أحمد سالم التنزاني من الحصول على قدر كاف من الأصوات للفوز بمنصب الأمين العام للأمم المتحدة.

ويومها كان في الثانية والثلاثين من عمره ويرأس مجلس الأمن فعمد إلى فتح باب التصويت على مرشحين اضافيين فعين خافيير بيريز ديكويار أميناً عاماً، وفي منتصف الثمانيات نُفيَ أوتونو من أوغندا فاضطر لتغيير جنسيته وأصبح من مواطني ساحل العاج حيث يعيش في نيويورك.

يقول أوتونو إن الأطفال أكثر عرضة لخطر الألغام المتخلفة من الصراعات والتي يزيد عددها على (١٠٠) مليون في العالم، حيث يقتل سنوياً بسببها ٢٦ ألف شخص معظمهم من الأطفال. ويقترح أن يتم دعم برامج إعادة تأهيل الأطفال الذين يصابون في حوادث انفجار الألغام وتحقيق نتائج سريعة في إزالتها وتقديم برامج توعية للناس حول مخاطرها. وكانت (١٢٢) دولة وقّعت في ديسمبر الماضي معاهدة حظر استخدام وتزين وإنتاج ونقل الألغام المضادة للأفراد التي يعتبرها أوتونو حجر أساس ويمكن أن تسفر عن نتائج طيبة بعد المصادقة عليها، ويأمل أوتونوا في أن تصبح المدارس ودور الحضانة بعيدة عن الصراعات المسلحة ليتمتع الأطفال بحريتهم.

يعتبر أوتونو أن الإساءة الجنسية للأطفال مرتبطة بالصراع المسلح حيث يعد الأطفال الذين يشهدون اغتصاباً من أحد أفراد عائلتهم ضحية الإساءة نفسها، وتجرى محاكمة بعض الجنود الصرب لقيامهم بعمليات اغتصاب في البوسنة في السنوات الماضية، إلا أنه لا تتم محاكمة الجنود الهنود الذين يزعم أنهم يقومون بأعمال اغتصاب للنساء في إقليم كشمير المتنازع عليه بين الهند وباكستان، كما تقول منظمة «هيومان رابتسن ووتش» وقال أوتونو إنه سيعمل مع ممثلي الحكومات على وضع مثل هذه الممارسات وتقديم مرتكبيها للعدالة، ومعظم النزاعات التي يشارك فيها الأطفال هي حروب أهلية كما يقول أوتونو، إذ يشارك فيها أشخاص يعرفون بعضهم بعضاً جيداً وهو ما أدى إلى ظهور فراغ أخلاقي تم فيه تجاهل المعايير الدولية.

ولعل أبرز سمة لهذه الصراعات الحط من قدر الخصم المعروف لأسباب دينية أو عرقية أو جنسية أو حتى إقليمية.

وفي مناقشة لدوره كممثل خاص للأمم المتحدة في شأن الأطفال في الصراعات المسلحة، ركّز أوتونو على ثلاثة أهداف أساسية، حماية الأطفال، وتوفير الوقاية لهم، وإعادة تأهيلهم. وقال إنه سيعمل مع مجلس الأمن والسكرتير العام والهيئات المختصة لتحقيق هذه الأهداف.

موجز أخبار

● وافق مجلس الوزراء المصري على مشروع قرار رئاسي يلغي مادة في قانون العقوبات كانت تقضي بعدم توقيع عقوبة على الشخص الذي يعتدي على امرأة ثم يتزوجها، وكان مفتي مصر الشيخ نصر فريد واصل طالب في يناير الماضي بإلغاء المادة (٢٩١) التي قال إنها من مخلفات الاستعمار البريطاني واعتبر المفتي زواج المغتصب بالمجني عليها باطلاً.

● ذكرت صحيفة (يديعوت أحرنوت) أن أهالي جنود إسرائيليين قتلوا في معركة صُدموا عندما علموا أن أطباء الجيش تدربوا بتشريح جثث أبنائهم قبل أن تعاد لذويها لدفنها!.

● ذكر برنامج الأمم المتحدة المشترك بشأن الفيروس المسبب لمرض الإيدز أن عدد الأشخاص في آسيا الذين تعرضوا للإصابة بالمرض قد ازداد نحو ٨٠٠ منذ يونيو الماضي، حيث بلغ عددهم الآن نحو ٧,٢ مليون شخص.

● قال تقرير رسمي بريطاني صدر يوم ١٩٩٩/٣/٢٥م أن سبعة ملايين من البريطانيين البالغين هم فعلياً أميون إذ لا يستطيعون القراءة والكتابة أو إجراء العمليات الحسابية !!.

● خلال أقل من ٤٥ عاماً سيتضاعف عدد سكان كوكب الأرض من المسنين الذين تزيد أعمارهم عن التسعين عاماً وسيصبح عددهم أكثر من ٤٠٪ من سكان العالم، هذا ما أكده تقرير مركز الإحصاء الأوروبي بالتعاون مع مراكز المعاشات.

لماذا يعتنق الأوروبيون الإسلام؟

لماذا يعتنق البريطانيون البيض الإسلام رغم الدعاية السيئة التي تروّجها عنهم وسائل الإعلام الغربية؟ سؤال طرحه الكاتب البريطاني «بول فيلي» في مقال بعنوان «المسلمون الجدد» نشرته له صحيفة «الاندبندت» اللندنية، تحدث فيه عن ظاهرة تزايد أعداد البريطانيين الذين يعتنقون الإسلام. وعلل فيلي الظاهرة في بداية تقريره عن المسلمين الجدد بغياب المثال الروحي في المجتمع البريطاني وغياب الاستقرار الاقتصادي في العمل، وخداع العائلة تحت ضغط سياسات السوق والتسويق التي أدت إلى نشوء نوع من عدم الأمان والاستقرار في الحياة البريطانية والغربية على حد سواء. وأشار إلى خداع العلم والمادية كأسباب أخرى قد تدفع الشاب أو الفتاة إلى اعتناق الإسلام.

ووجد فيلي بعد مقابلته لبعض من اعتنقوا الإسلام من البريطانيين أن أغلبيتهم تتراوح أعمارهم بين ٣٥ ـ ٥٥ عاماً وكانوا يبحثون عن خيار روحي جديد عن طبيعة الحياة التي عاشوها فمنهم من حرم عطف والديه أو خسر والده في صغره.

كما وجد أن كثيراً من الذين اعتنقوا الإسلام من البريطانيين تعرفوا عليه من خلال دراستهم للفن، أو المعمار الإسلامي، أو من الذين سافروا إلى إحدى الدول العربية، وممن تعلّم اللغة العربية أو إحدى اللغات الإسلامية، أو من خلال مقابلة مسلمين قريبين منهم.

وبالرغم من أنه لا توجد إحصاءات دقيقة عن الذين يعتنقون الإسلام من البريطانيين إلا أن بعض المصادر تشير إلى أن هناك نحو ثمانين شخصاً يشهرون إسلامهم في بريطانيا وحدها كل عام. وأشارت إحصاءات غير رسمية نشرت خلال الأعوام القليلة الماضية إلى أن الإسلام يعتبر من أكثر الأديان انتشاراً في بريطانيا. وقد أكد الكثير ـ ممن قابلهم فيلي ـ ضرورة الفصل بين تعاليم الإسلام العالمية والممارسات التي تصدر عن بعض المسلمين، مشيرين إلى الفهم القاصر الذي يحمله الغرب عن الإسلام.

استطلاع حول تدريس الإسلام في المدارس الألمانية

أظهرت نتائج استطلاع للرأي أجري في مدينة بون الألمانية، أن أغلبية الألمان تساند فكرة إدراج مادة الدين الإسلامي في برامج التعليم في المدارس الألمانية.

ويستفاد من هذا الاستطلاع الذي أنجز بطلب من صحيفة «دي فوخ» الألمانية أن ٥٢ في المئة من بين ألف شخص تم استجوابهم باعتبارهم عينات، أعربوا عن موافقتهم على تدريس مادة الدين الإسلامي مقابل ٣٩ في المئة من المعارضين للفكرة أما الباقون فهم إما من المترددين أو ممن لا رأي لهم.

ويتم حالياً تدريس مادة الدين الإسلامي كمادة اختيارية في بعض الولايات الألمانية من بينها «ويستفاليا وسكسونيا السفلى وريناينا الشمالية»، والجديد في هذا التوجه أن المستجوبين يرغبون في أن يتم تدريس هذه المادة الدينية باللغة الألمانية، خلافاً لما هو معهود حتى الآن، وهو أنها تدرّس باللغة العربية لأبناء المهاجرين الذين يوجد منهم عدد كبير من أبناء المغرب العربي.

ويبدو من الاستطلاع أن أغلبية الألمان الذين يساندون الفكرة هم من ناخبي الحزب الاجتماعي الديموقراطي وحزب الخضر «البيئة» في الوقت الذي يشكل فيه المعارضون لتدريس مادة الإسلام من ناخبي الاتحاد المسيحي الديموقراطي.

فتاوى هيئة كبار العلماء في السعودية على الإنترنت

افتتح وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي يوم ١٩٩٩/٣/٧م وحدة الإنترنت في مركز البحوث والدراسات الإسلامية لموقع الوزارة على الشبكة العالمية للمعلومات.

وأكد الدكتور عبدالله التركي في كلمته بالمناسبة أن موقع الوزارة في الشبكة الدولية للمعلومات لنشر الدعوة إلى الله وتقديم الصورة الصحيحة عن الدين الإسلامي الحنيف وإبراز محاسنه ومزاياه الكثيرة، وإيصال العلوم الإسلامية الصحيحة للمسلمين في الخارج لحاجتهم الماسّة في العالم إلى المعلومات الصحيحة المتوافرة في المملكة.

وكشف مدير مركز البحوث والدراسات الإسلامية الدكتور مساعد بن إبراهيم الحديثي، وفقاً لوكالة الأنباء السعودية أن الموقع حظي بموافقة الشيخ عبدالعزيز بن باز المفتي العام للمملكة العربية السعودية بوضع كامل فتاوى هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة فيه، كما حظي بموافقة الشيخ محمد بن عثيمين على وضع جميع مؤلفاته ودروسه على الإنترنت.

حديقة الوعي

إعداد : أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

قال الله تعالى :

﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا. ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا. كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾.

الإسراء: ٣٦ ـ ٣٨.

من هدي رسول الله ﷺ

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال :

« من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مئة شهيد ».

أخرجه البيهقي من رواية الحسن بن قتيبة والطبراني من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بإسناد لا بأس به.

إلا أنه قال : فله أجر شهيد

دعاء

اللهم إن استغفاري إياك مع كثرة ذنوبي للؤم، وإن تركي الاستغفار مع معرفتي رحمتك لعجز، إلهي كم تحببت إليَّ بنعمتك، وأنت غني عني، وكم أبتغض إليك بذنوبي وأنا فقير إليك، سبحان من إذا توعد عفا، وإذا وعد وفى.

موقف

أراد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن يستعمل رجلاً فبادر الرجل يطلب العمل قبل أن يفاتحه فيه، فقال عمر: والله لقد أردتك، ولكن من طلب الأمر لم يُعَنْ عليه.

كما ماتوا

احتضر ابن أخ لأبي الأسود الدؤلي فقال: يا عم، أأموت والناس يحيون؟ فقال: كما حييت والناس يموتون!

فراسة

يروى أن أمية بن أبي الصلت قد مر عليه بعير تركبه امرأة، وكان البعير يرفع رأسه ويدعو فقال :

إن البعير يقول لك إن في الحداج «المحفة» إبرة فرفعت المرأة فإذا مستقرة في المحفة، وهي تحك في سنام البعير.

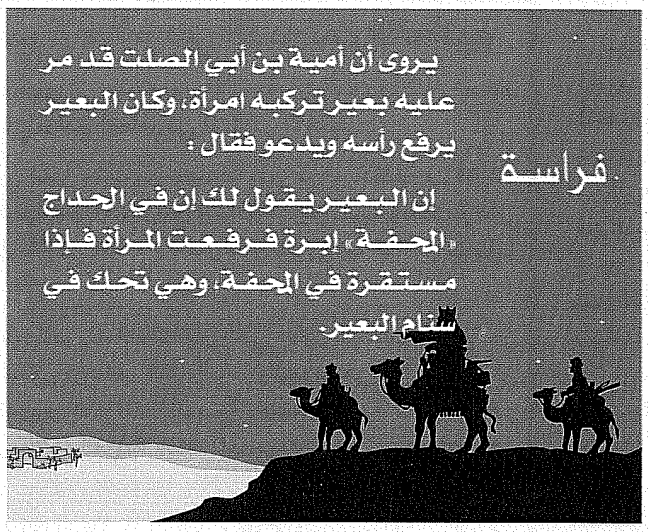

أحمد الله على المصيبة

قال شريح القاضي:

إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عزّ وجلّ عليها أربع مرات، أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع، لما أرجو فيه من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني.

أخطاء لغوية شائعة

يقولون : هذا مما يؤسف له، والصواب هو: هذا مما يؤسف عليه، وقد جاء في الآية ٨٤ من سورة يوسف : (وقال يا أسفا على يوسف).

وقد جاء في كتاب للإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ «فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها».

وقال البحتري :

كلف يكفكف عبرة مهراقة
أسفاً على عهد الشباب وما انقضى

وقد انفرد المعجم الوسيط بقوله: أسف له، تألم وندم ثم أصدر مجمع القاهرة الجزء الأول من المعجم الكبير وقال فيه: أسف له أسفاً، وأسافة: تألم وندم واستشهد بقول مهيار:

أسفت لحلم كان لي يوم بارق
فأخرجه جهل الصبابة من يدي

اثنان طيبان لايفترقان

اثنان طيبان لا يفترقان أبداً، وإذا افترقا حلت الكارثة الكبرى، وهما معاشرة الإنسانية العليا، ورمز الحضارة المنتصرة، وقمة من قمم الكمالات والفضائل:

إذا ذُكر القرآن ذُكر معه التدبر، فالقرآن والتدبر لا يفترقان، وإذا ذكرت الصلاة ذكر معها الخشوع، فالصلاة والخشوع لا يفترقان، وإذا ذُكر العلم ذُكر معه الإيمان، فالعلم والإيمان لا يفترقان، وإذا ذُكر الحكم ذكر معه العدل، فالحكم والعدل لا يفترقان، وإذا ذكر الحق ذكر معه الخير، فالحق والخير لا يفترقان، وإذا ذكرت النعمة ذكر معها الشكر، فالنعمة والشكر لا يفترقان، وإذا ذُكرت الدنيا ذُكرت معها الآخرة، فالدنيا والآخرة لا يفترقان.

ثلاث خصال في صهيب

قال عمر بن الخطاب لصيهب الرومي رضي الله عنهما:

أي رجل أنت لولا خصال ثلاث فيك؟

فقال صهيب: وما هنَّ؟

قال: اكتنيت وليس لك ولد، وانتميت إلى العرب وأنت من الروم، وفيك سرف من الطعام.

فقال صهيب: أما قولك اكتنيت ولم يولد لك فإن رسول الله ﷺ كناني بأبي يحيى.

وأما قولك انتميت إلى العرب وأنت من الروم، فإني رجل من النمر بن قاسط سباني الروم من الموصل بعد إذ أنا غلام وقد عرفت نسبي.

وأما قولك: فيك سرف من الطعام، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : خياركم من أطعم الطعام.

وعد ووعيد

حُكي أن أم غزوان الرقاش كانت من الحمقى، وقيل إنها قالت لابنها غزوان، وكان من الاتقياء الصالحين، وقد رأته يقرأ في المصحف: يا غزوان، أما تجد في هذا القرآن بعيراً ضلَّ في الجاهلية؟ فما نهرها غزوان، بل قال: يا أمة الله، أجد والله فيه وعداً حسناً ووعيداً شديداً.

ستة

لاتنتصر دعوة الحق بستة:

- مستعجل في الشهرة متهالك عليها.
- وجريء في القول جبان عند العمل.
- وعامي في ثقافته متلوٍ في أساليبه.
- ومؤثر للسلامة على التضحية.
- ومغرور يقدر نفسه بأكثر مما هي عليه.
- وضعيف يسيِّره من هو أخبث منه.

ضرب المثل في الأقل لا يعني تفضيله

جاء في كتب الأدب أن أبا تمام حينما قال في مدح أحمد بن المعتصم «الخليفة العباسي الثامن» :

إقدام عمرو في سماحة حاتم

في حلم أحنف في ذكاء إياس

قال بعض حساده أمام ممدوحه :

ما زدت على أن شبهت الأمير بمن هم دونه، فقال أبو حاتم :

لا تنكروا ضربي له من دونه

مثلاً شروداً في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره

مثلاً من المشكاة والنبراس

الوسوسة

وروي أن رجلاً جاء إلى أبي حازم فقال له: إن الشيطان يأتيني فيقول: إنك قد طلقت زوجتك فيشككني، فقال له أوليس قد طلقتها؟ قال: لا، قال: ألم تأتني أمس فطلقتها عندي؟ فقال: والله ما جئتك إلا اليوم ولا طلقتها بوجه من الوجوه. قال: فاحلف للشيطان إذا جاءك كما حلفت لي وأنت في عافية.

النحنحة

عن ابن الأعرابي قال: قال رجل من الأعراب لأخيه: أتشرب الخازر من اللبن ولا تتنحنح؟

فقال: نعم، تجاعلا جعلاً، فلما شربه أذاه، فقال: كبش أملح ونبت أقبح، وأنا فيه أسجح، فقال أخوه: قد تنحنحت، فقال: من تنحنح فلا أفلح.

الخوف من النفاق

جاء رجل إلى حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - فقال له:

يا أبا عبدالله، إني أخشى أن أكون منافقاً، فقال: تصلي إذا خلوت، وتستغفر إذا أذنبت؟ فقال: نعم، قال: اذهب فما جعلك الله منافقاً.

إعداد : عبدالمنعم أحمد

نشرت اللومند الفرنسية مقالاً بقلم «هنري تينك» تناول فيه بالتحليل أوضاع التجمعات الإسلامية في فرنسا والتنافس الشديد فيما بينها لتمثيل المسلمين لدى الحكومات الفرنسية المتعاقبة، وهذه الرؤية التحليلية وإن كانت من وجهة نظر فرنسية إلا أنها مهمة للقارئ المسلم ليدرك نظرة الفرنسيين للإسلام والمسلمين في فرنسا على اعتبار أنهم يمثلون أكبر أقلية في فرنسا.

التجمعات الإسلامية في فرنسا تمر بحال تشرذم خطيرة

يُعد الدين الإسلامي الديانة الثانية في فرنسا بعد المسيحية مباشرة، ويبلغ عدد المسلمين فيها نحو أربعة ملايين مسلم، وإن كان من الصعب تحديد عدد هؤلاء الذين يمارسون الشعائر الإسلامية إلى درجة التقوى، أما فيما يتعلق بالمساجد، فهناك مسجد باريس الشهير، أضف إلى ذلك أن فرنسا تضم أكثر من عشرة مساجد من الطراز المعماري القديم، وهناك أيضاً مساجد أُنشئت حديثاً (العام ١٩٩٣) مثل مسجد ليون ، ومسجد آخر في مونبلييه (العام ١٩٩٧م)، كما توجد مساجد أخرى في مناطق إيفري «إيسون» ومانت لاجولي «إيفلين»، وفي مدينة «روبيه»، وبشكل عام يصل عدد دور العبادة الإسلامية إلى نحو ألف مسجد، والإسلام في فرنسا يُدرج دائماً على جدول أعمال الحكومات الفرنسية المتعاقبة، سواء الحكومات اليمينية أو اليسارية، والمقصود هنا هو إيجاد مشروع فيدرالي «للإسلام في فرنسا» يمثل المسلمين، ويكون منظماً، حيث يسجل في واقع الحياة اليومية في هذه الدولة العلمانية، غير أن هذا المشروع اليوم أشبه ما يكون بحقل أطلال وخرائب، وذلك لأن التنافس على الإمساك بزمام السيطرة على مجتمع مسلم يتكون من أربعة ملايين مسلم ومسلمة في فرنسا اليوم قد أسفر عن أضرار أكثر مما حقق إنجازات إيجابية، فهناك «شلة الأربعة» وتتكون من «مسجد باريس، واتحاد المنظمات الإسلامية

● نشاط ترفيهي لأبناء الجاليات الإسلامية

في فرنسا، والاتحاد الوطني لمسلمي فرنسا ومنظمات التبليغ لنشر الثقافة الإسلامية»، وقد حاولت هذه المنظمات على مدى سنوات عدة أن تحتكر عملية تمثيل الجالية الإسلامية في فرنسا، ثم توقفت عن ذلك أخيراً، ويبدو أن هذه المنظمات قد أصيبت بالشلل في نشاطها بسبب الكثير من المشاكل وعمليات التدخل في شؤونها من الخارج، وكذلك الأصولية التي يبدو أنها تستفيد من حال التسويف والمماطلة الحالية. وقد ضعفت مكانة مسجد باريس بسبب مشكلات وصعوبات في الإدارة وتأثير الفصائل الجزائرية التي تتنازل لأجل السيطرة والإشراف على المسجد الذي لم يعد في وضع يمكّنه من المطالبة بتزعم الجالية الإسلامية. أما التجمعات الكبيرة للمسلمين التي خرَّجها وأعدها، فقد أصبحت في طيِّ النسيان في كل من ليون ومارسيليا. ولم يرضخ المسجد الكبير في باريس لنظام الإدارة الجماعية للإسلام، وهو النظام الذي حاولت الحكومة الفرنسية اليسارية إقامته في الفترة من ١٩٨٨م إلى ١٩٩٣م، ولا سيما في ظل تطبيق مبادرة «بيير جوكس»، التي حاولت تلك الحكومات على أساسها إقامة إدارة أو منظمة للسلام مثل ما عرف بمجلس التفكير في مستقبل الإسلام في فرنسا «كوريف» غير أن هذه المنظمة ما لبثت أن وقعت فريسة لانقسامات حادة.

وعندما عاد مسجد باريس إلى إشراف ورعاية اليمين، لم يتمكن من اقتراح صيغ أخرى سوى «ميثاق» كان موضع منازعة، ومجلس الإسلام في فرنسا، ابتعد كثيراً عن القاعدة التجمعية وعن الشباب وعن النساء، بل عن المثقفين في الجالية الإسلامية.

وعندما واجه المسجد تحديات في عملية تخريج الأئمة، لم ينجح في إعادة تأسيس معهد إسلامي لمسجد باريس بالرغم من الدعم الذي قدمه شارل باسكوا لذلك المشروع الذي كان دائماً في حال احتضار.

وفي الواقع إن اتحاد المنظمات الإسلامية لفرنسا قلما كان حسن الطالع. فقد ضم في بداية التسعينات ما يقرب من مئتي جمعية وتجمع، كما أنشأ معهداً جامعياً خاصاً بالقرب من شاتو شينون «نييفر» وكان يخرِّج في نهاية كل عام عدداً كبيراً من الفقهاء في الدين الإسلامي في بورجييه، غير أنه كان يعاني من قيود كانت تُفرض عليه من أصحاب التبرعات ثم كان المغاربة هم الذين يهيمنون عليه بعد ذلك ويدعمونه مالياً ويعينون بعض المثلين له.

● أحد المساجد في مدينة ليل الفرنسية

ومنذ أن تقلد «جان بيير شفينمان» منصب وزير الداخلية وَكُلف بالإشراف على الشعائر والعبادات حرص على عدم إثارة المشاكل الخاصة بالمسلمين في فرنسا، بل وضع جانباً وبشكل موقت مشكلة تمثيل المؤسسات حيث أشار في حديث له في ستراسبورغ في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٩٧م إلى أن غياب هذه المسألة أو حلّها لاينبغي أن يشكل عقبة كأداء، غير أنه حاول أن يحل عقد المشكلة عقدة عقدة.

ثم تخلص أخيراً من المنتجين المسؤولين عن المسلسل الأسبوعي «التعرف على الإسلام»، وهو البرنامج الذي كان يذاع صباح كل يوم أحد، حيث إنهم اتخذوه وسيلة لتحقيق مورد مالي لهم. وهو الأمر الذي أثار حفيظة الدوائر الفرنسية الإسلامية التي طالما كانت على أهبة الاستعداد لانتقاد خمول أي مسؤول من العلمانيين، وعندما كان شفينمان يواجه اتجاهاً غير مرغوب فيه، سرعان ما كان يدفع بمبدأ علمانية الدولة، وكان إنشاء معهد عال لدراسة الإسلام يسير في الاتجاه الصحيح، إذ كان ضالة منشودة منذ وقت طويل. ثم كلف «كلود الليجر» وزير التعليم «أندريه بورجييه» بمهمة في هذا الصدد تدخل ضمن اختصاصه كمدير للمعهد الوطني للغات والحضارة الشرقية.

فهل هذه طريقة جيدة؟ أي طريقة علاج المشاكل حال بعد حال أو كل حال بمفردها؟

لاشك أنه ليست هناك طرقاً أخرى.

غير أنه ينبغي لنا أن نفهم الضغوط التي تمارس في بعض المساجد من جانب الأوساط الأصولية، حتى مسجد باريس الذي اضطر شيخه أبو بكر أخيراً إلى مواجهة مع بعض «أصحاب اللحى»، ولابد أن نتساءل عن مدى كفاءة المؤسسات الحالية في تخريج القيادات وتوجيه هذه الجالية الإسلامية. ■

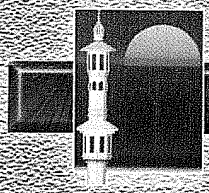

الفتاوى الشرعية

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر
خدمة الفتوى
149

زكاة الأوراق النقدية

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من المدعو أحمد، ونصه كما يلي:

لقد ارتأينا أن نطرح عليكم هذه المسألة حتى توافونا بالجواب الصحيح إن شاء الله. سؤالنا يقول: ما النصاب في الأوراق النقدية؟ ومن المعروف أن الذهب نصابه عشرون ديناراً، أي ما يعادل تقريباً (٩٠ غراماً) وأن النصاب في الفضة هو خمس أواق وهي مئتا درهم.

وعندنا في المغرب كل الوعاظ تقريباً يقولون: إن النصاب في الأوراق النقدية هو مئتا درهم، ولأن العملة المتداولة عندنا هي الدرهم، في حين أن مئتي درهم مغربية تعادل تقريباً ٨,٥ «دينار كويتي».

فهل هذا هو النصاب الحقيقي؟

وهل الدرهم الذي جاء في الأحاديث هو الدرهم المغربي الحالي؟

وأنتم في الكويت لكم عملة غير الدرهم، فما هو مبلغ النصاب في زكاة الأموال عندكم؟

أفيدونا جزاكم الله خيراً، ودمتم لخدمة الإسلام والمسلمين.

- أجابت اللجنة بما يلي:

إن نصاب الذهب هو عشرون مثقالاً، والمثقال هو الدينار الإسلامي من الذهب، وقد قدَّره المختصون بتقديرات متقاربة، أرجحها أنه يعادل ٤,٢٥ غرام من الذهب الخالص، فيكون نصاب الزكاة في الذهب ٨٥ غراماً ذهبياً، فيقدر في كل بلد بما يعادل هذا المقدار من الذهب من عملتها يوم حولان الحول على المال المزكى.

أما نصاب الفضة فهو مئتا درهم إسلامي، والدرهم قدَّره المختصون بتقديرات متقاربة أيضاً، أرجحها أنه ٢,٩٧٥ غرام من الفضة الخالصة، فيكون نصاب الزكاة في الفضة ٥٩٥ غراماً من الفضة، وتقدر في كل بلد بما يعادل هذا المقدار من العملة المتداولة فيها، وليس المراد بالدينار أو الدرهم ما سمي بهذا الاسم من العملات في بلد أو آخر، بل المراد الدينار الإسلامي (وهو من الذهب) والدرهم (وهو من الفضة).

ما يحل للمعتدة وما يحرم عليها

قدَّمت سيدة إلى اللجنة الاستفتاء التالي:

سيدة توفي عنها زوجها وتسأل : هل يجوز أن تضع الحناء على رأسها للضرورة؟ وهل يجوز أن تلبس حجاباً جديداً على رأسها؟ وهل يجوز لها أن تضع بخوراً طبياً؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

الحناء إذا كان وضعه للعلاج فلا بأس به، وأما إذا كان للزينة، وهو ما يوضع في اليد أو الرجل غالباً، فلا يجوز في حال العدة، وأما وضع حجاب جديد فجائز، وكذلك البخور الطبي.

انتهاء عدة المطلقة

حضر إلى اللجنة المدعو محمد، وقدم الاستفتاء التالي:

لقد تلفظت بالطلاق لوالد زوجتي وأخيها، وهي لم تكن موجودة بعد مشادة كلامية فقدت فيها أعصابي ووعيي، لأنهم يريدون أن يفرضوا عليَّ شروطاً لا أقبل بها بتاتاً، وإن زوجتي لم تسمع بكلمة الطلاق، وقد حضر أبوها إلى البيت وخرجت معه إلى بيته، ورجعت أنا إلى الكويت، حيث انتهت إجازتي في اليوم نفسه الذي حصلت فيه المشكلة، وقد حاولت استرجاعها، ولكن دون جدوى أمام إصرار وتعنُّت أبيها وأعمامها.

وبعد مضي ستة أشهر وصلت رسالة تفيد بأنها عادت إلى بيتي في بلدي، وهي الآن تعيش مع أولادها الأربعة، وللعلم زوجتي تكون ابنة عمي.

- أجاب اللجنة بما يلي:

بأن الزوجة طلّقت من زوجها طلقة واحدة بائنة بينونة صغرى لانتهاء العدة، وترجع له بعقد ومهر جديدين بإذنها ورضاها، وتبقى معه على طلقتين.

التأمين على الحياة والعمل في شركات التأمين

عُرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من المدعو صلاح ونصه التالي:

ما نظرة الإسلام إلى التأمين على الحياة والتأمين ضد الحريق والسرقات والإصابات وهل يجوز للمسلم أن يعمل كموظف في إحدى شركات التأمين؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز شرعاً التأمين ضد الحوادث كالحريق والسرقة والإصابات على أن يكون التعويض المستحق في حدود الضرر الفعلي الواقع، أما التأمين على الحياة فلا يزال موضع بحث من قبل المجامع الفقهية لأن الصور المعمول بها الآن أكثرها يتضمن أموراً محرمة كالربا والغرر الكثير والمقامرة، أما العمل في إحدى شركات التأمين، فإن كان يعمل في إطار الصورة المشروعة المشار إليه فهو جائز وإن كان في الصور المقطوع تحريمها فهو حرام.

التأمين على البضائع المستوردة أو المصدرة

عُرض على اللجنة السؤال المقدم من المدعو عماد ونصه كما يلي:

ما حكم التأمين على البضائع التجارية مع العلم أننا نعلم أن التأمين بصورة عامة لا يجوز شرعاً إلا في حالات خاصة فهل التأمين على البضائع المستوردة أو المصدرة بحراً أو جواً يعتبر حالة خاصة عن الحالات الأخرى أم ماذا؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

التأمين على البضائع من الأخطار التي تتعرض لها سواء أكانت أخطاراً برية أم بحرية أم جوية جائز إذا كان التعويض المستحق في حدود الضرر الفعلي.

عضوية صندوق الضمان الاجتماعي

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من المدعو علي ونصه التالي:

أرجو الإفتاء في الانضمام لعضوية الصندوق ليتسنى لنا في ضوء ردكم العمل بما يرضي الله ورسوله.

وبعد أن اطلعت اللجنة على النظام الأساسي لصندوق الضمان الاجتماعي...

- أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز الانضمام إلى صندوق الضمان الاجتماعي هذا لأنه من باب التعاون على البر والتقوى، وما يدفعه المشترك من أقساط يعتبر تبرعاً للصندوق أما ما يخصص للمشترك من تعويضات فهو تبرع أيضاً من المشاركين في الصندوق، وليس من التركة ولذا يستحقه من يسميهم المشترك سواء كانوا من الورثة أو غيرهم بالنسب التي يختارها.

معاشرة الزوجة بعد انقضاء العدة

حضر إلى اللجنة المدعو محمود:

وأخبر أنه في أكتوبر ١٩٧٧م تشاجر مع زوجته، وقال لها: أنت طالق، وبعد مرور أربعة أشهر أرجعها، ثم أوقع عليها طلقتين متفرقتين على فترات متباعدة.

- أجابت اللجنة:

إن عدة المطلّقة ثلاثة قروء، وبما أن السائل قد أرجع زوجته بعد انتهاء عدته من دون عقد ومهر جديدين، فإن معاشرته لها بعد المراجعة يعتبر وطء شبهة، ولذلك لا يقع الطلاق الذي أوقعه الزوج على زوجته بعد المراجعة الأولى، لأن عقد الزوجية قد انفسخ بانتهاء العدة.

وعلى هذا، يجب على الزوج إن أراد زوجته السابقة أن يعقد عليها بعقد ومهر جديدين.

رسالة مجهولة تخيف الناس

وردت إلى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أسئلة واستفسارات كثيرة :

عن حكم الرسائل التي ترد إلى بعض الناس من مجهولين، فيها بشارات لمن ينسخها ويوزعها على معارفه، وفيها تهديد لمن يهملها ولا يهتم بها.

- واللجنة تبين للناس :

إن الهدف من هذه الرسائل هو اللعب بعقول المسلمين، وشغل أوقاتهم بما يضر ولا ينفع، وتنصح المسلمين أن يتخلصوا من هذه الرسائل بإحراقها إن كانت فيها آيات قرآنية، وألا يصدقوا ما جاء فيها من أباطيل، ولا يخافوا مما جاء في هذه الرسائل من تهديد ووعيد، قال تعالى: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) التوبة:٥١.

خواطر في ذكرى الهجرة

بقلم : عبدالوكيل أحمد صافي

في أول العام الهجري، أشعر له بمذاق خاص في نفسي وفي خاطري وعقلي، في مساحة الشعور ومساحة اللاشعور، فيهتز له كياني، ويضطرب له فؤادي، وأحس بذلك الإحساس المفعم بالشعور المتلئ بفرحة غامرة أو سعادة كبرى مختلطان بشعور الفخر والاعتزاز والانتماء لهذا الدين، والانتماء لصاحب الذكرى.. فما أجد إلا لساني يلهج بالشكر والحمد والثناء لله، تلوح في عيني طيوف دمعة حانية من خشوع وتعظيم.

الشعور أدركه وألمسه فيما يهتز فيَّ من مشاعر وأحاسيس أول العام الهجري، واللاشعور يعمل في صمت وهدوء فلا أشعر ولا أحسّ، ولكنني أتحرك وأندفع، وقد أصل في نهاية الطريق أو لا أصل، وأتعمق في نفسي السؤال: لماذا كانت الحركة؟ وماذا وراءها؟ لماذا كان ذلك الاندفاع؟ وماذا يكون وراءه؟

نعم.. إن للعام الهجري الجديد مذاقاً خاصاً ذلك أنني قد اجتزت عاماً في مشوار حياتي، بذلت فيه واكتسبت، قرأت وأدركت واختزن الفكر واختزنت المشاعر والعواطف وتجمع كل ذلك في تجاريب ذهنية ونفسية.

لنا معك أيها العام الهجري الجديد موقف لابد منه، موقف مراجعة ومكاشفة موقف حساب وتقويم بماذا فكرنا؟ وماذا عملنا؟ ما مدى نجاحنا؟ وما العوامل التي كانت وراء هذا النجاح أهو جهدنا فقط وبذلنا وتضحياتنا في سبيل هذا الدين القويم، أم أن هناك ظروفاً كانت مواتية ساعدت في تهيئة الأجواء المناسبة، وإذا كان الفشل وعدم النجاح فما سببه؟ وما وراءه، هل هو قصر في النظر وعدم نضج في الحركة، وقلة تجربة وخبرة في هذا المجال أو ذاك؟!

كل هذه التساؤلات تتوارد إذ سنستقبل عامنا الهجري الجديد؟

مضى عام وانصرم بما حدث وتم.. وما ندري ما الله صانع بنا في عامنا الجديد، نسأله ونرجوه الرحمة بعباده المسلمين ومغفرته ورضوانه.

عام مقبل ما ندري ما الله قاض لنا فيه وما مقدر لنا فيه، ولكننا نعلم علم اليقين بماذا أمرنا الله وعن ماذا نهانا وكيف السبيل إلى الالتزام بشريعة الإسلام وبدين الله القوي المتين، إنها قوة الإرادة، قوة الحزم والتصميم (خذوا ما آتيناكم بقوة) صدق الله العظيم

وتترى الذكريات، وتسيل في النفس كماء سلسبيل ورقراق ذكريات إنسانية عطرت الكون والتاريخ والأمم، عمَّ خيرها البشرية كافة!

هذه آثارنا تدل علينا

فانظروا بعدنا إلى الآثار

إنها لآثار إنسانية هدفاً ومنهجاً، فهل ذكريات الآخرين هكذا؟ وهل تاريخ الآخرين مثل تاريخنا المشرق الوضاح، الجواب في ثنايا التاريخ وفي الواقع المحسوس المشاهد.

ودائماً أيها العام الهجري المتصرم ومرحباً بك أيها العام الهجري الجديد، تجدد همتنا ونشاطنا إسلامياً وحركياً، وصلى الله وسلم على صاحب الذكرى العطرة، أول مهاجر هجر هذه الدنيا نفساً، وذهناً إلى ربه ودينه، هجر الدنيا بفسادها، والتزم ونادى بالتزام خيرها وتقويته وتصحيح الفساد وتقويمه، وليجعلك الله أيها العام الجديد عام خير وبركة على البلاد والعباد ازدهاراً ونماء ودينا خالصاً لوجهه الكريم ■

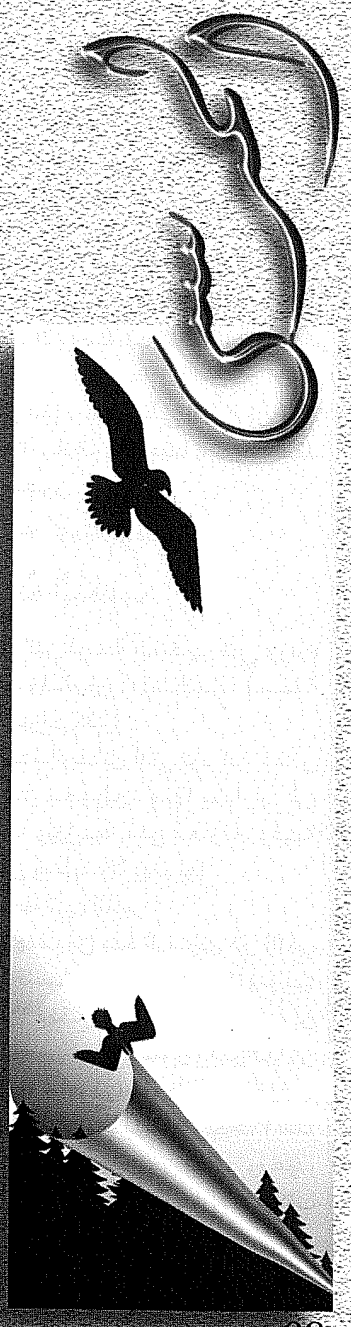

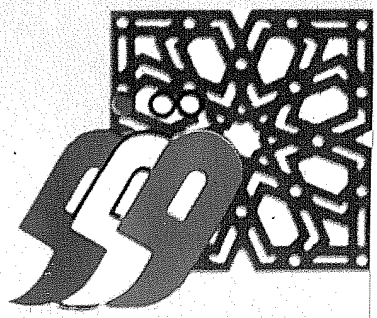

الأمانة العامة للأوقاف

شارك معنا من خلال

السهم الوقفي

بقيمة

١٠

د.ك

- بـ ١٠ د.ك فقط يكون لديك صدقة جارية الى ما شاء الله.
- احرص معنا على اقتناء سهم وقفي أو أكثر.
- بالانفاق المباشر أو بالاستقطاع الشهري بواسطة البنك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا مات الانسان إنقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له

« رواه مسلم »

للاستفسار :

رقم : (٨٠٠٨-٢٤١) صباحاً

ولخدمة التحصيل السريع

بيجر : (٩٢٥٠-٩٢٥)

السهم الوقفي

صدقة جارية .. لخدمة الدين والمجتمع

اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة

إبادة وسط أمراض .. دماء ودموع !!

مؤسوفا تستغيث؟ هل من معتصم يجيب؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :- « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه مسلم

تستقبل التبرعات في :

حساب كوسوفا : ٥ / ٣٦٥٨٣ بيت التمويل الكويتي

مقر اللجنة الرئيسي - الشرق - شارع أحمد الجابر - مبنى الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية - الدور الرابع ت : ٢٤٤٥٧٢٠ - بيجر : ٩٣١٧٥٥٧

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية - بيت الزكاة - الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية واللجان التابعة لها - جمعية الاصلاح الاجتماعي واللجان التابعة لها - جمعية احياء التراث الاسلامي واللجان التابعة لها - جمعية النجاة الخيرية واللجان التابعة لها - جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية - لجنة الفلاح الخيرية - جمعية المعلمين الكويتية - الاتحاد الوطني لطلبة الكويت الجمعية الطبية الكويتية - جمعية الرعاية الاسلامية - الجمعية الخيرية للتضامن الاجتماعي - الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية - جمعية بيادر السلام النسائية